دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الاول ـ السنة الثامنة ـ نوفمبر 1964 الموافق رجب عام 1384

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف بالمملكة المغربية - الرباط

ثمن العدد : درهم واحد

العدد الأول
السنة الثامنة
نونبر 1964
رجب 1384
ثمن العدد 1,50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف
بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب . الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة «دعوة الحق» رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
«دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 10-308 - 03-327 - الرباط

كلمة العدد

ها هي ذي « دعوة الحق » كما تراها ايها القاريء الكريم تبرز اليك فى غلالتها الجميلة بوجه منطلق ومحيا منبسط ، ها هي ذي تمد يدها اليك لتمدها ببنات افكارك ، وتعرض نفسها عليك لتنيلها من طيب انفاسك .

انها تحاول ان تراها رواء فى العين ، وشيئا فى اليدين تساير عصر الثقافة والعلم وما قيمة الثقافة الا ان تنقل الفكر من انظار سخيفة ومعان وضيعة الى انظار بعيدة ومعان سامية ، وما قوة العلم الا ما افاده من علو المستوى وما اوحى به من سمو فى الشعور ، وادراك للحقائق .

« ودعوة الحق » التي بدأت حياتها متشبعة بهذه الروح متمسكة بها قد استطاعت ان تشق طريقها الى الغاية المنشودة فربطت أمتن الصلات بينها وبين قادة الفكر فى العالم الاسلامي ، واسهمت بحظ وافر فى تقوية جانب الروح على جانب المادة ، وان مثلها الاعلى : هو نشر الدعوة الاسلامية في وضوح وجلاء .

ان الامة الاسلامية فى حاجة كبرى الى ايقاظ شعورها ، وامداد قوة المقاومة فيها وتوجيه عواطفها واميالها ، وليس لهذه المهمة الا قادة الفكر الاسلامي الذين يوجهون ابناء هذه الحنيفية السمحة الى غاية ترتكز فيها كل آمالهم ومراميهم .

« يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » .

ان الأسلوب الذي رسم لهذه الامة لتسير عليه هو اسلوب الرسول الاعظم محمد (صلعم) وهو قويم يوقظ الملكات ويحيي المواهب ، فالاسلوب المحمدي مستمد من الدستور القرآني ، وهو الذي كان له اثره الفعال في سرعة رقي العرب وتطورهم في مدة لا تتجاوز الجيل الواحد مما لم يشاهد مثله في تاريخ العالم الآن .

فعلى دعاة الحق الذين لايزالون يعيشون اسلوب محمد ودستور القرآن ان يتجهوا وجهة واحدة فما كان بريق المدنية ليطفيء شعاع الايمان، وما كان دين غير الاسلام ليسعد الانسان .

وان « دعوة الحق » لتجدد العهد وتؤكد ـ ولله علينا الا يحله الا خروج النفس او نكول العافية ـ فتبقى متعهدة بالتزاماتها التي تمسكت بها من اول يوم ، فتحافظ على مستواها ، وتخلق حولها مجالا حيويا من البحوث الاسلامية ، والادب الرفيع ، وتستقطب العناصر المتفتحة التي تحتل الصدارة في دنيا الفكر والضمير ، وحسبها من صدق الامال العذاب ان تعيش بحول الله حتى ترى الطريق قد استبصر ، والامر قد استقام ، ووجودنا النافر قد اتسق .

هذا ولقد اضافت المجلة الى ابوابها السابقة بابا للتفسير ، وآخر لشرح حديث نبوي شريف تحلي بهما صدر كل عدد من اعدادها ، كما ستعمل على نشر الاداب المغربية ، واحياء تراثها الضخم الذي تزخر به مكتباتنا العامرة .

كما تعود مرة اخرى الى فتح باب « العدد الماضي في الميزان » لتقويم الانتاج الذي نشر في العدد السابق ، عسى ان يبعث راقد العزم في كتابنا وادبائنا وشعرائنا فينفضوا ما ران على اقلامهم من وهن ولغوب .

وقد فتحنا بابا « لفتاوي المجلة » ، وهو باب يبعث اليه القراء بكل ما غمض عليهم من الشؤون الدينية وغيرها .

وان وزارة عموم الاوقاف لتعمل جادة على بعث الفكر الاسلامي ، ونشر آدابه وفلسفته ، وهي لا تضن بأي مجهود تقدمه في هذا السبيل اسهاما منها في خلق سوق فكرية عالمة ، تلتقي عندها اقلام ذوي الرأي والتوجيه في هذه المجلة التي هي :

كالضوء يصغر جرمه في نفسه ❊ ويفيض عنه النور من مصباحه

وبعد فان هذه المجلة بهمم قرائها وكتابها لن تشتكي بعد اليوم فقرها في الانتاج القيم والغذاء الصالح ، وأملها ان يهب علماء الاسلام في كل قطر من اقطاره لرفع راية الاسلام واعلاء كلمة الله ، ولينصرن الله من ينصره .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

حصة التفسير

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

للأستاذ: أبو العباس أحمد التيجاني

هذه الرحمة التي نشرها سبحانه على العباد ببعثته عليه الصلاة والسلام يتوقف اكتناه كنهها واداء ما تستحقه من الشكر والاغتباط على معرفة الظروف التي حفتها وحالة العالم في مجموعه في القرن السادس للميلاد بالقرب من ولادته صلوات الله عليه وسلامه لذلك رايت من الضروري القاء نظرة عامة على تاريخ تلك الفترة اقدم فيها للقراء صورة اجمالية مما كانت عليه الوضعية الاجتماعية السائدة اذ ذاك عند سائر الامم ، وبعد البحث واستقصاء البحث في كتب التاريخ لم اجد اوفى بالمقصود ولا اروى للغلة من تلخيص ما جاء في كتاب المؤرخ الشهير جول لابوم الذي سماه تحليل القرآن (سماه بهذا الاسم لانه حاول ان يجعل تبويبا للقرآن يجمع فيه الايات الواردة في كل مقصد بانفراده ؛ كالايات الواردة في الصلاة والايات الواردة في الجهاد والايات الواردة في نظام العائلة والمجتمع وهكذا تسهيلا على الناظرين في الكتاب العزيز) اجاد فيه خصوصا عند ما حلى جيده بمقدمة بعنوان حياة محمد استعرض فيها سيرة خاتم النبيئين على الوجه الذي تؤدي به امانة التاريخ وتقضي به نزاهة العلم . والى قراء مجلة دعوة الحق الغراء موجزا من هذه المقدمة :

« في القرن السادس للميلاد بقرب ولادة النبي العربي كان العالم في مجموعه يتخبط في فوضى داخلية وخارجية لم ينج منها لا صغير ولا كبير لا قوي ولا ضعيف ، اوربا رمى بها في هذه المأساة عاملان قاهران ، الاول ما اورثه الاحتلال الروماني في الشعوب المحتلة الخاضعة لاستبداد حكام روما مدنيين وعسكريين من ضغائن وتشوق للاخذ بالثار يوما ما والعامل الثاني ما دهم اوربا بوجه عام وروما بنوع خاص من تدفق سيول الامم المتوحشة من ارياف آسيا التي جعلت شعارها في الغزو كلمة قائدها الاعلى آتيلا الذي يقول : الموضع الذي يطأه حافر فرسي لا ينبت فيه ربيع وبالاختصار يقول المؤلف ان الفوضى غمرت الامم في مجموعها على نسبة تختلف باختلاف طبيعة البلدان وهكذا يمضي المؤلف في وصف الحالة لا يخرج من ظلام الا دخل فيما هو اظلم منه مسميا لعظم البلدان ولما جرى على ظهرها من وقائع ومآسي الى ان قال :

تلك هي الحالة التي باتت فيها الامم وظلت يموج بعضها في بعض الروح السائدة توقع الشر في كل وقت وحين والاستعداد لدفعه اكثر الرؤساء اتباعا اعلاهم صوتا في الدعوة الى النفير لغاية واحدة تحدو جميع الرؤساء هي السلب والنهب لا قانون الا قانون القوة الغاشمة على حد ما قيل : تعسا لمن غلب ثم اتبع المؤلف هذه الصورة المظلمة التي اناخت بكلكلها على العباد بقوله :

على هامش هذه الاضطرابات بقيت بقعة من بقاع الارض على الحياد لا يصلها صدى ما يجري وراء حدودها الا اقل القليل اللهم الا كان قريبا منها نوعا ما كالحروب التي دارت رحاها بين فارس والروم وذلك لان طبيعة بلادها التي هي في مجموعها صحاري جعلتها بمعزل عن المزاحمات مما صيرها شبه رمز للفراش الذي سيذوق فيه العباد لذة النعاس امنة من خالقهم .

بحكم ان الشيء بالشيء يذكر اقول ان من جعل المقابلة بين حالة الامم التي وصفها المؤلف وبين جزيرة العرب الهادئة المصونة بصحاريها وجد في هذه المقابلة تطبيقا وتمثيلا لقوله تعالى : « اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف

الناس من حولهم » (سورة العنكبوت الاية 68) ولا عجب فى حق كتاب يقول فيه منزله : « ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

بعد استعراض الحالة والوضعية التي كان عليها الناس بقرب البعثة المحمدية تخلص المؤلف الى الكلام على مولده عليه السلام ونشأته فى احضان عشيرته بني هاشم فى لهجة تنم عن نزاهة كبيرة فى خدمة العلم واداء امانة للتاريخ ثم انتقل الى الكلام على الحالة الاجتماعية فى مجموعها فى الجزيرة فقال نقلا عن المؤرخ الشهير دوزي ان ناحية البحرين والعراق كانت خاضعة لفارس وعرب سوريا تابعين للامبراطورية الرومانية وعرب وسط الجزيرة والحجاز كانوا تحت حكم تبع لقب الرؤساء الحميريين ، وفى الوقت الذي ظهر فيه النبي العربي كانت الجزيرة تتقاسمها من الناحية الاعتقادية الديانة اليهودية والمسيحية كلتاهما على جانب من القلة والوثنية التي هي الاغلبية ، وكان اليهود اشد الجميع تمسكا بدينهم واشدهم عداء لما سواه لذلك كان اليهود اصل الخصومات والفتن التي تقع فى امر الدين وعلى الخلاف من ذلك المسيحيون لسببين ، الاول كونهم اقلية خاملة رمى بهم فى الجزيرة الخوف من الاضطهاد المتطاير شرره بين الفرق المسيحية ، والثاني كون المعتنقين للمسيحية لا يفهمونها الا فهما مسطحيا لما فى كهنوتها من غموض وطقوس ، لا يفهم الناس المقصود منها .

بقي الوثنيون الذين هم الاغلبية منهم عبدة النجوم كقبيلتي جرهم ولخم وقيس غيلان ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر والاصنام التي يتحتونها ، الا ان هذه الوثنية لا تصل الى انكار الاله ، بل الكل يعتقد بوجود خالق واحد وانما الالهة شفعاؤهم يتوسلون بها فى قضاء حوائجهم ، والى جانب هذه المعتقدات كانت لهم عناية كبرى بالمحافظة على انسابهم ، والاعتزاز بها ، وكذا بشعائرهم ونبغائهم ، تشهد بذلك معلقاتهم العشر وما تركوه من الاثار والمحفوظات عن امثال قس بن ساعدة الايادي ، وسحبان وائل مما اورثهم سجايا وفضائل كالشجاعة والكرم والوفاء بالعهد ، كما هو مسطر فى الدواوين وكتب التاريخ حتى الافرنجية امثال كوسان ويرسفال وديفرجي ودوزي .

شاهد القارىء فيما تقدم صورة مما كانت عليه الامم فى مجموعها قبل البعثة المحمدية : من جهة نرى امما تقودها غرائزها فلا وازع ولا زاجر ، اوطانها مسرح للغارات وما يتبعها من مصائب واحقاد ، وليل كما نرى ارخى سدوله بين الخافقين لم يبق فيه للابصار ما ترى الا حمرة شفق من الانجيل يهمس بها بعض الرهبان فى الاديرة ، اقول حمرة شفق من الانجيل لان الانجيل الصحيح المتلقى مباشرة من سيدنا عيسى فقد كما اخبرت به كتب التاريخ منذ القدم ، ومن جملة هذه الكتب تاريخ الديانات لصاحبه بياررهم ، ونص ما جاء فيه بالحرف : (ان الاناجيل التي بايدينا اليوم ليست هي صدى كلام المسيح ، وانما هي قصص واخبار جمعها بعض المولعين بالاثار من اتباع الحواريين وذلك فى اواخر القرن الاول للميلاد ، ولا واحد من الاناجيل الاربعة تصح نسبته الى واحد من اصحابه عليه السلام (صفحة 191) .

فى هذا الليل البهيم الذي يصدق فيه قول ذلك الاديب الذي يقول :

لمـــا رايـت النجـم ســـاه طرفــه
والقطـــب قـد القـى عليـه سباتــا
وبنـات نعـش فـى الحـداد سواهـــرا
ايقنـــت ان صباحـــه قـــد ماتـــا

بينما الناس فى هذا الليل البهيم التي تاهت فيه نجومه يقطعه المستضعفون وقلوبهم تخفق تطلب وتنتظر الفرج ، لاح فجر مولد خاتم النبيئين ، وهبت معه نسمات الاسحار بالرحمة والبشائر على حد ما يقول الشاعر الفرنسي الاشهر فكتور هيكو على لسان سيدنا محمد : (سبقني عيسى بن مريم كما يسبق الفجر الشمس هو نور ونسيم وانا نور ونار : نور للهداية ونار للتطهير وجلاء الصدى عن القلوب) « نقلا عن كتاب حكاية القرون بتصرف خفيف » ، وحيث ساقتني صلة الرحم بين الواردات التي تتوارد على ذهن الكاتب الى الاستشهاد بكتب القوم فهذه ساعة اجابة داعي الضمير الى اماطة اللثام عن وجه بشرى هي روح وريحان لقلوب المومنين .

جاء فى كتاب ما وراء الموت لصاحبه ليون دوني المطبوع بباريز فى مطابع جان ميار ص 69 فى الفقرة الاخيرة من هذه الصفحة ما نصه على انه من كلام سيدنا عيسى للحواريين : (سياتيكم المسلي (هكذا) يعاد له عندنا كاشف الغمة) (بقيت عندي اشياء كثيرة لم اقلها لكم لانها فوق مداركم عند ما يجيء ذلك الصادق الامين يخبركم بجميع ما هنالك من حقائق) نقلا من المؤلف عن انجيل يحيى صاحب الانجيل الرابع فصل 16 الاية 12 و 13 .

علق المؤلف على هذه البشارة بما يلي بالحرف : ان الكنيسة لا ترى فى هذه البشارة الا الاخبار من المسيح للحواريين بنزول الروح القدس عليهم بعد بضعة شهور ولكن المؤلف لم يتمالك ان كر على الكنيسة بهذه الملاحظة المبكتة : (اذا كانت مدارك الحواريين لا تتسع للاشياء التي لم يقلها المسيح فكيف تتسع لها بعد مضي اربعين يوما التي هي المدة التي غاب فيها عن الحواريين ثم نزل الى الارض كما تزعم الكنيسة ، الواقع الذي لا مراء فيه ــ يقول المؤلف ــ هو ان البشارة المذكورة موجهة للانسانية جمعاء) .

كما ان البشارة او ما فيه التلويح اليها جاء برواية اخرى فى السفر الخامس من اسفار العهد القديم الاية 2 من الباب 32 (11 XXX) ونصـــه :

جبل سينا هو اسم الجبل الذي كلم الله فيه موسى وصيره اسما للمكان الذي بدا فيه الوحي على سيدنا عيسى وفاران اسم لمكة التي يولد بها النبي العربي يؤيد هذا انه جاءت الاشارة ايضا الى البشارة فى الانجيل الرابع انجيل يحيى ، الاية السابعة والباب 14 سمي بها النبي برقليطوس حرفها من حرفها ودلها بكلمة برقلاطوس بابدال الياء الفا ومعناه بالياء الحامد المحمود وبالالف الشفيع المنقذ وزعموا ان الشفيع اسم من اسماء المسيح (انظر التعليق الذي اسفل ص 12 من كتاب تحيل القرآن لبيار رهم المتقدم ذكره) .

ومهما يكن من امر فان انكار المنكر وجحود الجاحـــد لهذه البشارة اجبناه بما جاء فى المثل السائر لا دخان بلا نار خصوصا والبشارة متواتر نقلها من مشاهير المؤرخين النقـاد الاوربيين امثال من تقدم ذكرهم .

بعد استعراض ما كانت عليه الامم فى الفترة القريبة من البعثة وبعد ان عرفنا الجزيرة العربية بالنسبة لما سواها على النحو الذي بينته يمكننا ان نضع بعثته عليه السلام فى اطارها الذي هو مظهر كونها رحمـة للعالمين ، بينما الناس بعضهـم يموج فى بعض كما شرحه صاحب المقدمة اذ سمع رسول الله (صلعم) صوت السماء يناديه : « يا ايها المدثر قم فانذر » ــ فهب واخذ يجاهد لاحياء موات ارض القلوب وذلك بتحطيـــم الاوثان حسيها ومعنويها التي تحول بين العبد وخالقه لذلك نجد اكثر سور وآيات الوعيد ووصف جهنم نزلت فى مكـــة عاصمة الشرك اذ ذاك : (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منـه ، ضعف الطالـب والمطلوب) ، (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار ، وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) (ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الارض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ، واشرقـــت الارض بنور ربها ، ووضع الكتـاب ، وجيء بالنبيئيـن والشهداء) ، ويوم نسيـر الجبـال وتـرى الارض بـارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ، وعرضـوا على ربك صفـا : لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ، ووضع الكتاب ، فتـرى المجرميـن مشفقين مما فيـه ويقولون : يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلك ربك احدا) (هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهـم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهـر به ما فى بطونهم والجلود) .

ثم بعد احياء الموات وعملية التطهير التي تهيأ بهـــا الارض للزراعة جاءت نوبة بذر بـذور التشريـع وامهـات الفضائل ومكارم الاخلاق لبناء مجتمع يتوسع فيه طابع الخلافة التي تلقاها من ربه ابو البشر . وهنا تفتحت رياض الغيب عن روح وريحان يشعر فيها المومنون بتقارب بين الملك والملكوت ولما كان العدل هو اساس الملك وقانون التوازن فانني اقدم الكلام عليه بسرد بعض ما جاء فيه من الايات : (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكـم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) .

وفى المساواة يقول : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ، والقول الفصل فى هذا الباب نجده فى هـــذه القصة وهي ان جماعة من بني اسرائيل المجاورين للمسلمين فى المدينة على عهده عليه السلام اخذوا يفخرون بانهم شعب الله المختار وان اشهر الانبياء تحدروا من عنصرهـم وان القـرآن نفسه نوه بهم حيث يقول (واني فضلتكـم على العالمين) ، فيجيبهم المسلمون حقا كنتم وكنتم ولكنكم لما تجاوزتم حـد العصيان عزلتم ثم نظر سبحانه في خلقه وهو اعلم بهم فقال لنا: كنتم خير امة اخرجت للناس ــ وكذلك جعلناكم امة وسطـا لتكونوا شهداء على الناس ، وبينما هم فى هذا الحوار هـذا يقول وهذا يجيب اذ نزل قول احكم الحاكمين : ليس بامانيكم (يا اصحاب محمد) ولا باماني (يا اهل الكتاب) من يعمل سوءا (منكم ومنهم) يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، هذا الذي يقوله سبحانه لصفوة اصحاب نبيه الخليـــة الاولى للاسلام التي كانوا بها خير القرون خطاب يا له مـن خطاب فليعتبر من يعتبر وليتنبه من يريد النصيحة لنفسه اليـه يرجع الكثير واقواله صلوات الله عليه الواردة فى هذا المعنى امثـــال :

يا بني هاشم لا ياتينـي النـاس باعمالهـم وتاتونـي بانسابكم ــ يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا ــ وانذر عشيرتك الاقربين . كاني يوم القيامـة برجـل على ظهر جمل له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فيقول يا محمد فاقول قد بلغتك) .

ويقرب من هذا قوله جل وعلا : (والذين آمنوا ولـــم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) (نعم) وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكـم وبينهم ميثاق فانه لا نصر فى هذه الحالة ووجب الوفاء بالميثاق

فانت ترى انه قدم الوفاء بالعهود على الاخوة فى الدين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ـ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ـ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين .

هذه الروح التي تشع من هذه اللمحة التاريخية من حياته عليه الصلاة والسلام . اذابت الثلج المنجمد بيننا وبين العجم اصبحت ترى بعض علمائهم وفلاسفتهم الذائعي الصيت يمجدون النبي العربي ويشيدون باعماله وآثاره الى درجة زاحموا فيها المسلمين بالمناكب وربما فاقوا البعض والى حضرات القراء نموذج من بين النماذج من اقوال وآراء احد هؤلاء العظماء وهو لامارتين يجدها من ارادها فى تاريخ تركيا ، قال لافض فوه : (لم يعرف فى تاريخ البشر قديمه وحديثه ان رجلا تصدى عن قصد او عن غير قصد لمهمة اسمى واشرف من المهمة التي انجزها النبي العربي لان هذه المهمة عند من حسب لها حسابها لا يشك فى انها فوق الطاقة البشرية الا وهي تحطيم التماثيل والاساطير التي تحول بين المخلوق والخالق ، بين العبد والمعبود ، وذلك ببعث عقيدة جديدة من بين رفات العقائد المزيفة ، عقيدة يلتقي فيها تنزيه الرب والمنطق كما لم يعرف في تاريخ البشر ان رجلا من الرجال تصدى لانجاز مهمة لا نسبة بين عظمتها وصعوبتها وضآلة الوسائل المعدة لمجابهتها ، لان النبي العربي كان لا يعتمد الا على نفسه وعلى شرذمة من اصحابه فى صحراء جرداء .

كما لم يعرف ايضا ان رجلا تهيأ له انجاز مشروع تحققت فيه معجزة الجمع بين قصر المدة ، وعظمة المطلوب يشهد لذلك ان دعوته لم يمض عليها قرن ونصف حتى اصبح الاسلام ملقيا جرانه متبوئا اوطانه فى عموم الجزيرة محتلا لبلاد فارس وخرسان وطبرستان والهند الغربية وما ولاها من جزر ومصر والحبشة وجميع ما كان معروفا من القارة الافريقية الى جزر كثيرة في البحر المتوسط واسبانيا وجزءا كبيرا من فرنسا فى حين ان المؤسس والمشيد لهذا الصرح كان يرضى دائما بعيشة تقشف وخفض جناح مع صبر وثبات لا يجد اليه اليأس سبيلا .

ما هو الذكر الذي تركه هذا الرجل الذي لم يعرف زينة ولا زخرفة فى ترفع عن البخل وما اليه من مذام الاخلاق .

ما خلف هذا الرجل الذي وصفت من متاع الدنيا ، خلف دارا تولى بناءها بيده وبعض رؤوس من الابل على ان هذا المتروك رجع للامة عملا بقوله : نحن معاشر الانبياء لا نورث ، هذه العبقرية الملكوتية هي التي انقذت امانة السماء المقدسة من ظلمات الشرك والجهالة التي تحجبها وبقيت سارية فى اتباعه من بعده وها راية الاسلام ترفرف الى اليوم على ثلث العالم .

كل من ذاع صيتهم من العظماء بعضهم حرك السلاح وبعضهم القوانين والبعض اسس الممالك ولكنها ممالك انهارت فى كثير من الاحيان قبل المؤسسين لها لانها مادية فقط بخلاف هذا الرجل فانه حرك الجنود وسن الشرائع وشيد الممالك والامم تعد بملايين من البشر تعمر ثلث المعمور والى جانب ذلك حرك المنابر والديانات وكل ما له صلة بالملك والملكوت بما كون به ـ وطنية روحية تظل امما مختلفة الاجناس واللغات وسمها بطابع البغض للشرك فى سائر مظاهره والاستمساك بحبل توحيد لا تنفصم عراه ، توحيد انتصرت فيه السماء من كل ما انتهك حرمتها الملكوتية من رجس الوثنية وما يمت اليها بصلة اساس هذا كله كتاب غدا كل حرف من حروفه له حرمة تشريع فى حد ذاته ، ولئن كان هذا يعد معجزة فى حق الاسلام الذي جاء به فهو بقدر ذلك معجزة المنطق والعقل ، وبعبارة اخرى ان التوحيد الذي صدع به النبي العربي كان بمثابة قنبلة انفجرت من بين شفتيه التهمت نيرانها جميع معابد الوثنية وما حوت ، واشرقت انوارها على ثلث المعمور ، فهو فى آن واحد فيلسوف وخطيب وداع الى الله ومشرع وقائد حروب ، وفاتح لعوالم فكرية وباعث للعقيدة الصحيحة لدين لا نصب فيه ولا تماثيل ، ومؤسس لعشرين دولة وامبراطورية روحية ، هذا هو محمد فباي رقم قياسي من بين الارقام القياسية التي تقاس بها العظمة الانسانية نقيسه ؟ اين هو الرجل الذي بلغ سمت هذا الرجل ؟ بقي لي ان اعلق على شهادة هذا الفيلسوف العظيم بما يلي :

عموم الاوربيين يجدون لذة فى اتهام الاسلام والمسلمين بالتعصب فها انا فى الرد على هذه التهمة ادلي لهم بشهادة بطريق من اشهر رؤساء المسيحية وهو البطريق ميشو فى كتابه جولة فى الشرق الادنى ونصها :

(من المحزن فى حق الامم المسيحية ان يكون التسامح الذي هو قانون التراحم بين الشعوب علمه لهم المسلمون) (نقلا عن كتاب تحليل القرآن) وهذه الشهادة من رجل يعد من اركان المسيحية تتجلى ناصعة فى قضية فتح بيت المقدس ودخول سيدنا عمر لكنيسة القيامة مع حاشيته وبمحضر خالد بن الوليد وابي عبيدة رضوان الله عليهم وساخصص هذا الحادث بمقال ان شاء الله .

الرباط : ابو العباس احمد التيجاني

حصة الحديث

أشدكم بلاء الأنبياء.....

للأستاذ : محمد الطنجي

1) اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسن دينه فان كان في دينه صلبا أشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة .

حديث شريف

قامت الاديان السماوية على الايمان بخالق الاكوان وحده لا شريك له وعلى سمو المبادىء واصول الاخلاق الفاضلة وحب الخير العام لجميع البشر واجتناب الشر ومقاومته حيث كان بحيث يصير المتمسك بتعاليمها مثالا حيا للكمال الانسانى ولكن غرائز البشر الجامحة فى اتباع الشهوات كثيرا ما تصرف بعض الناس او كثرهم عن الاتجاه القويم الذي رسمته الاديان وشرائع الله فتتجدد رسل الهداية الى الخلق حتى تكبح جماعة المنحرفين وترشد الضالين وبقدر اختلال تعاليم الاديان الصحيحة السليمة بين البشر فى مختلف ادوار التاريخ كانت مهمة الرسل اولي العزم واتباعهم المتفانين فى المحافظة على شرائعهم شاقة وصعبة ، وكان ابتلاؤهم واختبار نفوسهم فى التبريز فى الميادين الاصلاحية بالغ وتزداد هذه المشقة والاهمية بقدر تنوع ميادين الاصلاح .

وشريعة الاسلام التي جاء بها خاتم النبيئين فى نظر الباحث المنصف اوسع الشرائع السماوية موضوعات واعمها تناولا لشؤون الحياة البشرية ذلك انها جاءت لامور :

اولا : لاصلاح العقائد الفاسدة ومحو الوثنية والشرك

---

1) ذكر هذا الحديث المحدث الشيخ ابراهيم المعروف بابن حمزة الحسيني فى تاليفه اسباب ورود الحديث . وقال اخرجه الترمذي والنسائي فى الكبير وابن ماجى وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم كلهم من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه رضي الله عنه ،واورد اوله البخاري ترجمة ولم يخرجه ومن ترمز له ابن حجر فى ترتيب الفردوس وتبعه السيوطي فى جامعيه ، (سببه) عن سعد بن ابي وقاص قال : قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال : اشد الناس بلاء الانبياء فذكره انتهى .

وعاصم هذا هو صاحب الرواية المشهورة فى قراءة القرآن وهو حجة فى القراءة قال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب عاصم بن بهدلة وهو ابن ابي النجود بنون وجيم الاسدي مولاهم الكوفي ابو بكر المقرىء صدوق له اوهام حجة فى القراءة وحديثه فى الصحيحين مقرون ، من السادسة مات سنة ثمان وعشرين اي بعد المائة ، اما مصعب بن سعد فقال عنه بن حجر فى التقريب مصعب بن سعد بن ابي وقاص الزهري ابو زرارة المدني ثقة من الثالثة ارسل عن عكرمة بن ابي جهل مات سنة ثلاث ومائة .

اما سعد فهو فاتح العراق واحد العشرة المبشرين واحد الستة الذين جعل عمر الشورى اليهم فى تعيين خليفة للمسلمين وقال عمر فى حقه ان اصابته الا مرة فذلك والا فليستعين به الوالي مات سنة ست وخمسين من الهجرة وهو احد ابطال الاسلام وترجمته تحتاج الى بسط ليتمعن الشبان المثقفون المومنون فى عظمة اسلافهم من ابطال اهل الايمان .

وتكسير الاصنام والمعبودات غير الاله الواحد سواء كانـــت بشرية او حجرية ، وذلـك لا يكـون الا بوسائل كتحريـر العقول ومحو الاوهام واقتلاع جذور الخرافات من المجتمعات البشرية ، ومن المعلوم ان العقيدة اذا تمكنت من النفوس سواء كانت صحيحة حقا او فاسدة باطلة تصعب ازالتها ومحوهـا وغرس عقيدة جديدة في مكانها ولذلك تحتـاج الدعـوة الى صبر وثبات راسـخ سمـي اصحابهـا من رسل الله الاقويــاء بمعنوياتهم باولي العزم وكثيرا ما وردت الايات بتقويم عزم الانبياء والتنويه بصبرهم كما قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسـل وكان الله يسلي نبيـه بان الرسل قد كذبهم قومهم قبله ثم آمن الذين كتب الله في قلوبهم الايمان ، قال تعالى : (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قـوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مديـن وكذب موسى) ، وخاطبه بقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال فلعلك باخع نفسك على آثارهـم ان لم يومنـوا بهـذا الحديث اسفا .

ثم بين الله لنبيه ان مهمته هي التذكير وتبليغ الشريعـة وانه ليـس مـو'ولا عن القوم المكذبين بعد تبليغهم دعوة الاسلام (ما على الرسول الا البلاغ) فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر .

ثانيا : جاءت الشريعـة الاسلاميـة بعد عقيـدة توحيـد الخالق بتبيين العبادات التي يستحقها الخالق من صلاة وصيـام وزكاة وحج لمن استطاع وهذه مع التوحيد والشهادة بالرسالة هي قواعد الاسلام الخمس التي يلزم كل مومن ان يقوم بهـا وقد دا'ب الرسول عليه السلام على اقامـة هـذه القواعد منـذ فرضها الله عليه وعلى امته يعلمها قولا وعملا ويبين فوائدهـا ويحافظ على اركانها وشروطها ويوءسس المساجد للصلاة التي هي روح العبادة حتى كانت الصلاة والتوجه بخشوع وخضوع واخلاص لله هي قرة عينه عليه السـلام . ثم بعد التوحيـد والعبادات التي تزكي النفوس وتطهرها وتهذبها يأتـي دور الاسرة البيتية والمعاملات وما تتطلب من تشريعات في الاحوال الشخصية والامور المدنية والجنائية ومحاربة المنكرات ومفاسد الاخلاق والامر بالمعروف ومحاسن الاخلاق ونشر الفضيلة حتى يكون المجتمع الاسلامي فاضلا طاهرا بعيـدا عن الفواحـش والرذائل متحليا باجمل الفضائل ، له تقاليد صالحة وآداب في المعاملة والسلوك ناجحة تجلب الى النفوس الاطمئنان والاستقرار وتجعله راسخ القدم في العدل والمروءة والتعاون على البر على مر الاعصـــار .

وهذه المهام لاترسخ في اي مجتمع الا بجهاد وابتلاء في معركة التشييد والبناء حتى تتوحد به اهداف الامة وتشيع فيها الفضيلة والعدل والرحمة بتربية جميع افراد المومنين على فعل الخير وحبه ، فتتماسك اجزاء المجتمـع حتـى يصير كالجسـد الواحد كل عضو له وظيفته الخاصة في دائرته ومحيطه تتعاون مع الاجزاء الاخرى على سلامته وحفظه وهذا هو مثل المجتمع الصالح المتعاون على الخير الذي يريـد الرسـول الاكـرم ان يكون عليه مجتمع الامة المحمدية كما يرشد اليه قوله : مثـل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهـم مثـل الجسـد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى .

وهذه الالمامة القصيرة تبين لنا عقيدة المجتمع وتبليـغ الشريعة له وتربيته على تقاليد وآداب جديدة لـم يالفهـا من من قبل هي اشق مهمة في الحياة البشرية اذا تكلفت بها جماعة فما بالك اذا بعث بها افراد مخصوصون في احقاب من التاريخ لا شك ان كفاحهم من اجل تغيير اوضاع الحياة في المجتمعات باحداث هذه الثورات الاجتماعية الكبرى هو اشد البلاء واعظم الجهاد ولذلك كان هذا الكفاح العظيم ظاهرة بارزة في حياة الرسل والانبياء الذين اختارهم الله لتبليغ رسالتـه وهدايـة خلقه ، وكثيرا ما اوذوا وقتلوا او اخرجوا من ديارهم بغيـر حق لان شدة ايمانهم ويقينهم باحقية دعوتهم تجعلهم حسـب امر الله لا يقبلون هوادة او مساومة من اي شخص امـام اداء امانة رسالتهم او على حساب المبادىء التي يدعون اليها فالامر لله يضعه حيث يشاء ولا يقبل الرسول من اي شخص ان يومن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ويحسب من اتباعهم من اي طبقة كان بل يجب الايمان بجميع الشريعة والعمل طبق هذا الايمان العام الشامل الذي يشمل العقيدة والقول والعمل ، طبق الحديث الصحيح ، ان للايمان شعبا وان اعلاها كلمة التوحيد وادناها اماطة الاذى عن الطريق ، وعلى اساس من يعمل مثقـال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . فللمومنين دينهـم اعتقادا واقوالا واعمالا واحكاما وسلوكا واخلاقا ، وللكافرين دينهم بما فيه كما قالت الاية : (لكم دينكم ولي ديني) وفي اخرى : (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) .

فالايمان طيب لا يكون الا مع الاعمال الطيبة الصالحـة الا اذا حصل عصيان من مومن من جهة العمل فهو الى الله ان

شاء عاقبه وان شاء غفر له ما دون الشرك ، والكفر خبيث يكون مع ما يجانسه .

ورسول الاسلام اقام يدعو الى الله ويصبر على اذى المشركين مدة طويلة حتى دخل فى دين الاسلام جماعة امكنها حماية دعوته بالقوة بعد ان اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله ، فكان اذن الله لنبيه فى رد العدوان فتحول طور الدعوة الى انتصاف المظلومين من الظالمين ، فكان الكفاح وحسن البلاء ، والصبر عند اللقاء وكان فى طليعة المجاهدين قائدهم الباسل ، ومربيهم الروحي الفاضل ، وحاكمهم النزيه العادل ، ومبلغ شرع الله الكامل ، (محمد رسول الله) فصدق عليه وعلى جميع اخوانه الانبياء الحديث الذي جعلناه عنوانا لهذه الكلمة ، اشد الناس بلاء الانبياء ، الحديث .

وهذا البلاء يشمل الابتلاء فى المعنويات ومشاق تبليغ الدعوة كما يشمل البلاء فى الابدان بالامراض التي لا تزري بقدرهم العظيم ، وبالصبر على قلة المال ، وعلى الزهد فى زهرة الحياة الدنيا ، كما قال الله مؤدبا لنبيه (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وابقى) واول من ورث عن النبي العظيم الصلابة في الحق والزهد فى متاع الدنيا خليفتاه ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب فكانت لهما المواقف التي بيضت صفحات التاريخ الاسلامي بالحق والعدل ، والنزاهة والعفة والفضل ، وقد اتبعا من جاء بعدهما من الصديقين والاخيار وحسب المصلحين والقادة المومنين ان يجعلوا سيرة الرسول وخلفائه الراشدين منارا يهدون بهديها ويصلحون الامة بالسير على نهجها ، حتى يكون الله بعونه معهم (الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

الربـاط ـ محمد الطنجي



الإسلام إزاء الفكر الغربي

للأستاذ: أحمد أنور الجندي

كان الفكر الاسلامي بلا ريب وباجماع منصفي الباحثين من المصادر الاساسية ، للثقافة الغربية المعاصرة وللفكر الانساني العالمي الحديث ، كما كانت علوم الاسلام من اسس هذه الحضارة .

وقد جحد الفكر الغربي هذه الحقيقة ، وحمل على الاسلام حملته الظالمة دون تقدير لاي انصاف او رعاية لحق غير منكور واذاع لى لسان اعلامه وكتابه ان الفكر الاسلامي مضطرب وناقص ، وان الاسلام نفسه مليء بالقصور والعجز على النحو الذي كشفت عنه كتبات فولتيير ولامانس وفنسك و ... وغيرهم من اقطاب الفكر الغربي الحديث ..

وتوالت هذه الاتهامات وتتابعت على السنة السياسيين ودعاة الكنيسة والتبشير والمؤرخين والصحفيين .

وحاولت ان تاخذ طابع العلم والبحث القائم على الاصول والمراجع والوثائق وهدفها اساسا تأكيد المشاعر الاساسية فى النفس الغربية بكراهية الاسلام والحقد عليه واحتقار اهله ، وحتى تكون حجابا كثيفا امام المثقفين فلا يصلون الى حقيقة الاسلام وجوهره الا من خلال هذه الابحاث .

غير ان الاسلام بقوته الذاتية وقدرته الكامنة فى اصول واسعة رفيعة قد استطاعت ان تشق طريقها بقوة ، وان تحفر مجرى جديدا فى الفكر الغربي ، لم يلبث هذا المجرى ان توسع فاصبح تيارا قويا .

لقد استطاع الاسلام عن طريق كتابات الغربيين انفسهم التي تحمل الخصومة والتعصب ان يكشف عن نفسه ، وان يحمل الى قلوب الباحثين ... المنصفين المتطلعين الى الحقيقة والذين لم يتورطوا فى هوى خاص او صلات سياسية مع دوائر الاستعمار ، ومن ثم اقتحم هذه النفوس والقلوب فى بساطة ويسر واشراق ، وتمكن من السيطرة عليها حتى دفع اهلها الى ان يكتبوا كلمة الحق ، وان يتحولوا عن معتقداتهم القديمة، وان يؤمنوا به ايمانا كاملا ، وان يتقوا به ثقة فكر وثقافة ومنهم من انصفه بخير ما انصفه به اهله ، ومنهم من آمن به ايمانا واعتنقه سرا او علانية ، وقد آمن هؤلاء واولئك بانه السبيل الوحيد الى خير الانسانية والنظام الامثل للحياة البشرية والسناد الحقيقى للحضارة الحية ، وانه هو الذي يستطيع ان يحميها من الدمار والهزيمة والسقوط .

وبذلك استطاع الاسلام بقوته الذاتية ان يحقق غزوة جديدة للفكر الغربي هي اشد قوة وبأسا من غزوته القديمة التي انكرها جحود الغرب وان تجد مجرى قويا لتيار ضخم يرى فى الاسلام منقذا من اضطراب البشرية وامنا لقلق الانسانية .

وليس معنى هذا ان الفكر الغربي منصف اوانه قد تخلى عن عقائده الاساسية فى الايمان بالوثنية اليونانية والثقافة الرومانية التي صاغ على اسسها « المسيحية الاوربية » التي تختلف اختلافا كاملا واساسيا عن المسيحية الحقيقية التي تعرفها فى الشرق . هذه المسيحية الجديدة التي قادت المعارك الصليبية وحملت لواء سحق كل ما سوى الغرب من قوى ، والتي بعدت بعدا كبيرا عن الاسس التي جاء بها المسيح سلاما على الارض ومحبة للناس ...

ولكن معنى هذا التيار هو ان للاسلام قوة ذاتية تفرض سلطانها على العقول المجردة وان المقارنة المنصفة بينه وبين العقائد تكشف عن جوهره البسيط السمح النقي .

واذا كان هؤلاء الكتاب من المنصفين قد حاولوا ان يبرروا غدر المتعصبين من المفكرين فليس معنى هذا ان الفكر الغربي قد تخلى عن تعصبه العميق وحملاته العنيفة وطعناته المستمرة للاسلام وقيمه وتاريخه ولغته وفكره .

ولقد حملت كتابات المنصفين صورة الاعتذار عن عنف

الخطأ الذي ساقته كتابات المتعصبين ، حتى ان كارليل وهو في مقدمة من تصدوا لكشف الحقيقة يقول : لقد اصبح من اكبر العار على اي فرد متمدين من ابناء هذا العصر ان يصغي الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب وان محمدا خداع مزور ، وان لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا ، افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء كذبة وخدعة .

اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابدا ، ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول . فما الناس الا بله ومجانين، وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة كان الاولى بها الا تخلق. فوا اسفاه ما اسوأ مثل هذا الزعم وما اضعف اهله واحقهم بالرثاء والرحمة ، وبعد فعلى من اراد ان يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات الا يصدق شيئا البتة من اقوال اولئك السفهاء فانها نتائج جيل كفر وعصر جحود والحاد وهو دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الارواح في حياة الابدان ، ولعل العالم لم يرقط رأيا اكفر من هذا وألأم ، وهل رايتم قط معشر الاخوان ان رجلا كاذبا يستطيع ان يوجد دينا عجبا ، والله ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتا من الطوب ، فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه بيت ، وانما هو تل من الانقاض وكثيب من اخلاط المواد ، نعم وليس جديرا ان يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الانفس ولكنه جدير ان تنهار اركانه فينهدم فكأنه لم يكن ، واني لاعلم ان على المرء ان يسير في جميع اموره طبق قوانين الطبيعة والا ابت ان تجيب طلبته وتعطيه بغيته ، كذب والله ما يذيعه اولئك الكفار ، زخرفوه حتى خيلوه حقا ، وزور وباطل وان زينوه حتى اوهموه صدقا ، ومحنة والله ومصاب ان ينخدع الناس شعوبا وامما بهذه الاضاليل ، وتسود الكذبة وتقود بهاتيك الاباطيل ، وانما هو كما ذكرت لكم من قبيل الاوراق المالية المزورة يحتال لها الكذاب حتى يخرجها من كفه الاثيمة ويحيق مصابها بالغير لا به واي مصاب وايكم ؟ مصاب كمصاب الثورة الفرنسية واشباهها من الفتن والمحن تصيح بملء افواهها « هذه الاوراق كاذبة (✱) » .

اما « جوستاف لوبون » فانه يكشف عن عجز النفس الغربية في الاعتراف بالفضل لاصحاب الفضل وينعي ذلك عليهم في عبارة صريحة .

« عزيز على ابناء قومنا ان يقرروا بان الرواية المسيحية لم تخرج من ظلمات الهمجية الا بفضل الكفار وليس بهين قبول هذا الامر المحض ظاهرا .. »

ويقول : « ان استقلالنا الفكري لم يكن في غير الظواهر، واننا لسنا من احرار الفكر في بعض الموضوعات ...

وقد تراكمت اوهامنا الموروثة في الاسلام والمسلمين بتعاقب القرون فصارت جزءا من مزاجنا وتشبه هذه الاوهام المتأصلة التي اصبحت طبيعة ثانية فينا حقد اليهود الخفي العميق على النصارى . فاذا اضفنا الى اوهامنا الفاسدة الموروثة على المسلمين الزعم الباطل الاتي الذي زاد مع القرون بفعل ثقافتنا المدرسية التقليدية البغيضة : وهو ان اليونان واللاتين هم وحدهم منبع العلوم والآداب في الزمن الماضي ادركنا السر في جحودنا العام لفضل العرب العظيم في تمدين اوربا .

ويتراءى لبعض الفضلاء ان من العار ان تكون اوربا مدينة في خروجها من دور التوحش للعرب الكافرين ولكن من الصعب ان يحجب مثل هذا العار الوهمي وجه الحقائق . »

ويقول : « والسهولة التي تنتشر بها شريعة القرآن في العالم شاملة للنظر والمسلم حيث يمر يترك خلقه ودينه ، والاسلام ينتشر اينما حل ولم تتأصل شأفة الاسلام بعد ان رسخ ، ولقد اصاب مسيو دوفال حيث قال : « من فضل الاسلام واحسانه ، زوال الاصنام والانصاب عن الدنيا وتحريم القرابين البشرية واكل لحوم الانسان وحفظ حقوق المرأة وتقييد مبدأ تعدد الزوجات وضبطه وتوطيد اواصر الاسرة وجعل الرقيق عضوا فيها وفتح ابواب كثيرة لتحريره ، وتهذيب الطبائع العامة ورفع مستواها بالصلاة والزكاة وتثقيف المشاعر بالعدل والانصاف واقامة المجتمع على اسس قوية قويمة .. ومقاومة المنكرات بالعدل الالهي .. » (✱) .

ويصف خالد شلدريك المستشرق البريطاني المسلم كيف ان كتب الخصومة للاسلام هي التي هدته الى الاسلام وكشفت امامه الطريق الى الحق فيقول: «لم اتلق هذا الدين في اول الامر من كتبه ولكني تلقيته من كتابات الطاعنين عليه . لقد حملني البحث والتأمل الى درس الديانات .. الاخرى ، فدرست البوذية والبرهمية وسائر الاديان وفي دور الكتب العامة بانجلترا بحوث من كل دين ما عدا الاسلام ، فان الكتب التي الفت عنه مملوءة بالتحامل والمطاعن والغرض الظالم وزعموا ان الاسلام ليس دينا مستقلا ، ولكنه اقوال محرفة عن كتب المسيحيين وقد تساءلت في نفسي ، اذا كان الاسلام لا اهمية له

(✱) كتاب الابطال تاليف توماس كارليل ـ ترجمة محمد السباعي ـ 1911 .

(✱) حضارة العرب تاليف جوستاف لوبون وترجمة عادل زعيتر ـ 1945 .

الى هذا الحد فلما ذا هم يبذلون كل هذه الجهود .. للتحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه ، وقد وقر فى نفسي انه لولا ان الاسلام دين يخشاه هؤلاء الناس ويحسبون حسابا كبيرا لما فيه من القوة ... والحيوية ، لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته والطعن فيه وتشويه سمعته ، لذلك عزمت على قراءة هذه الكتب التي كتبت عنه واحدا واحدا . والاسلام لا يخفيه انتقاد منتقديه ، فمنتقدو الاسلام انما يظهرون وجهة نظر خصومه ، ومن هذا مصلحة له وقوة ودعوة ، والحق يبدو مهما حاول المبطلون اخفاءه . »

اما «اميل درمنجم » فانه يمثل قوة المد فى هذه الحركة حيث يعلن فى جرأة اخطاء المستشرقين وتحيزهم ، ويقول : « انه لا يوجد احد فى الدنيا امكنه ان ينكر وجود محمد ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية . اما من الجهة الاوربية فقد كانت الاوهام والعداوات الدينية تحول دون درس حقيقي علمي لنطفة منشيء الاسلام ».

وقال : انه من القرن الثاني عشر الى القرن التاسع عشر ارتكبت اغلاط كثيرة امثال باسكال وريموندول وبوستل ورولان ورنان وفولتير ومونتسكيو .

وقال ان اكثر العداوة بين المسيحيين والمسلمين انما جاءت من المسيحيين وقد ايد هذا (لـ . جوفارا) فى كتابه مائة مشروع لتقسيم تركيا . (*)

وقد عاد فولتير فغير رايه فى قاموسه الفلسفي فقال : « لقد نسبنا الى الاسلام كثيرا من السخافات وهو فى الحقيقة خلو منها ، ولكن كهنتنا كتبوا كتبا كثيرة فى ذم الاتراك ، واتفق ان كان الاتراك مسلمين ، فاصيب الاسلام على حساب غيره » . (*)

واعترف هنري دي شامبون مدير جريدة (ريفوبار لمنتر) الفرنسية بالاثار التي عادت مع اوربا نتيجة لتوقف المد الاسلامي فى اوربا بعد معركة بواتيه « لولا انتصار جيش (شارل ماتل) الهمجي على تقدم المسلمين فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما اصيبت بفظائعها ، ولا كابدت المذابح الاهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي، ولولا ذلك الانتصار البربري على المسلمين لنجت اسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ، ونحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة مع اننا نزعم اليوم ان لنا حق السيطرة على جميع الشعوب العريقة فى الفضائل ، وحسبها انها كانت مثال الكمال البشري فى مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية، وانه لكذب وافتراء ما ندعيه من ان الزمان قد اختلف وانهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى .. »

ومثل هذا ما ردده كلود فارير حين اعترف بانه « اتاحت على الانسانية عام 32 بعد السبعمائة للميلاد كارثة لعلها اسوأ ما شهدته القرون الوسطى ، تخبط من جرائها العالم الغربي سبعة قرون او ثمانية فى الهمجية ، قبل ان تظهر النهضة هذه الكارثة هي ذلك النصر الهائل الذي احرزته فى بدايته جماعات الهركاس المتوحشين يقودها شارل مارتل على فرق العرب والبربر ، فى مثل هذا اليوم المشؤوم تقهقرت الحضارة ثمانمائة سنة ، وحسب المرء ان يذكر ما كان يمكن ان تصل اليه فرنسا ، لو ان الاسلام النشيط الحكيم الحاذق الرصين المتسامح ـ اذ الاسلام هو كل هذا ـ استطاع ان ينتزع وطننا فرنسا من فظائع لا نجد لها اسما .. » (*)

ولعل هذا الاتجاه يبدو اشد وضوحا حين نعرض لقصة ليون روش السياسي الفرنسي الذي اقام فى بلاد الاسلام ثلاثين عاما وتعلم اللغة العربية وفنونها وقرأ العلوم الاسلامية وعاشر المسلمين فى الجزائر وتونس ، والاستانة ومصر والحجاز ، ولندع ليون روش نفسه يروي تجربته كما سجلها فى كتابه الصادر 1904 بعنوان « ثلاثون عاما فى الاسلام » (*)

يقول : « اعتنقت دين الاسلام زمنا طويلا لادخل عند الامير عبد القادر الجزائري دسيسة من قبل فرنسا وقد نجحت الحيلة ووثق بي الامير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له ، فوجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثيرون افضل دين عرفته ، فهو دين انساني طبيعي اقتصادي ، ادبي ، ولم اذكر شيئا من قوانيننا الوضعية الا وجدته فيه « مشروعا » بل اني عدت الى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها اخذت اخذا من الشريعة الاسلامية ثم بحثت فى تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين ، فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما ، ثم وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب .

ولقد وجدت فى الاسلام حل المسألتين الاجماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا : (الاولى) فى قول القرآن (انما المومنون

(*) حاضر العالم الاسلامي . تلخيص شكيب ارسلان لكتاب حياة محمد لاميل درمنجم .
(*) المؤيد ــ 19 مارس 1908 .
(*) ترجمة محمد لطفي جمعه ــ البلاغ الاسبوعي (4 سبتمبر 1929)
(*) ترجمت (المنار) هذا الفصل ونشرته م 7 ص 520

اخوة) فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية و (الثاني) فرض الزكاة على كل ذي مال وتحويل الفقراء حق اخذها غصبا اذا امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا .

انه دين المحامد والفضائل ، ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق العلم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون ارقى العالمين واسبقهم الى كل الميادين .

ويكشف حقيقة الاسلام رجل اتصل باهله قنصلا لبلاده ، في تقرير رسمي طبع ونشر عام 1878 هو السر ريتشارد وود الذي عمل في دمشق والجزائر ، يقول في تقريره : (✱)

ان من اوهام الناس ان الاسلام يمنع مساواة اهل الذمة بالمسلمين فيما لهم وما عليهم ، وينبو عن الاخذ باسباب التقدم والحضارة لانه لا يختار انتشار المعارف والتحلي بالعلوم ، وهذه الاوهام باطلة .

ان كثيرا من مؤلفي الافرنج يزعمون ان المسلمين لا يتسنى لهم التقدم .. والارتقاء في معاريج الحضارة ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التي يقولون انها لا تلائم المعارف واكتساب الفنون ، وهذا وهم نشأ من الجهل بمقاصد القرآن ، ويكفي برهانا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام وعناية علماء العرب بالمعارف والفنون ودرسهم كتب الحكماء الاقدمين امثال ارسطو واقليدس وابقراط .. وبطليوس ...

واكبر بواعث سوء الفهم ، وهو انتشار الظن في اوربا بان الاسلام دين القوة والسيف ، وهذا الظن مخالف للواقع .

والذي يبحث بحثا دقيقا عن اسباب الفتن التي سفكت فيها الدماء في الشرق يعلم ان الباعث الوحيد على حدوثها هو اصبع السياسة الاجنبية التي تنتهز الفرص لايقاد نار الفتنة بين ذوي الاحقاد .

ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة ، وواقعة المتاولة ، والبلغاريين فقد تبين ان الاعتداء انما يبتدىء من جانب النصارى (وكان ريتشارد وود قنصلا لدولته في دمشق عام 1860 عند حدوث فتنة الدروز والموارنة) .

★ ★ ★

فاذا انتقلنا الى باحث آخر كالدكتور بول دي ركلا نجد صورة جديدة من صور الدفاع عن الاسلام والاعتراف به على نحو منصف مستنير :

« (✱) ان لنا ان نعرف ويعرف العالم اجمع جوهر هذا الدين لان معلوماتنا عنه ليست قليلة فحسب بل هي سيئة جدا ، واري من جهة ثانية انني اكون اسديت الى قومي الفرنسيين خدمة جلى اذا اوقفتهم على حقيقة دين جاء بمبادىء فيها كل الفوائد لاعمالهم اللهم اذا انقادوا للحق واتبعوا اوامره الجليلة ..

دين يجب الا نكتفي بتسميته دينا ونقف بل لنعطه اسمه الحقيقي ولنسمه فلسفة دينية فنكون قد اعطيناه مركزه بين الاديان .

ولست بمغال اذا صرحت علنا وقلت ان الاسلام مفتوح بابه على مصراعيه وهو واسع الارجاء لتلقى الرقي الحديث الذي انتجته الاجيال الطويلة ، وليس كما يزعم البعض بمحدود الاطراف وضيق المدخل ، لان تعاليمه الرفيعة وضعت لكرور الدهور ، وستبقى خالدة وضاءة الانوار تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور .

ويكفيه فخرا انه لا يقر مطلقا بالقاعدة الشاملة (لا اسلام خارج الكنيسة) التي يتبجح بها كثير من الناس وقد اظهرت لنا الايام وخيم عاقبتها .

وهو الدين الوحيد الذي حل بعدل مشكلة حقوق البنين، وواجباتهم باعترافه بالمولود ضاربا عرض الحائط بالترتيب الغريب المخالف لنظام الطبيعة ونواميسها الذي اوجده الدين الكاثوليكي بحق الاولاد الشرعيين وغير الشرعيين ، اذ فرق الدين الكاثوليكي بينهم ، فاعطى الاول كل الحقوق وحرم الاخر من كل الحقوق . فعمل كهذا مناف لسنن الطبيعة وجريمة كبرى تقترفها بحق الاولاد غير الشرعيين .

وان الاسلام هو الدين الوحيد بين جميع الاديان الذي اوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب الى الفسق والفجور ويكفيه فخرا انه قدس الانسال وعظمها ليرغب الرجل بالزواج ويعرض عن الزنا المحرم شرعا وتشريعا .

وان الاسلام قد حل بعقلية عادلة اغلب المسائل الاجتماعية التي لم تزل للآن تشغل مشرعي الغرب بتعقيداتها .

★ ★ ★

فالاسلام هو الدين الديمقراطي الوحيد سواء اكان بتعاليمه ام بشرائعه او بعاداته ، فهو لا يعترف مطلقا بالزعامة الدينية ، وما الرتب والالقاب سوى نعوت شرقية تعطى لبعض

(✱) ترجمة السيد محب الدين الخطيب ــ وطبعته المطبعة السلفية (القاهرة) .

(✱) مجلة العرفان (صيدا) ص 166 م 22 (1931) (13) .

الاشخاص الذين لهم مركز بين في الهيئة الاجتماعية ولا تورث للاعقاب . فالاسلام وهو يرقى مستمر ، يستحـق ولا ريب ان تدرس تعاليمه من قبل عظماء رجالنا الموكل اليهم امر نشـر نفوذنا ومع الاسف قد اساءوا العمل باحتقاره لانهم يجهلون جوهره الثمين ومساقون الى اتباع خطى اسلافهم فهم مقلدون ليـــس الا ...

ويكشف (ايتان دنيه) عن تعصـب قومه ، في كتابـه « محمد نبي الاسلام » فيقول : لقد مضى عليهم ثلاثة قرون وهم يهاجمون هذا الاسم بدعوى انهم يعدونه اساطيـر ليقيموا على انقاضها حقائق وهاهم بعد طول العناء لم يعملوا شيئا ، واذا قارنا النظريات الحديثة التي تفنن المستشرقـون من فرنسيين وانجليز والمان وبلجيكيين وهولنديين وعارضنا بعضها ببعض اتضح حينئذ ما انطوت عليه اقوالهم من اختلاط وتلبيس لان نظرياتهم مبنية على الباطل ولذلك تولى بعضها تحطيم البعض الآخـــر .

فالذي يقول (رنهـارت دوزي) في كتابـه (مسلمو الاندلس 1 ـ 18) من ان محمدا شذ عن قومـه العرب بان لـه خيالا وان العرب مجردون من الخيال .. فيكذبـه (هنـري لامنس) في كتابه (مهد الاسلام ص 4 ـ 5) لانه ينسب فوز الاسلام الى المطابقة بين محمد وبيئته .

ويذهب (دوزي) الى ان نبي الاسلام كان سوداويـا صوتا يميل الى النزهة الطويلة بينما (لامنس) يكذب ذلك ويقول : ان هذا الزعـم لا يتفق مـع نفرة محمد من الوحـدة وكراهيته للنســك .

والذي يقوله (نولدكه) في الوحـي المحمدي يكذبـه خويه في (مباحث شرقية ج 1 ص 501) ثم يهدم (سبرنجر) هذين الزعميـن في كتابـه (حياة محمد وعملـه 1 : 257) ويناقضهم (سنوك هرجرونجـه) فيذهـب في مجلة تاريـخ الاديان (30 : 57) الى ما يريده .

ويقول (جريميه) في كتابه (محمد ص 15) ان النظام الاسلامي نظام اشتراكي اكثر منه ديني ، ويرد (سنو هرجرونجه) عليه بان اشتراكية الاسلام نشأت من شظف جزيرة العـرب ، ثم ياتي اليهودي مرجليوث فيزعم ان بداية الاسلام كانـت جمعية سرية كالماسونية تأسست في دار الارقـم وان الســلام عليكم شعارها . (★)

واتيان دينيه مصور فرنسي عاش في شمال افريقيـــا واقتنع بحقيقة الاسلام ، وقرأ كـل ما كتبـه المستشرقون عن الاسلام ، ورأى كيف تضاربوا ومن رأيه ان الاب لامنس في علم المشرقيات كبطرس الناسك في الحروب الصليبية جهـز بهمة لا تعرف الكلل صليبية دعيه في العلم طمعا بصرع الاسلام صرعة لا مقـام منهـا

وان نفرا من النصارى في اوربا دانو بالاسلام في الاعوام الاخيرة ، ويكثر عددهم على مر الايام ، وان الكونت هنري دي كاستري قال في كتابه (الاسلام ص 211) « ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي لا مرتدون فيه » . (★)

ويرد درمنجم على لامنس وشيخو في كتابه (حياة محمد) فيقول ان كتب الاب لامنس قد شوهت محاسنهـا بما بـدا في تضاعيفها من كراهية الاسلام ورسوله فاستعمل في التاريـــخ طرقا بالغ فيها بالنقد ، ومثـل لامنس شيخـو ، فانه لم يأل جهدا في اثبات دعواه ان العرب قبل الاسـلام وبعـده لاشأن لهم في المدنية ،واذا كان هناك من حضارة فينوا يحدثها نصارى العـــرب .

ويرد فلكـس فالى المستشرق المجري (★) اتهام الاسلام بالجمود فيقول : ان دعوى كون الاسـلام جامدا لا يتحـرك دعوى لا دليل عليها ، والحق ان الاسلام كان في كل عصوره مثالا للحركة الفكرية في التاريـخ وان التشريع في الاسـلام ليكشف عن خبايا التشريع الروماني ، وقد اقام الدليل على مرونة الاسلام جولد زيهر في كتابه (دروس في الاسلام) .

ان الاسلام الـذي ليـس لانتشاره مثـل في تاريـخ الانسانية ليـس مبنيا على الاعترافات الدينية .

ومن رأي « فيلكس فالي » ان هذه البعثات التي تذهب الى الشرق ، كانت تصـدر حكمهـا قبل ان تصل الى بـلاد اسلامية ، ولهذا كانت آراؤها خطأ لانهم لم يعرفوا الاسلام الا من المسيحيين الوافدين من الشام ، وكل هم هؤلاء ان يستقيدوا من الآراء الجائرة من الاوربيين او الامريكيين ضد المسلمين .

★ ★ ★

وبعد : فان هذه النصـوص الواضحـة الصريحـة التـي اوردناها لكوكبة من المفكرين والعلماء والباحثين تكشف عن حقيقة ما ذهبنا اليه من ان جوهر الاسلام النقي وقوته الذاتية ،

(★) 1 . ص 262 م 18 ـ مجلة المنار .
(★) آراء غربية في مسائل شرقية (عمر فاخوري) .
(★) 2 ـ 9 يناير 1923 ـ جريدة الاخبار .

بالرغم من الضباب التي رسمت صورته من خلاله ، وهذه الاتهامات المريرة الذاهبة في اطواء الحقد والتعصب ، قد استطاع ان يكشف عن نفسه وان يدل على مفاهيمه الاساسية .

ولا شك ان هذه الكلمات تعطي الحقائق الآتية :

* ان كتاب الغرب كانوا متعصبين اساسا في النظر الى الاسلام ولم يكن لديهم استعداد للانصاف .
* ان فضل المسلمين على الحضارة الغربية امر لا شك فيه وان اليونان واللاتين ليسوا هم وحدهم منبع العلوم والاداب .
* اهتمام الغربيين بمقاومة الاسلام مقاومة فعالة ، على حد قول خالد شلدريك من ان الاسلام لو كان لا اهمية له فلما ذا هذه الجهود في التحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه
* الاعتراف بان موقعة بواتيه بقيادة شارل مارتل التي اوقفت تقدم المسلمين في اوربا هي التي اخرت سير المدنية ثمانية قرون .
* كرامة المسلمين في فتوحهم واتصالهم بالشعوب وبربرية الغرب في هذا المضمار .
* تقدير ما في اصول الاسلام من حلول لمشاكل الانسانية في الاخوة والاشتراكية والزكاة .
* بطلان الادعاء بان القرآن مقيد لطريق الارتقاء والادعاء بان الاسلام انتشر بالسيف .
* ليس الاسلام دينا فقط ولكنه دين وحضارة ومجتمع .. وانه دين المستقبل .. وستبقى خالدة وضاءة الانوار .
* حل الاسلام بعقلية عادلة اغلب المسائل الاجتماعية التي لم تزل للآن تشغل مشرعي الغرب .
* اضطراب المستشرقين في آرائهم وبعدهم عن روح البحث العلمي وتعارض آرائهم مما يوحي بانها مبنية على الباطل .
* الاسلام هو الدين الوحيد الذي لا مرتدون فيه ..
* لم يكن الاسلام جامدا وانما كان مثالا للحركة الدائمة .
* البعثات التي كانت تبحث عن الاسلام لم تكن تتصل بمصادره الاساسية بل تعتمد على بعض خصومه وعملاء الاستعمار .

---

*) فصل من كتاب لم يطبع بعد بعنوان : (الاسلام في غزوة جديدة للفكر الانساني) .

القاهرة — أنور الجندي



الفراغ الروحي

للأستاذ : محمد بن عبد الله

خلق الانسان من عنصرين ، مادة وروح ، والمادة شيء فان ليس له بقاء ، يعتريه الضعف والهزال والفناء ، فيذهب الانسان ولو كان اقوى الخلق ، كأنه لم يكن ، فيصبح تراباتذروه الرياح ، كأن لم يغن بالامس.

اما الروح فهو ذلك السر الالهي الذي اودعه الله في الانسان وان هذه الروح من الله سبحانه لقوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » ومظهرها عقل الانسان ، وجميع مواهبه الادبية والخلقية .

والمادة والروح متحدان ببعضهما اتحادا موقتا على حسب قانون ثابت ، وموازنة محكمة ، يقف العقل امامها مبهوتا واجما .

وهذه الروح المودعة في الجسم البشري تحن دائما الى مصدرها ، وهو الله سبحانه وتعالى . ولا ترى لها كمالا الا بالاتصال به على كل حال من الاحوال ، فهي تتطلع بطبيعتها دائما الى الملأ الاعلى ، وحظيرة القدس ، وتتوق الى محتدها ؛ ولا يتأتى لها ذلك كما قلنا الا بالاتصال مع الله بجميع انواع العبادات والطاعات كالصلاة ، والصيام .. ، وهي باقية بقاء سرمديا ، وخاضعة لنواميس خاصة بعالمها .

ولكل من العنصرين المادة والروح ، مطالب تتناسب مع طبيعة كل منهما .

فالجسم لا يفترق عن كل انواع المادة في قبوله للنقص والزيادة ، والضعف والقوة ، فهو محتاج الى مقومات كالغذاء والمسكن ، وغير ذلك مما يحفظ شخصه وانواعه .

والروح تواقة لمنازل الكمال الادبي ، طالبة لان تلم باسر الملكوت كله ، وتدرك صميم عالم الشهادة .

ولقد قضت حكمة الله وسنة الكون في ان يجعل الروح والجسم في تصارع مستمر ، فايهما كانت له الغلبة والمتعة والسلطان انتصر على الاخر .

لذلك تجد من الناس من غلبت عليه مادته ، فصار لا يفكر الا في اشباع نزواته وشهواته بكل الوسائل .

ومنهم من سادت عليه روحه ، فهيأ نفسه للرقي المعنوي عن طريق الباطن ، وضرب بسعادة مادته الحاضرة عرض الحائط ، ونبذها نبذ النواة .

والانسان في الحقيقة يجب ان يختار خطة الاعتدال والتوسط ، اذ كلا طرفي قصد الامور ذميم ، كما يقول الشاعر .. فنعدل مع مطالب الجسم لحفظه ، ومع مطالب الروح ، لنهبها امانيها مع عدم الاجحاف بمطالب المادة ، وبذلك يتحقق الكمال الانساني .

ومن اجل هذا قال الله تعالى : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وقال «ص» : « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، بل خيركم من اخذ من هذه وهذه » .

ولذاك لم تكن الصلاة سوى تخلية الفكر من الشواغل المترددة عليه ، والتوجه بالقلب الى الله مباشرة توجها صحيحا بتعطش تام وهيام غالب لتتمكن الروح من قبول الامداد القدسي مباشرة ، فتكتسب حياة جديدة تشعر الانسان معنى القوة والمنعة والسلطان .

ولامر ما فرض الله على المجاهدين فى الحرب صلاة الخوف فى قولـه تعالى :

« واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم ، فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة اخرى لم يصلـوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلـون عليكم ميلة واحـدة ، ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضـى ان تضعـوا اسلحتكم ، وخذوا حذركم ، ان الله اعد للكافرين عذابا مهينـا ، فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتـا . »

فانت ترى ان المسلم المؤمـن المجاهـد وهو فى حومة الوغى يقوم لاداء الصلاة وهو فى رحاب الحرب يسمع صليل السيوف وقعقعة السلاح وصهيـل الجياد لتتصل الروح حتى فى هذه الحالة الحربيـة ، بربها فيرخص نفسـه لاعلاء كلمة الله ، وينبذ الدنيا وراءه ظهريا ، ويتقبل ربـه راضيا مطمئنا وهو اقرب اليه ، فتقوى عزيمته ، ويبعث الله فيه روحا معنوية تجعله يستقبل انـواع المكاره وصنـوف المخاطـر باسمـا راضيا ، والتي سرعان ما تتكسـر على صفاة يقينـه باللـه وايمانـه بربـه .

فلا غرابة اذا راينـا سيدنـا محمـد « ص » يفتح نصف الدنيا فى ربع قرن كما قال نابليون .

ولا غرابة اذا قال احد علماء الاجتماع بأن مـن اسباب تقدم المسلمين فى الصدر الاول وفجر الاسلام اداء فريضة الصلاة المكتوبـة .

لقد كان المسلمون المجاهدون يؤدونها حتى وهم فى حومة الوغى اذا اشتد البأس واحمرت الحـدق فيكتب لهم النصر ويعقد الظفر فى لوائهم ..

ولكن سرعان ما لبثوا بعد ذلك العز الامنـع ، ان اضاعوا اضياع الكواكب عند انكدارها واسرعـوا الى الهبوط سرعة المياه عند انحدارها ، وهووا عـن صهوات ذلك المجد العظيم ، واخرجوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ، فغاضت ينابيـع المسـرة فى القلوب ، وماتت احاسيس البهجـة فى النفـوس ، وتحللت اواصر المودة بين النـاس .. ثم فى العصـور الاخيرة تطورت الحياة وتقدم العمران وظهر عصـر الصناعة ، وتغيرت معها العقليات ، وانتجت مدنيـة راقية ، وتسببت هذه المدنيـة عن مشكـلات ، ومن مشكلاتها هـذا الفراغ الروحي فى نفوس النـاس ، وخلوها من خشيـة الله ، ومـراقبته ، وعدم الجـري على احكامه وشرائعه فى الشؤون الدينية والتصرفات الدنيويـة .

ولعل اشد الشعوب احساسا بذلـك الفـراغ ارقاها حضـارة ، واكثرها مدنية وعمرانا .

وكانما ذلك الفـراغ يسيـر عكسيـا مـع المدنيـة .

اننا فى البلاد الاسلامية نشكـو ذلك الفـراغ ، ونالم له اشد الايلام لا فى نفوس الشاردين من الاديـان والمغاضبين لها فحسب ، ولكن فى نفوس كثير مـن اشياعها والحائمين حولها ، بـل ان من هؤلاء مـن يشكو فى نفسه ويتطلع الى حال اصلح من حاله .

والبلبلة كذلك فى الغرب بـل هي اشد واقوى ، فقد قال احد الاروبيين الدارسين لاحوال المجتمعات هنـاك :

« ان الاروبي العادي سواء عليه اكان ديمقراطيا ام فاشيا راسماليا او بلشفيا ، صانعـا او مفكـرا ، يعرف دينا ايجابيا واحدا هو التعبد للرقـي المـادي، اي الاعتقاد ان ليس فى الحياة هدف آخر سـوى جعل هذه الحيـاة نفسهـا ايسـر ، فايسـر »

اذا فهناك فراغ روحـي يعيش عليه العالم ، ومن اهم اسبابه تلك الفكرة الاروبية الخطيرة ، وهي فكرة فصل الدين عن الدولة كما هو معلوم ، وكذلـك دعوات الالحاد الجماعي فى بعض الشعوب التي تحمل فـي طيـاتهـا السخـريـة بالاديـان ، ورسـالات الاديـــان ، ورب الاديـــان ، والـــى جانب ذلك كانت دعوات الحرية الفكرية ، والحريـة العقائدية ، فانفلتت الاقلام من اعنتها تقول فى القيم الدينية ما تشاء ، وفى الاقلام زائغ وطائش ، وفيهـا مغرض ومأجور ، وفى الاديان قيـم يعسر على العقول الفضة ، والافهام الضحلة ، ان تستكنه السر فيها ، فتقف منهـا موقف الحيرة والتردد ، او موقـف الرفض والانكار ، ان لم تعتصم بالتسليم والقبـول لتشعر بحرارة الايمان ، وبرد اليقيـن .

كل ذلك كان سببا فى ان يتغير الجو الديني فى المنزل وفى المدرسة وفى المجتمع ، وان تنشا الاجيال خاوية النفوس من القيم الدينية والروحية ، واصبحنا من جراء ذلك نشكـو الغـدر والاستغلال فى المعاملة ، ونشكو الذاتية والجفاف فى المعاشرة ، ونشكـو التخاذل والتقاعس عن البر ، ونشكو الخيانة والمجاملة فى المصالح العامة ، ونشكـو فقدان الغيرة والاعتداء على الحرمات ، ونشكو الاستهانـة والاستهتـار بالتقاليد والمقومات مما آل بالحالـة الى هذه الصـورة

انطامسة والحال البائسة وما سبب ذلك الا هـــذا الفراغ الروحي ، وضعف الوازع الديني والوجداني .

ان العالم كله اليوم يشعر بهذه المجاعة الروحية لذلك نرى مؤتمرات عديدة تنعقد فى مختلف انحاء الدنيـا لتدارس الحالة النفسية والخلقية والوجدانية لكثيـر من الشعـوب .

واروبا نفسها تشكو هذا الفراغ الروحي ، لذلك تراها تعقد مؤتمرات يحضر فيها اقطاب المفكريـن لاصلاح الحالة وتصحيح الاوضاع ومراجعة الاصول.

لقد حضرت مؤتمرا للتسلح الخلقي بكوالمطلة على مدينة مونترو بالقطر الســويسري عام 1960 مع نخبـة من رجال المغرب .

وكان هذا المؤتمر يضم طائفة من رجالات الفكر فى العالم يبحثون عن خلاص للازمـة الروحيــة والوجدانيـة التي تشكو منها كثير من الشعوب التي تمر باحداث جســام حيـث تنهار المفاهيم القديمة ، وتقنع الديمقراطية بالوقوف موقف الدفاع ، ويصبح السلاح وهو لم يعد ضمانـا للامن وتفقـد المواثيـق غرضها بقيـام قـوى جديد وتختفـي الوان الــولاء القديـم فى وجه الاخطار الجديدة .

اذ مهمة التسلح الخلقي فى نظر اقطابه كالدكتور فرانك بوخمان وان كنا لنخالفهم فى الاسس الخفيـة التي ينبني عليها مذهبهم الغريب تزويد السياسييـن والشعوب بسلاح خلقي يمكنهم من رؤية ما يحدث فى العالم ، ان الديمقراطيات تتخاذل ، لانها فى حاجة الى الوقود الايديولوجي ، وان كثيرا من الساسة يشكون حالة مستعصية من نقص الغذاء « الاديولوجي » .

وهذه الاديولوجية المتفوقة فى نظرهم : تصنـع طرازا جديدا من الناس لهم حوافز جديدة ، انــاس يعملون على تذليل الصعوبات .

والحقيقة اننا كنا نلاحظ أن الغربيين يشكـون هذا الفراغ الروحي ويحاولون مـلاه بمثـل هــذه المؤتمرات والندوات التي تعقد داخلها .

والاسلام لابد له من مؤتمرات تجمـع زعمـاء الراي من اهله ، ليجددوا ما درس منه ، ويوضحوا ما التبـس فيه ، وينفوا عنه ما ران على عقول اصحابه من الاوهام والخرافات ، وما غشيه من اباطيل القـرون واضاليل النحل ، ويجلوه للناس كما كان غضا طريـا صالحا للحياة ، كافلا للفوز ، ضامنا للسعادة .

ولقد انعقد فى القاهرة اجتماع المؤتمر الاسلامي الذي نظمه مجمع البحوث الاسلامية فى 6 مارس 1964 حيث حضر علماء المسلمين ودرسوا فى جدول اعمالهم ستة عشرة بحثا تتناول مسائل هامة عن العلاقـات الدولية والمذاهب الاقتصادية ، كمـا تناولوا موضـوع الاشتراكية فى الاسلام وتحديد معالم حقوق الانسان والحرية الشخصية والدعوات الاسلامية ووسائـل نشرها ، والاجتهاد فى الاسلام ومشكلات المسلميـن المختلفـة .

كما حضر هذا المؤتمر ممثلون عن العلماء فى 44 دولة عربية واسلامية ، افريقية واسيوية واروبيـة وبينها ممثلون عن اليابان ويوغوسلافيا والمجر والاتحاد السوفياتي وانجلترا .

والعلاج الناجع لهذا الفراغ الروحي هو تفهـم حقيقة الدين الاسلامي والرجوع الى طريقة السلـف رضوان الله عليهم . فهو المرهم الواقي لكل انحـراف او فراغ . فقد جرفنا تيار التمدن الكاذب الى مواطن نات بنـا عن مبادىء الدين وحدوده ، واغرى بريقهـا الزائف ابصار الشباب فصرفهم عن النواحي الجدية التي تستلزم نشاطهم وهاهو برنادشـو يقـول : ان الاسلام هو الدين الذي يسود أروبا بعد مائة عام .

وهو لم يقل هذا الا انه لحـظ اتجاه الحيـاة الاروبية الى مبادىء الاسلام الحق تستنجـد بها كلما احست وحشة المادة وظلمتها وكثافتها مدفوعة فـي ذلك بعوامل الطبيعة لا بتبشير يزاوله المسلمون ، ولا بجهاد يمارسونه بالمال والعتاد والحروب الاديولوجية.

« وشو » فنان من الغرب يعرفه الناس بانــه قد حرر عقله وهو يؤذن بالاسلام على رأس أروبـا .

فكم من عالم اروبي يفعل اليوم هذا ؟ قليلون جدا. فاكثرهم لم يتحرروا كمـا تحـرر هو ، واكثـرهم لم يصقلوا احساسهم كما صقل احساسه هو ، واكثرهم لم يطلقوا من اغلال الزيف عقولهم كما اطلق عقله هو .

وحدود الاسلام ليست قيودا مما يشل الحركة ويعوق النشاط ، ولا هي اغلال واصفاد ممـا يمنـع النهوض ، ولا هي عصائب مما يحجب عن العيون النور، ولا هي احجار مما يثقل عن الحس ، ولا هي جهـالات مما يمتنع على العقل الاقناع به وتدبره ، وانما هـي حدود الطبيعة التي لا يمكن خرقها والتي لا يخرقهـا الا من ظلم نفسـه ، وهي ليست شيئا الا تحرير الانسانية من كل عبودية تفرض عليها الا عبادة الله ، مـن كـل تقليد او نظام يراد به العبث بكرامة العقـل أو كرامة الــروح .

وفي كـل ذلك كله سعـي حر ، بالتطور الـى الارتقـاء فعلينـا ان نعمـل وان نمـلأ الفــراغ ومـن الله العـون .

تدين المرأة المسلمة

للأستاذ أبو عبد الله

وقول الله تعالى : ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة .

المراة خلقت للخير لا للشر ، خلقها الله سبحانه ينبوعا ومعينا لا ينضب ، للعطف والمودة والاحساس الكريم ، والاحسان العميم، هي بستان اذا هذبت اطرافه وتعهدت اغراسه فاحت اعرافه وطابت انفاسه ، فهي للبيت عماد ، وللاولاد مدرسة ومهاد ، بل هي اساس الامة الصالحة ، وسر الحياة الناجحة كما قال شاعر النيل :

الام مدرسة اذا اعددتها   اعددت شعبا طيب الاعراق

وهي على العكس من هذه المزايا كلها ، اذا اهمل شانها ، ولعب بعقلها قبل التجربة والخبرة شيطانها ، فتربت جاهلة ضالة ، ليست لها حصانة التدين المتين ، ولا تعقل العلم الرزين ، فلا على الام الصالحة قصرت طرفها ، ولا بين ناشئات المدارس القيمة ثقفت عقلها ، هناك حدث عن فتنة المحيا والممات، وعن انحطاط امة ابتليت بمثل هاته الافات ، الا من رحم ربك ، فقد يصل بها الاسفاف في الفحش والنكر الى ان تصير العوبة بين ايدي الزانين ، وقذى في اعين الطيبات والطيبين ، بل سبة على الانسانية بمخازيها الشيطانية ، ولعل هذا الصنف بمظهره وخلاعته هو المقصود بما صح وثبت عن الرسول من اوصاف بعض اهل النار حيث قال عليه السلام ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن كاسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها .

ومن للامة بتهذيب نفوس افرادها ذكورا واناثا غير الدين الذي يبرأ من الافات كل عليل ، ويوضح لسالك طريق الخير احسن سبيل ، فهو المنار الهادي لكل النفوس ، والدوحة التي تينع في افنانها اطيب الزهرات والفروس .

والمراة من جهة الحياة الزوجية نور البيت وبهجته ، وزهرة القلب وسلوته ، وانس البعل ومسرته، قرينة الزوج، وشريكته في الحياة الاجتماعية، وشقيقته في الاحكام والمسؤوليات الشرعية لكل واحد منهما في التربية والمسؤوليات مكانته ، وقد صح عن الرسول عليه السلام في حقهما جميعا قوله : الرجل راع في اهل بيته ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمراة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها . فهي تدبر المنزل وتهيىء اسبابه ، وترعى الاولاد والزوج وتخفف اتعابه ، وتداوي علله واوصابه وتذكر فضائله ومزاياه اذا الم به ما يؤلمه او يزعج اعصابه ، انظر في هذا المعنى النبيل الى سلوك ام المومنين السيدة خديجة زوج الرسول حينما فاجاه الوحي والتنزيل حتى خاف على نفسه حيث لم يكن له عهد بلقاء امين الوحي جبريل ، فقد جاء اليها فزعا يرجف فؤاده قائلا : زملوني مزلوني اي لفوني في ثوبي حتى ذهب عنه الروع والخوف ، فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي ، فقالت رضي الله عنها (تسليه) . كلا والله لايخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، اي الضعيف ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق. فذكرت من مزاياه واخلاقه ، ما يطمئنه على نفسه ويؤكد عقيدته في رضى الله عنه وفي كونه اهلا لان يشرفه الله سبحانه ببعثه ورسالته وهداه .

وخير ما في المراة تدينها الذي يوجد معه عفافها وصيانتها ، فاذا زكت نفسها بعبادة ربها ، واداء حقوق بعلها واحسنت تدبير منزلها، وتربية اطفالها افلحت ، وفي تكوين خير الاسر نجحت ، والبيت الذي تكون فيه هذه الزوجة الصالحة المتدينة هو الذي يكون

العماد الرفيع للامم الناهضة الصالحة ، ولهذا كان المصلح الاعظم الرسول عليه السلام يحض المومنين الراغبين في الزواج على التزوج بذات الدين حيث قال: تنكح المراة لاربع : لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك . كما يحض من جهة اخرى اولياء المراة على تزويجها من الرجل المتدين ، لتحيى الاسرة حياة دينية سعيدة ، حيث قال : اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير . وقد صار البرور والاغتباط بالاهل ورعاية الاهل من الزوجة والاولاد صار كل ذلك هو المعيار الصحيح لحسن العشرة بين الراعي ورعيته في نظام الاسرة حتى قال الرسول خيركم خيركم لاهله ، وانا خيركم لاهلي .

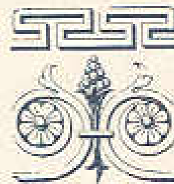
ونجد في اخلاق هذه الشريعة الكريمة ان التربية والحنان على الاولاد ومراعاة احوال الزوج في الاقتصاد محمودة ، ترفع من قيمة المراة وتجعلها خليقة بكل تقدير واحترام ، فقد روى البخاري عن النبي «ص» انه قال : خير نساء ركبن الابل صالحو نساء قريش احناه على ولد في صغره ، وارعاه على زوج في ذات يده .

فبمثل هذه الاخلاق يطمئن الزوج ويسكن الى زوجته التي تطيع ربها ، وتبر بعلها ، وتربي اطفالها، وتحفظ وتصون عرضها ، وتدبر منزلها الذي جعلها الرسول مسؤولة عن جميع احواله حرصا منه على ان يبلغ بواسطتها درجة كماله ، وبهذا التوجيه نفهم قول الله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

ولا ينبغي لاحد من الشبان كيفما كانت درجته من الثقافة ان يبخس المراة العربية المسلمة حقها ، او يتجاهل ادوارها التي قامت بها في تاريخ الامة العربية عموما والامة المغربية خصوصا ، ففي حجرها تربي جميع ابطال الامة الذين فتحوا العالم القديم ، وماؤه هداية ونورا ، وباعمالها تكونت الحضارة البيتية العربية ، بما فيه من اعداد وتنسيق ، وما في اروقتها ومخادعها وانماطها وبسطها من تطريز واحكام خياطة وتزويق ، فكل ذلك من عمل المراة الصناع الذي ابدعته في مختلف الاشكال والاوضاع .

واذا كان عصر تخلف الامة العربية عن ركب التقدم الصناعي في العهود الاخيرة قد حط من منزلة المراة فيه نصيبا ، فما كانت في الحقيقة منفردة بذلك عن الرجل ، بل هما في الهم شرق ، وفي الهوى سواء ، بل قد يكون بعض الرجال في العهود الاخيرة احط منها وعيا ، واقل ذوقا ، بل اكثر فسادا ، فكم من فضليات النساء حافظن على شرف العائلات ، واصول الحضارات ، وقمن باهم الواجبات ، حتى صرن كأنهن رؤوس البيوت المفكرات ، واذا نظرنا الى نشاط بعض البنات المتعلمات في العصر الحاضر نجد المظاهر غلبت الكثير منهن ، ونجد القليل منهن هي التي يساهمن ويشاركن في عصر النهوض بنصيبهن في شؤون التعليم والتعاون الوطني للاسعاف الاجتماعي، ونجد الجمعيات الخيرية النسوية في حاجة قصوى الى مجهود الفتاة الناهضة فلا ينبغي للفتاة المتعلمة ان تتاخر في هذا الميدان وتكتفي بتقليد المراة الغربية في شر مميزاتها وتترك ميدان العمل النافع للمجتمع فارغا فيخسر المجتمع المغربي عمل الفتاة المغربية جاهلة ومتعلمة فلا يستطيع ان يتقدم الى الامام وهو فاقد لاحد عماديه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

الرباط — ابو عبد الله



الإسلام فلسفة ونظام

للأستاذ محمد العربي الشاوش

الاسلام دين اخوة واتحاد ، وعدل ومساواة ؛ شعاره الخالد : « انما المومنون اخوة » و « المسلم اخو المسلم » و « ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى » و « كلكم لآدم وآدم من تراب » و « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وغير ذلك من الآيات الكريمة، والاحاديث الشريفة ، التي وضعت للانسانية اسس المحبة والاخوة ، وشيدت صروح الحرية والمساواة ، وجعلت من المومنين بتلك المبادىء السامية خير امة اخرجت للناس ، امة تامر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر، وتومن بالله .

فبفضل تلك المبادىء التي جاء بها الاسلام ، وبشر بها رسول الانسانية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، تحولت الامة العربية — في اقل من ربع قرن — من قبائل متفرقة متجافية ، وجماعات متنافرة متناحرة ؛ الى امة اسلامية موحدة متكتلة ، متعاطفة متراحمة ، لا فضل لعربيها على عجميها ، ولا لغنيها على فقيرها ، ولا لأبيضها على اسودها ، ولا لحاكمها على محكومها ، الا بالعمل الصالح ، والنصيحة لله في عبادته ، ولرسوله في طاعته ، وللمسلمين في خدمتهم واعزازهم ، والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم، وحماية دين الله وشريعته من عبث العابثين ، وكيد الكائدين ، وذلك كله ما عبر عنه الحديث الشريف بالتقوى ، اذ التقوى بمعناها الشرعي امتثال الاوامر واجتناب النواهي . قال تعالى وهو اصدق القائلين: « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ومن المسلم به ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يات الا بما أوحى الله تعالى اليه من الكتاب والحكمة ، ولم ينه الا عما نهى عنه من الاثم والخبائث ، والظلم والعدوان ، والخيانة والنفاق ، فهو صلى الله عليه وسلم مبلغ ومنفذ ، وموضح لاوامر الله تعالى وشريعته ، وطاعة الله ومحبته تتجلى في طاعة رسوله، قال جل شأنه « من يطع الرسول فقد اطاع الله » وقال « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

والخطاب في كل ما تقدم ليس موجها الى العرب فقط ، ولكن الخطاب هو خطاب الله تعالى موجه الى الناس اجمعين بواسطة نبيه العربي . لان الله جلت قدرته ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، لا للعرب فحسب ، لان رسالة الله لمحمد بصفته خاتم النبيئين لايمكن الا ان تكون عامة وشاملة . واذا تاملنا قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » واذا علمنا ان الاسلام لا فرق عنده بين العربي والعجمي الا بالتقوى كما في الحديث ، استنتجنا ان عروبة محمد عليه الصلاة والسلام لاتمنع ابدا أن يكون هذا العربي الكريم رسولا عالميا ارسله الله بالهدى ودين الحق ، وبما فيه خير وسعادة البشرية جمعاء ، قال جل شانه « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » وقال « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » فهو اذن رسول الله الى الناس كافة « يامرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به ، وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي انزل معه ، اولئك هم المفلحون » .

وقد ذكر الله في كتابه الكريم انه تعالى أخذ عهدا من انبيائه السابقين انهم ان ادركوا النبي العربي عليه

الصلاة والسلام ليومنن برسالته ولينصرنه في دعوته ، فقال تعالى « واذ اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه ، قال آقررتم واخذتم على ذلكم اصري ، قالوا اقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين » . فمحمد بن عبد الله جاء مصدقا ومقرا بالاديان والرسالات السابقة ؛ فهو لم يتعصب لطائفة ضد طائفة ؛ ولا لرسول ضد آخر ، وهو لم يكذب كتابا من الكتب التي اوحاها الله تعالى الى انبيائه السالفين ، بل انه سلك مسلكا واضحا في تأكيد ذلك وتثبيته ، واستمع الى قوله تعالى « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيؤون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » وتأمل في قوله جل شانه « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » لترى أن مسلك القرآن الكريم في معالجة قضية الاديان والرسالات السالفة ومقارنتها وموافقتها للرسالة الاسلامية مسلك واضح يقره العقل والمنطق . فالله الذي اختار موسى وعيسى ومن سبقهما لتبليغ رسالاته ، اصطفى محمدا لتتميم رسالته واكمال دينه ، وليجعله رسول الله وخاتم النبيئين ، وليكون الدين الاسلامي الذي جاء به وارتضاه الله لعباده دينا رسميا صالحا في كل زمان ومكان ، قال تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » . « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » وقال « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » . فهذه الوضعية ـ وضعية الرسول العربي وشريعته الاسلامية ـ معقولة وسليمة ومسايرة للاوضاع البشرية المالوفة في كل زمان ومكان .

وهكذا ترى ان الرسول العربي هو رسول عالمي، وان الاسلام دين عالمي كذلك ، وانه ليس مجرد عبادات واحكام فقط ، ولكنه في الحقيقة فلسفة سماوية رفيعة قائمة على اساس التوحيد ، ونظام اجتماعي رشيد قائم على أساس الحرية والعدل والمساواة .

فالعبادات والاحكام كلها خاضعة لمبداي التوحيد والمساواة ، فتوحيد الله تعالى هو اسمى مبادىء الاسلام ، وهو العروة الوثقى التي تربط بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، وهو الوسيلة لتوحيد البشر وجمع كلمتهم . قال تعالى « قل هو الله أحد » وقال « واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا » وقال « ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقال « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقال « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ؛ فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » . فكل الناس مدعوون الى عبادة الله وحده ، والى الاعتصام بحبل الله ، وهو رمز للاتحاد ، وكل الذين يومنون بوحدانية الله وما انزل على محمد رسول الله مسلمون اخوة ، وحد التوحيد صفهم ، وآخى الاسلام بينهم ، فهم « في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » كما ورد في الحديث الشريف . وفي هذا المعنى يقول الله جلت قدرته « انما المومنون اخوة » ويقول « محمد رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » ويقول النبي عليه السلام « المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه » ويقول « لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث » ويقول « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » . فالمرء بمجرد دخوله في الاسلام يصبح عضوا في جسم الامة الاسلامية ، له مالها ، وعليه ما عليها ، اذ المسلمون امام الاسلام سواسية كاسنان المشط ، وهم امة واحدة خاضعة لنظام واحد هو الاسلام . وينبغي ان نقرر هنا ان وحدة الامة الاسلامية لاتعني مطلقا عدم قيام حكومات اسلامية مستقلة بعضها عن بعض سياسيا واداريا ما دام الاسلام لم يمنع ذلك نصا ولم يعترض عليه . على ان هذه الحكومات يلزم ان تكون خاضعة لمبدا الشورى الذي هو مبدا اسلامي خالص لقوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » وقوله « وشاورهم في الامر » مع وجوب اتحاد هذه الحكومات في اطار (جامعة اسلامية) تقوم بالاشراف على التضامن الاسلامي ، واقرار الوحدة الاسلامية مع تنسيق السياسة الخارجية للدول الاسلامية .

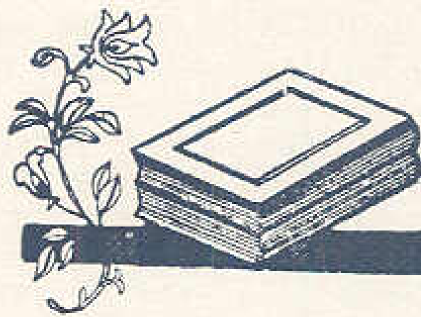
اما العدل والمساواة فهما من اسمى مظاهر الاسلام وانبل مقاصده . وتدبر مرة اخرى في قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وتامل في قوله جلت قدرته « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن



الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون » وقوله « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقوله « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » لترى ان العدل والمساواة لهما مقام عظيم فى الاسلام ، وان النبي صلى الله عليه وسلم يتشبث بهما ، وتدفعه نفسه الكريمة العادلة الى تسوية ابنته وفلذة كبده مع سائر الناس ، فاستمع الى قوله صلى الله عليه وسلم « انما اهلك الذين من قبلكم انه اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » فهل هناك عدالة اكبر من هذه العدالة ، ومساواة أعظم من هذه المساواة ؟ !

وحرية الفرد فى حدود النظام ، وحرية الفكر فى اطار العقل ، اعطاهما الاسلام كذلك مقاما مرموقا فى المجتمع الاسلامي . كما جعل الوفاء بالعهد ، وحسن الجوار ، والعفو والتسامح ، والامانة والصدق ، من امهات الفضائل ، ولقد وردت آيات قرآنية واحاديث نبوية فى الترغيب فى كل ما ذكرناه وغيره من المكارم ، مما يطول بنا المقام لو تتبعناه واستقصيناه ، وانما اردنا ان نبين للناس « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة » وضعية الرسول العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بين من سبقه من الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وحقيقة الشريعة الاسلامية التي جاء بها هذا الرسول الكريم : وانها نادت بالاخوة والمساواة والحرية والعدالة قبل ان تنادي بها (وثيقة حقوق الانسان) التي سموها بالمباديء الخالدة ، وبانجيل العصور الحاضرة ، وان ما وصل اليه الفلاسفة ودعى اليه المفكرون من نظريات اجتماعية ومباديء سياسية فى القرون المتاخرة ، كان الاسلام قد شرعه ودعى اليه فى الربع الاول من القرن السابع لميلاد المسيح عليه السلام .

تطوان — محمد العربي الشاوش



ثقافة العصر

للأستاذ أحمد زيادة

ونعني بثقافة العصر هذه المجموعة من النظريات واساليب التفكير ومواد التثقيف التي خصت بها هذه السنون الاخيرة من القرن العشرين ، وكان ولابد لهذه النظريات وما صاحبها وما عقبها وما نتج عنها من ان تكيف تفكير الجيل الجديد الذي يعيشها وتستأثر باهتمامه .

ان الجيل السابق ـ وفى العالم العربي بصفة خاصة ـ كان يضرب له المثل بحافظة حماد الراوية وما يستطيع ان ينشده من مئات الابيات على عدد الحروف الهجائية ، وكان يضرب له المثل بنصاعة اسلوب الجاحظ ، وابي حيان التوحيدي وكان يقال له ان اصول الادب اربعة هي مقدمة ابن خلدون والبيان والتبيين ، والكامل للمبرد والامالي لابي علي القالي ، وكان يشوق الى قراءة الياذة هوميروس للاطلاع عن شيء من الادب اليوناني ، كما كان يقال له ان الشعر اتباعي وابتداعي وقصصي .

ولم يكن لذلك الجيل فى ذلك الوقت محيد عن اتباع هذا التخطيط الذي يتضمنه هذا الفهرس ، وذلك بالاضافة الى ابواب اخرى من التاريخ ، وبالاضافة الى ما امكن ان يتعرف عليه من ثقافة ما بعد الثورة الفرنسية وما قبلها بقليل .

وامكن لهذا الجيل ان يعي ما وعيه من ضروب هذه الثقافة فى اصولها وفروعها كما استطاع ان يحذو حذوها فى التفكير فى الاسلوب وفى اصول البحث والاستنتاج .

الا ان مشاكل اخرى ومفاهم اخرى ومقاييس جديدة ظهرت على سطح هذه الدنيا وفاجأت هذا الجيل بما لم يكن فى الحسبان وبما كان فى الحسبان شيء منه .

وهي مشاكل اصبحت تلزم الجيل الصاعد وما تبقى من الجيل السابق من ان تكون تلك الحافظة التي كان يتمتع بها حماد الراوية تعي شيئا اكثر من الشعر واهم منه ، ذلك لان ثقافة الهوادج والخدور والادب الترفيهي لم يعد لها مكان عملي الى جانب هذه المشاكل بل وهذه الطلاسيم التي اصبح يزخر بها العهد الاخير من القرن العشرين . وهي مشاكل وطلاسيم لابد من معرفتها لانها مشاكل من صميم حياة الافراد ومن صميم حياة المثقفين فى هذا الجيل .

وهكذا اخذ مفهوم الثقافة معناه العصري والوقتي ، واصبحت شؤون الجاحظ وابي حيان ومفارقات الشعر الاتباعي والابتداعي ونثر ابن المقفع ونقد ابن قدامة عبارة عن اشياء تدخل فى نطاق التخصص فى الادب العربي ، مثلما كانت وما تزال شؤون الالياذة وقصة اديب تدخل فى نطاق التخصص الادب اليوناني ، اي انها ظلت تراثا ثقافيا تعتز به الاجيال العربية كمقوم من مقومات كيانها . الا ان شيئا وقع فى العالم العربي ضيع الكثير من الوقت على المثقفين ونظنه ما يزال يضيع الوقت عليه .

فالثقافة العربية قد انفعلت مع الاحداث الطارئة ما فى ذلك شك ، واهتزت لها ولم يكن لها بد من ان تنفعل وتهتز ، بيد ان هذا الانفعال اقتصر على الجانب السلبي ولم ينغمر فى خضم الجانب الايجابي ولتوضيح ذلك نشير الى ما ياتي :

ان ظروف الثقافة فى العالم العربي تغيرت على ما كانت عليه منذ ازيد من عشرين سنة ، غير انها تغيرت من عمق القديم الى سطحية الجديد ، وهذا اصل الازمة فى الثقافة العربية ومن المحيط الى الخليج

فالشعر العربي قد اعتراه تحول جماعي ، ولكنه مني ــ للاسف ــ بمسخ في الكثير من صوره . والمقالة حاولت ان تتكيف بمشاكل العصر وتستخدم مفاهمه ولكنها ظلت سطحية في الكثير من صورها . والدراسات ما تزال في حاجة الى تطعيم سواء في الفكرة او في الاسلوب او في العرض ، في حين ان القصة حاولت أن تجعل من المادة الاجتماعية والاقتصادية الباب الموصل الى الاخذ بأسباب ثقافة العصر ، بيد ان ما قل منها هو الذي استطاع طرق ذلك الباب ، والسبب في ذلك هو ان ثقافة العصر كغاية اصبحت امرا متفقا عليه وعنصرا لابد منه ، ولكن الشيء الذي بقي وما يزال باقيا على الجيل المثقف في العالم العربي وفي العالم الثالث بصفة عامة هو استيعاب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية استيعابا يوميا ، وباقصى ما يمكن من الدقة ، وما اكثر المشاكل التي تصبح ونمسي عليها في عالم اليوم .

اننا شعوبا نامية نعيش في عالم غير متوازن القوى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا تبعا لذلك ، وعدم التوازن في القوى هذا يخلق المشاكل خلقا ، ويضعها وضعا ، ويمليها املاء علينا نحن جيل العالم الثالث . فاشباح الجوع تهدد جهات مختلفة من هذا العالم ، وانخفاض المستوى الاقتصادي والاجتماعي يرهق جهات اخرى منه ، بينما تزايد عدد السكان لا ينظر تصفية المشاكل القائمة وانما يزيدها تعقيدا على تعقيدها .

ان الجيل السابق لم يكن يدرك سر السحر الذي كان يملكه المستعمر ، ويستعين به في غزوات الاستعمار والاحتلال ، ولئن كان يدرك شيئا منه ، فانه لم يكن يعيره نفس الاهتمام الذي يوليه اياه الجيل الحاضر ، وهذا السر هو ان ذلك المستعمر كان يستخدم علم الاحصاء ، كان يحصي المواد والسكان ويعد الوسائل التي تمكنه من استخدام المواد والسكان في مستعمراته وامبراطوريته . كان ينتهز الفرص التي كنا نحن في العالم العربي نقرأ فيها شعر عمر بن ابي ربيعة ونستلذ بقولته الافلاطونية :

وانى امرؤ مولع بالحسن اتبعه
لاحظ لي منه الا لذة النظر

لقد كان المفربت الاستعماري ينتهز فرصة انتشائنا بهذا البيت وامثاله ليحصي ويعد ويوازن ويقدر ويقارن فيما بين الصادر والوارد ثم يمارس عمليات السرقة والاختلاس التي ظل يمارسها حتى شعرنا به ، ووجدنا انفسنا مضطرين الى ان ننصرف عن ابن ربيعة وابن سهيل والاخطل الصغير ، لنواجه الواقع الاليم الذي كان لنا لابد منه من ان نواجهه والذي كان لابد لنا من ان نواجهه بثقافة العصر .

ان مئات من الكتب والنشرات تصدر وهي معززة بالاحصائيات عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية في اغلبية البلدان النامية ، وان المنظمات التابعة للامم المتحدة هي ايضا تصدر دراسات وابحاث ونشرات من اخصائيين يكشفون فيها عن عالم ما يزال مجهولا لدينا ، ونحن منه بمشاكله الضخمة والمعقدة ، وان اكتشاف هذا العالم المجهول من طرف الجيل الصاعد لهو الرسالة الاساسية لخدمة نفسه ، ومجتمعه ومعرفة بيئته ، ولكي يقوم هذا الجيل بهذه الرسالة فلابد من أن يكيف نفسه بثقافة هذا العصر وان يستهلك من موادها بالقدر الضروري وبالقدر الاوفى كذلك .

فثقافة هذا العصر اصبحت تلزم المثقف بأن يكون على بينة مفصلة ومدققة من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية للبيئة التي يعيش فيها وعلى بينة مفصلة ومدققة كذلك من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في طانجانيقا وزنجيبار وكوبا والمحيط القروي في بلاد الهند والصين . وان يكون على بينة من هذه المسافات الشاسعة التي تفصل فيما بين عالمين : عالم يسمى بالمتخلف ، وآخر يسمى بالمتقدم ، لان مثل هذه المعرفة ستجعل المثقف قادرا على أن يسهم في ردم هذه الشقة الهائلة التي تفصل فيما بين عالمين ، عالمه هو ، وعالم آخرين .

احمد زياد



خصائص المدرسة الحديثية المغربية

للأستاذ : حسن السايح

دار الحديث هي أول معهد لدراسة الحديث في المغرب أسس في عهد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .
وسيفتتح ابوابه في وجه الطلاب في نوفمبر بحول الله .
وقد اختير له نخبة من الاساتذة المبرزين لدراسة الحديث والعلوم الاسلامية ،
ويتخرج الطلاب من هذا المعهد بشهادتي الدبلوم والدكتورة في العلوم الاسلامية .
ويسر المجلة ان تحلي جيدها بهذا المقال القيم ...

لنحاول ان نعطي (لعلم الحديث) تحديدا بناء على تطورات التفكير الاسلامي المعاصر لنظهر مكانته (كعلم) له تأثير عظيم على العقلية الاسلامية فى القرن العشرين ، ولعل من الواضح ان الاسلام ينبع كعقيدة وايمان ، ويتجدد ايضا فى الاستلهام من القرآن ، هذا الكتاب المعجز الذي سيظل الحارس اليقظ لتركيز التعاليم الاسلامية ، والدفاع عنها فى كل عصر ومكان ، والقرآن المعجز اوحى الى النبي ايحاء لا علاقة له بوعي تفكير ، وقد استطاع (دونكان بلاك ماكدونالد) ان يشرح بوضوح فلسفي مقنع كيف تتلاءم العقيدة السامية مع العالم الميتافزيقي ، ويحدد مفهوم النبوة تحديدا منطقيا علميا ، وبناء على استنتاجاته فالاسلام ليس مذهبا لاهوتيا متوارثا ، بل هو ايمان يتجدد متماسكا يصوغ حججه بشكل عقلاني متطور (✱) .

واذا كان القرآن وحيا الاهيا لم يشكل العقل الواعي صياغته ، فان احاديث الرسول وان كانت وحيا غير متعبد بتلاوته فان صياغتها منبثقة عن عقله الواعي ، اذ كانت شارحة ومبينة لما اوحى اليه ، واحيانا كانت تعبيرا عن مقتضيات بيئية وعائلية او تعبير من الصحابة عما فعله اواخبره بسكوته مما يؤلف مجموع (السنة) ووجد العلماء الذين اثاروا قضايا مذهبية وايديولوجية وقانونية وحياتية بصفة عامة (فى السنة) مصدرا حيا للاسلام ، فكرسوا جهودهم لتحقيق هذا العلم وتصنيفه، واستعملوا مواهبهم العقلانية لتنميته ومناقشته بحرية امدت التفكير الاسلامي بديناميكية وفعالية وبصلاحية للتطور والتقدم لا حد لهاء وبذلك نفذوا الى الواقع الداخلي للعقيدة الاسلامية وشكلها الخارجي ايضا (✱) .

واستطاع علماء الاسلام ان يحددوا الضمير الاسلامي بدقة في القرآن الكريم وان يستنبطوا منه قواعد الاسلام وفلسفته وان يجعلوا ذلك محكا للسنة فاذا وجدوا ما يخالف (الضمير الاسلامي) حكموا عليه بالغلط فى المتن ولو صحت

✱) ص 32 الاتجاهات الحديثة فى الاسلام للمستشرق هـ . أ . جيب .
✱) نفس المصدر ص 36 .

روايته وكانوا غالبا ما يوفقون في طعن السند اذ ضعف المتن ، غير ان استغلال المذاهب والفرق (للسنة) فى معالجة القضايا الاسلامية اخذ يباعد بين الاصل والفرع او بين روح الاسلام وبين الدراسة المنهجية للاسلام ، سواء فى ميدان العقيدة او ميدان السلوك ، وكان المسؤول عن ذلك تعدد النحل والفرق واثارة قضايا اجتماعية عمل بعض الفقهاء فيها دهاء فى الاستنباط بعيدا عن الضمير الحقيقي للاسلام ، سيما بعد ان استطاع الفقهاء والمتصوفة ان يهيمنوا على قيادة الفكر الاسلامي ويقصوا غيرهم عن مراقبة تطور الضمير الاسلامي ، وكان من نتيجة ذلك ان ظهر رد الفعل فى شعارات سلفية تنادي بالرجوع الى القرآن والسنة وحدهما ، كل ذلك لحراسة الضمير الاسلامي الحريص على صيانة الجماعة باعتبارها المجموعة الشعبية الواعية هذا الضمير الذي لا يوضح بالتصويت ولكن بالاقرار والاستقراء الذين تظهرهما الايام الطويلة الكافية لتحقيق التجربة ..

من خلال هذا العرض يتضح لنا موضع (علم السنة) من القيادة الفكرية الاسلامية اذ هناك القرآن النص المقدس الذي يمد العلماء بالنصوص الواضحة القاعدية لبناء الفكر الاسلامي الذي يسيطر على المرافق الفكرية للامة الاسلامية وهناك السنة التي تضم ايضاحات وتوجيهات وبيان الاسباب ، مما يساعد (المجتهدين) على ان يمدوا الفكر الاسلامي بتطويرات جديدة وهناك (الاجماع) الذي يسير مع القوانين حيث يتقبلها راضيا ، ويطورها .

ثم هناك الاجتهاد الذي يقول عنه اقبال هو مبدأ (الحركة) فى الاسلام ، هذه الحركة التي كانت تسير دوما في المقدمة لتفتح الباب ، ولكن مع الاسف فقد سده كلاسيكيو الفقهاء خوفا على الدين من بسطاء المفكرين ووضع حد لتيولوجيا رؤساء الفرق والطرق .

فموضوع علم السنة والحديث فى المكانة الاولى الذي فى وسعه ان يمد المسلمين بسلاح جديد متطور لتكوين مجتهدين يعملون بفكر ناضج فى توضيح الفلسفة الحديثة للاسلام وتزويدها بالمقتضيات العلمية على الاسلوب الحديث .

فلم يجد العلماء العقلانيون وسيلة لدراسة الاسلام بحرية الا فى علم (الحديث) او فى السنة حسب التعبير القديم ، ذلك لان قداسة النص القرآني تحد من انطلاقات الفكر ، اما احاديث الرسول الذي يأكل الطعام ويمشي فى الاسواق ففيها يتحرر العقل من القداسة ليناقش حرا ، ومن هنا بدأ علم الحديث يناقش القضايا الفكرية عامة ، ويعتبره الفقهاء مترفعا فوق المذهبية الضيقة ، لا يبخل ولا يضيق باية مناقشة ، ومنها بدأت العناية بمتن الحديث ... وكان النظر الى شخصية الرسول واعماله واقواله يدعو الى انطلاق الخيال الادبي والتحليل العلمي وتقديم مفهوم خاص عما يجب ان تكون عليه صفات الرسول (ص) الانسان الكامل بالمعجزة ، وبطبيعة الحال تتزايد متطلبات هذا التصور فتبدأ بالطبيعة الحرفية المفعمة بالطاعة وبالعمل لاتباع الخلق الكامل للرسول (ص) مستمدة من كنوز الاحاديث النبوية والاحاديث القدسية وكلماته الخاصة التي لا تنطق عن الهوى ، ومن هنا بدأت السيرة النبوية ، ثم تطورت الى علم منهجي .

لقد كانت حياة الرسول (وهي موضوع علم الحديث) مجالا لا حد له لامداد علم السنة بالاراء والملاحظات التي غمرت الحياة البشرية ، فالرسول كان يتحدث الى الناس في شؤون الدين والدنيا ويعاني التجربة الحياتية فى المدينة والقرية والحرب والسلام والمنزل والشارع ، فامدت سيرته التفكير البشري بتفاصيل علمية واخلاقية واجتماعية وفنية تتصل برقة الذوق فى بناء التعمير وتوجيه الري والفلاحة وتتصل بتنظيم المجتمعات وسيكلوجية المجتمع ، كما تهتم بالميتفزيقيا وتوضيح القوانين الطبيعية ونواميس الكون ، وكل ما يتصل بالانسان فلذلك كانت (السنة) اعظم موجه ومنظم لحياة المسلم فيما بينه وبين ضميره وما بينه وبين الناس .

وتقدمت دراسة الحديث التي كان هدفها الوثوق بالنص حيث اذكاها ما شاهده العالم الاسلامي من توتر عنيف بين الفرق الاسلامية المتعددة التي وجدت (فى السنة) مجالا خصبا لامداد ايديولوجياتها بحقائق اقناعية لا مرئية ميتافزيقية واتخذ الباطنية من التفسير والحديث وسيلة لنشر مبادئهم حيث لجأوا الى التاويل غير المشروع (✱) اي الذي لا يوافق العقائد الاسلامية مما حدا برجال الحديث ان يضعوا مناهج واصلاحات للنظر في الاسانيد ومراتب النقلة (✱) ويرفضوا رواية المتحزب والمتشيع ، ويضعوا قوة كل حديث فى مكانتها ضمنه الصحيح والحسن والغريب والمشكل الخ ...

واهتم المستشرقون بدراسة (السنة) ، والواقع ان هذا الميدان كان عسيرا بالنسبة اليهم فلم يستطيعوا نقد الاصطلاحات الحديثة نقدا علميا ، ولم يجدوا فى علم السابقين من الاغريق والرومان ما يوازي هذا العلم الذي يختص به الاسلام ، والذي يذكر ابن حزم فى الملل والنحل ان الاسلام وحده يختص بعلم الرواية والسند ، لذلك لم يجدوا مجالا لاثارة الشبه الا فيما يسمى (بعلم الشمائل اي فى (شخصية الرسول) والواقع ان ما اثير من اسئلة لم يشغل الفكر الاسلامي ، بعد ما اعترف

(✱ Guard Fragment relatif à la Doctrine des Ismaïlites

(✱ 209 م (Paris 1874) والغزالي ، فضائح الباطنية نشره جولد سهير بليدن ص 13 طبعة سنة 1916 .

كثير من المستشرقين بان الوسائل العلمية الصحيحة لا يتوفرون عليها لدراسة الحديث بموضوعية وان عليهم ثقل اعادة النظر فيما كتب بروح تبشيرية وتوجيهية ليكتب تاريخ الرسول بناء على دراسة سيكلوجية صحيحة كما يقول هـ . أجيب .

فمن هذا العرض ظهر ان علم الحديث يشتمل على فروع اربعة يدرس كل واحد منها على حدة ، وهي دراسة فن الحديث ، دراسة الشمائل النبوية ، دراسة السند ومتعلقاته ودراسة اداة الاصلاحية لعلم الحديث او ما يسمى بمصطلح الحديث .

ولا يهمنا في هذا الموضوع ان نحلل تطور هذه الفروع في بلاد المشرق والمغرب فذلك عسير كل العسر ، ويحتاج الى كثير من الجهد والوقت ولكن يهمنا ان نلقي نظرة على تطور علم الحديث في بلاد المغرب وان نوضح خصائص المدرسة الحديثة المغربية .

لقد عرف المغاربة بحرصهم على سلامة العقيدة والسلوك الديني ، لهذا فقد اخذوا انفسهم بالشدة في معالجة قضايا الدين واتباع النهج الصحيح فكان مذهبهم مالكيا لان الامام مالك كان من المدينة المنورة ، ويحرص في مذهبه على تقديم السنة على غيرها بعد القرآن الكريم .

كما ان الفقه بالمغرب درس بدقة متناهية والفت للمدونة شروح تميزت الطريقة المغربية فيها بالحرفية ووحدة المنهجية المتوارثة ، فلذلك اهتموا بدراسة المتن لتركيز المذهب الفقهي بالنص الحديثي وكانت عناية مختلف طبقات الشعب فائقة بالحديث حيث يحفظ اقل الناس اتصالا بالاوساط الفقهية طائفة من الاحاديث النبوية ، والتعابير الرسولية ، التي اصبحت من صميم اللهجات المغربية .

وفي البيئات الدراسية كان للمدرسة المغربية اهتمام بالغ بالمتن فقد درسوا الكتب الحديثية الخمسة والموطأ ، وكانوا يفضلون كتاب مسلم على البخاري وشرحه المازري الصقلي (✶) ويذكر ابن زرع قصيدة المزوزي (✶) التي تشير الى الكتب الحديثية التي كانت تدرس في عصره . ورغم شيعة الدولة الادريسية فقد غمرت فاس بفقهاء قرطبة والقيروان ذوي الاتجاه الحديثي الذي لم يخفف من حدته الا استقواء الفقهاء المرابطين من بعد ، مما ادى الى رد فعل عنيف في عصر الموحدين الذين اهتموا بالحديث ، ويرجع ذلك لاخذهم بالمذهب الظاهري ، ويقول عبد الرحمن الفاسي في كتاب بيوتات فاس ان ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم من انكار الرأي (✶) وقد امر عبد المومن سنة 555 بتحريق كتب الفروع ، ورد الناس الى قراءة الحديث ، وكتب بذلك الى طلبة المغرب والاندلس ، والتاريخ لا يذكر تنفيذ ذلك الا في عصر يعقوب المنصور حيث خافه الفقهاء ، ويروي الحافظ ابو بكر بن الجد انه لما دخل علي امير المومنين يعقوب اول دخلة وجده وبين يديه كتاب ابن يونس فقال له يا ابا بكر اما انظر في هذه الاراء المتشعبة التي احدثت في دين الله ، ارايت يا ابابكر المسئلة فيها اربعة اقوال او خمسة ، او اكثر من هذا ؟ في اي هذه الاحوال هو الحق ؟ وايها يجب ان ياخذ به المقلد فافتتح ابو بكر ليبين له ما اشكل عليه من ذلك فقال له وقطع كلامه ، ابا بكر ليس هذا ، واشار الى المصحف او هذا واشار الى كتاب سنن ابي داود ، وكان عن يمينه او السيف (✶) وقد حمل الناس على هذا المذهب بالقوة وشاهد المراكشي احراق الكتب في شوارع فاس ، وكذلك اعتنى الموحدون بطلبة الحديث ، ويذكر المراكشي انهم نالوا في عهد يعقوب المنصور ما لم ينالوه في ايام ابيه وجده (✶) وكان يوسف الموحدي يحفظ احد الصحيحين (✶) كما كان المامون معدودا بين حفاظ الحديث يسرد البخاري والموطأ وسنن ابي داود (✶) وكذلك كان الامير ابراهيم بن يوسف الذي قال عنه المراكشي لم ار في العلماء بعلم الاثر انقل منهم له (✶) ويدل على العناية بدراسة الحديث قصة امتحان ابن عات ببيت الطلبة بمراكش وامتحان الواردين عليهم من اهله (✶) وانتشرت في عهدهم بالخزائن المغربية من كتب الحديث ، الكتب الخمسة ، وهي : صحيح مسلم وسنن ابي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي ومسند البزار وموطأ ابن تومرت واحاديث الجهاد التي امر يعقوب المنصور بجمعها (✶) والشهاب للقضاعي المسمى بشهاب الاخبار في الحكم والامثال ، والادل من الاحاديث النبوية (✶) وبظهور الفرق الصوفية ذات النزعة اللاهوتية اي اللاهوت الصوفي لا الاخلاق الصوفية ، واستفحال امرها ، وجد المرينيون انفسهم امام واجب رعاية دراسة سنية منظمة فاسسوا المدارس في سائر المدن لتحقيق هذه الغاية ، حيث التزموا فيها دراسة الحديث كما في الرسالة المجازة في معرفة الاجازة لابن

(✶) ص 36 هـ . أجيب . الاتجاهات الحديثة في الاسلام .
(✶) قصة الادب في الاندلس (ص 102) . (✶) المزوزي القرطبي . (✶) العلوم والاداب والفنون لمحمد المنوني (ص51)
(✶) المعجب (ص185) . (✶) المعجب (ص188) . (✶) المعجب (ص155) . (✶) القرطاس (ص161) . (✶) المعجب (ص207)
(✶) عنوان الدراية (ص161) ونفح الطيب (ص369) . (✶) المعجب (ص167) . (✶) التكملية لابن الآبار (ص 1608) .

ميمون (*) ، وكانت مجالس ابي عنان وابي الحسن (*) المريني حافلة بالدراسة الحديثية ، واقتفى السعديون منهاجهم فكان بلاط المنصور السعدي حافلا بمجالس سنية لمناقشة موضوعات حديثية ، ويذكر القاريء ان بالقرويين حبس خاص لكرسي يدرس عليه البخاري بابن حجر حيث كان الونشريشي احد اعلامه وتبل عليه ، ولا شك ان النزعة السنية بلغت مداها في العصر العلوي حيث التزم المولى عبد الله 1134 بحضور دروس حديثية في قصره ، والف كتاب الفتوحات الالهية واصدر مرسوما لاصلاح التعليم على اساس الرجوع الى القرآن والحديث (*) واقتفى سيرته عالم الملوك المولى سليمان الذي كان زعيم الحركة السلفية في عصره ، ونعثر في ديوان الحوات على قصائد بليغة انشدت بمناسبة ختم الدروس الحديثية وقد سار على نهجه الملك الحسن الاول والمولى الحفيظ الذي نشر عدة كتب حديثية والمولى يوسف وجلالة الملك المرحوم محمد الخامس رضي الله عنه حيث كانت تلقى في امسيات رمضان احاديث نبوية يتقاشها كبار العلماء .

(*) ولد ابن ميمون سنة 854 .

(*) نيل الابتهاج ترجمة المقري الكبير .

(*) مفاخر العلويين لابن زيدان .



نظرات في الصحافة

ترجمة للدكتور جمال الدين الرمادي

ان السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو هل الصحفي الذي يبيع اخبارا يعلم انها كلها كاذبة او ان بعضها زائف وهل الصحفي الذي يموه الحقائق ليجعلها قريبة الى النفس اكثر جرما من التاجر الذي يطفف من من ميزانه او الصانع الذي يقدم بضائع مغشوشة ..؟ الواقع ان نشر تصريح كاذب او اذاعة فكرة خاطئة اكثر خطرا واشد اذى من بيع البضائع الزائفة على انها بضائع جيدة ولكن الصحفي الكبير ويكهام ستيد يعتقد ان الافكار الكاذبة اشد خطرا من السكر الزائف او الصابون المغشوش .

ان الصحفي الذي يخون ثقته يقع عليه اللوم اكثر من التاجر المحتال ان الصابون الفاسد يفسد الجلد ولكن الافكار السيئة تنفث السم في العقل ، والصحافة مركز حساس على اعتبار انها اساس لما يطلق عليه الان (صناعة الصحف) لان مواردها الاولية ليست في الحقيقة الا عقل الجماهير فهي تتاجر في (القيم الانسانية) او بمعنى آخر ان المسؤولية الخلقية التي يتحملها الصحفيون تختلف عن تلك المسؤولية التي يتحملها رجال الدين والزعماء او قادة الراي، فالصحافة تتاثر بحالات صناعية وظروف تجارية على عكس الحال عند الافراد القيمين على عقلية او اخلاق الجماهير .

وليس من شك في ان صناعة الصحف تحتاج الى راس مال عظيم فهي تستهلك يوما بعد يوم الاف الاطنان من ورق الصحف وهذا الورق مصنوع من لباب الخشب المستخرج من بعض انواع الشجر ويطحن هذا المستخرج الابيض بمطاحن شديدة القوى واغلب مواد هذا الورق تستورد من وراء البحار على ظهور سفن خاصة ويلزم كذلك لصناعة الصحف مئات من البراميل المليئة بحبر الطباعة لتحبير الاوعية المعدنية التي تغطي الاسطوانات المتعددة للطباعة كما انها في حاجة الى الات للطباعة والات لطي الورق والات لقطع عشرات الالاف من الصحف في الساعة ...

وتحتاج صناعة الصحف كذلك الى راس مال عظيم لجمع الاخبار من جميع انحاء العالم ولدفع مرتبات لهؤلاء الذين يرسلونها ولدفع نفقات الارسال كما تحتاج الى راس مال كبير لدفع مرتبات هيئة التحرير ، واجور العمال ، ولقضاء بعض المصالح في البلاد وتحتاج كذلك الى مقر كبير توزع منه الصحف المطبوعة على وجه السرعة كما انها تحتاج الى رتل من السيارات للتوزيع السريع — لهذه الاسباب ولغيرها كان انتاج الصحف صناعة حقيقية .

والصحف الى جانب ناحية الاخبار والتعليق تنشر اعلانات المعلنين وتكون هذه الناحية مقدارا كبيرا من دخل الصحف ، اما ضرورة الحصول على هذا الدخل فتاثره باكثر من سبب ، ان ثمن بيع الجريدة يعتمد على نوع توزيعها او بمعنى آخر يعتمد على العدد والقوة الشرائية عند الجماهير ، ولو اساءت هيئة التحرير الى القراء اثناء اداء واجبها نحو الجماهير فقدت الجريدة حركة التوزيع ومن ثم لابد ان يتاثر بذلك دولاب العمل ، فقد لاينسى كثير من الصحفيين ان ما يعتبرونه مهنته او فنا او حتى وزارة يتاثر وله صلة وثيقة ببيت المال .

ورغم هذا كله فان الصحافة يطلقون عليها مهنة تعصمهم من الحاجة ويتمرن عليها كثيرون كما يتمرن الاطباء والمحامون على مهنهم ، والصحافة فن كذلك لان النجاح او الفشل في الجريدة قد يعتمد على الطريقة التي تستعرض بها الاخبار والافكار ، والصحافة بعد هذا كله وزارة وليس هناك صحفي يستحق هذا الاسم وجدير بان يؤثر في عقول القراء الا اذا كان يشعر بالمسؤولية الخلقية تجاه القراء .

ان كل الغابات المقطوعة لاستخراج ورق الصحف وكل المحيطات السوداء من الحبر الذي يحبر الاوعية المعدنية التي تضغط الكلمة المطبوعة على اسطوانات الورق الملفوفة ، وكل هذه الملايين من الجنيهات التي تصرف في سبيل الاعلان تعتمد في النهاية على دعاء الصحافة لعقل الجماهير وهذا هو الصحافة الحق .

والفكرة التي تقول بان عقل الجماهير سهل التاثر وسهل الخضوع الى اي لون من الوان ولكن الراي العام او ما يتصوره الصحفيون بالراي العام يؤثر فيهم انفسهم) فذوق الجماهير هو الذي يؤثر في حركة التوزيع والتوزيع يبين قيمة مكان الاعلان كما يبين قيمة الدخل من الاعلان ولهذا يعمل الصحفيون على اعطاء الجمهور « ما يريده)) .

والصحفيون الذين يستطيعون التخمين بما يريده الجمهور هم « الاوز)) الذي يبيض بيضا من الذهب لاصحاب الصحف اللهم الا اذا كانوا هم انفسهم اصحاب الصحف .

ولكن ماذا يريد الجمهور ؟ انه كقاعدة عامة يريد العواطف ويكره ويمتنع سريعا عن شراء او بيع الصحف الكئيبة او بمعنى آخر الصحف التي لا تقدم الى قرائها شيئا طريفا فيه حماس وفيه حياة وفيه حوادث مثيرة ومحادثات خطيرة وافكار نيرة واخبار مسبوق اليها ، ويمكن تعريف الاخبار بانها ما هو خارج عن نطاق الحياة العادية ، وهنالك مثل يقول وقد يكون فيه بعض المجون « الرذيلة تكون اخبارا اما الفضيلة فلا تكون)) وهذا المثل يثبت ان الفضيلة شيء عادي اما الرذيلة فشيء غير عادي وعندما لاتكون هنالك اخبار في الجريدة واشياء تخرج على المألوف يعتقد القراء ان جريدتهم كئيبة ويتطلعون الى جريدة اكثر حياة ولهذا كان الامر الاول من الرواج الصحفي الا تكون الجريدة كئيبة ، والكآبة معناها فقد التوزيع وفقد التوزيع معناه فقد قوة الاعلان ، وفقد قوة الاعلان معناه فقد الدخل الذي يغطي بين ثمن البيع للجريدة وثمن الانتاج واغلب الصحف في انجلترا تباع الى متعهدي الصحف الذين يمونون الجماهير بالجرائد بثمن اكثر قليلا ان لم اقل في الواقع من تكاليف الورق الابيض الذي يستعملونه في الطباعة فالصحافة الناجحة ينبغي اذن ان تحرز انتصارا يوميا على الكآبة ولكن افكار القراء عن الكآبة تختلف من فرد الى فرد فالطعام الذي يقدم الى الاوز لا يقدم الى غيره من الدواجن ، وكل جريدة تحتاج الى وسائل كثيرة للتاثير في اذواق الجماهير فهي في حاجة الى مضحكات تهز الاشواق لنفر من الناس وفي حاجة الى جديات لهؤلاء الذين يؤثرون الجد وفي حاجة الى شؤون مالية الى رجال الاعمال والدائنين وفي حاجة الى رياضيات للرياضيين والى ادب على اختلاف درجاته للمثقفين ولكن هنالك قاعدة عامة تسبب الجودة .

ان القراء على اختلاف مشاربهم وتباين نزعاتهم يحبون ان تجلب اليهم الطرافة والمتعة والتسلية ويكرهون ان يقدم اليهم الزجر وتساق اليهم الموعظة ولا يتعقلون ان يعلموا او يلقنوا حيث لاتوجد اي سلطة مدرسية في هذه العملية .

والواقع ان العلاقة بين الصحيفة والجمهور تجربة دائمة في دراسة نفسية الجمهور ، ويعلم الصحفيون الماهرون المكان الاول الذي تدركه عين القارىء والمكان الذي توضع فيه الاخبار الهامة والفروق بين حروف الطباعة التي توضع للعنوان والتي توضع للتعليق ؛ والجزء الاعلى من الصفحة (فوق الثنية) احسن عند القراء واكثر اهمية لان القراء من العادة يركزون انظارهم جهة اليمين (في الجريدة الافرنجية التي يتحدث عنها ويكهام ستيد) ولهذا كانت الزاوية اليمنى من الصفحة انسب مكان للاعلان ، فالجزء الاعلى من العمود الايمن من الصحيفة هو الجزء الذي يركز فيه القراء انظارهم في العادة اللهم الا اذا كانت العادة في توضيب الصفحة غير ذلك فعودتهم على قراءة الاخبار الرئيسية اليومية عند طرف العمود الايسر من الصفحة والقراء المعتادون على نوع معين من التوضيب يحتاجون الى احترام عاداتهم غير ان بعض الصحفيين الماهرين يغيرون توضيب صفحاتهم بين الحين والحين حتى يبعثوا روح التغير في القارىء ويبعدوا القارىء عن روح السأم والملل .

وينبغي ان تكيف الاخبار المهمة بجو خاص ان لم يكن هنالك اختلاف في عرضها فلا يشعر القراء بانهم محتاجون الى ان (يحفروا) ابتغاء الوصول اليها بدلا من ان تصل اليهم في فكرة واضحة واسلوب مناسب .

ان الكفاح في سبيل التوزيع والدخل من الاعلان يسيطر على شكل واسلوب كل جريدة تقريبا وانه كفاح قد يصل الى حدود غير ظاهرة ان لم يحتفظ بدائرته في اصحاب الصحف والصحفيين انفسهم .

وعلى العموم يمكن ان نقول ان الجمهور يهتم قليلا بالوسائل التي تصل بها الاخبار والافكار الى الجريدة ولكنه يهتم كثيرا بان هذه الاخبار او الافكار تناسب

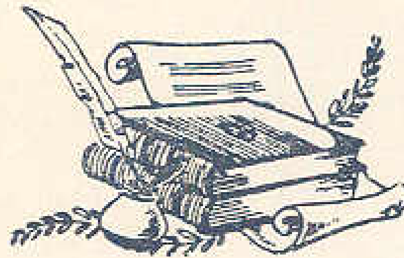
ذوقه كما انه يهجر الصحف التي تفتقد الاخبـار او تتاجر فى نشرها او التي تشذ فى بيان ارائها كـما ان الجمهور لا يهتم بان الجريدة اساس قوي قدر اهتمامه بشعوره الخاص ورئيس التحرير لا يحتاج الى قـدر قليل من الشجاعة فقط ليمحو تعصب قرائه حين يعتقد انه على حق وان الحوادث سوف تثبت ذلك لان القراء لا يحبون ان يظهروا خطاهم امام اي صحفي يعتز برايه.

وقد يشق اكثر القراء عقلا فى حكم صحيفته ولكن كثيرا من القراء قد يضايقه ذلك ومن الصعب علـى الجريدة ان ترتفع عن مستوى القراء ، ولذلك كان مـن الصدق ان تقول ان للامة الجريدة التي تستحقها ومن الصدق ان تقول ايضا ان الذوق العام للجمهور قـد يتاثر بالصحف التي تؤثر فى الغرائز المنحطة للقارىء .

وبعض الصحف تعتمد لزيادة نسبة توزيعها على تقديم ميزات التامين لقرائها لان هذا يشجع الطبقات الفقيرة على شراء الجريدة ولكن مثل هذه الاشيـاء ليست صحافة حقة وينبغي ان تحرم مثل هذه الامور لصلحة الجمهور فما هي الاصل لزيادة التوزيع لا تمت الى الصحافة بصلة وعلى امل ان يرتفع ثمن المكـان المخصص للاعلان .

ويمكن ان تعتبر هذه المسالة فى نظر الصحفيين انفسهم غشا او نصف غش لانهم يدفعون القراء الى شراء الجريدة لا لاخبارها بل لما تمنحه من سندات التامين وفى مثل هذه الاحوال يدفع المعلنون للنشر ما لا يمكن ان يتسلموه فى الواقع .

الدكتور جمال الدين الرمادي



نجيب محفوظ
أو الكاتب العربي الذي يكتب عن مجتمعه

للأستاذ
محمد زنيبر

الحديث عن القصة العربية فى العهد الحاضر حديث متشعب قد يتيه فيه القارىء والباحث معا عن الهدف المقصود الا وهو استجلاء السبل الصالحة للفن القصصي فى ادبنا العربي ، في وقت تتعرض فيه الرواية لمختلف التجارب لدى الامم المتقدمة ، مقتدية بالرسم وبغيره من الفنون الجميلة التي عرفت انحرافات متعددة منها ما انتزع الاعجاب وحل محل الصدارة ومنها ما رفضته الاذواق السليمة وعدته من قبيل المجهودات الضائعة .

لذلك فسنقتصر كلامنا هنا على الوقوف مع احد الروائيين العرب الكبار لنطلع على فنه القصصي ونعرف كيفية فهمه للقصة وما ينتظره منها وما يقدمه فيها ، لان القصة : كما لا يخفى فن مركب ، يجمع سائر الوان الادب من شعر ، وحكمة ، ومأساة وملهاة وحوار وفلسفة ، أي انها ، فى الواقع ، خلاصة الادب وعصارته التي تتمثل فيها براعة القلم والفكر والخيال في اقصى حدودها . ولا عجب اذا رأينا معظم الكتاب الكبار فى اروبا وامريكا يقبلون على كتابة الرواية لانها تفتح لهم الميدان الواسع الذي تخوض فيه عبقريتهم بكامل حريتها فيدخلون اليها بنفسهم الطويل غير واجدين أي عائق اللهم الا ما كان من محدودية طاقتهم الانسانية .

والروائي الذي نريد ان نتحدث عنه هو نجيب محفوظ الذي يعد اليوم المع اسم فى القصة العربية . وقد يكون من العجب الا تتحدث صحفنا الادبية بالمغرب عن الرجل وعن قيمته . ولا شك ان هذا تجاهل غير مقصود قد يكون مرده الى ضعف تنظيم الصحافة الادبية فى بلادنا والى انعدام التوجيه فى البحث . ففي الوقت الذي نجد فيه هذه الصحافة تزخر بالمقالات المتكررة فى المسائل المعروفة والمطروقة ، تراها تهمل المواضيع الطريفة التي تحتوي على فوائد حقيقية ، سواء بالنسبة لثقافة القراء او بالقياس الى ما تتطلبه نهضتنا الادبية المنشودة من دراسات متنوعة حول الادب العربي المعاصر . ويجب علينا في هذا المقام الا ننسى أن الانبعاث الفكري بدا فى الشرق قبل المغرب باجيال ، وان الادب اكتسب هنالك بفضل هذا السبق الزمني نوعا من النضج والاستقرار والثقة بالنفس جعلته يتحرر من كثير من المركبات والعقد ويسترجع رويدا رويدا شخصيته الوطنية العربية . وبدون ان نندفع عميانا وراء التقليد والمحاكاة ، يجب علينا ان نعرف النهضة الادبية التي يعيشها الشرق من خلال بعض الآثار القيمة التي تدل على مجهود فني صادق . ولعل ذلك هو أوفق سبيل يساعدنا على ان نكون لانفسنا نحن ايضا فكرة عما يجب أن تكون عليه نهضتنا فى المغرب .

ونجيب محفوظ خير مثال للكاتب الذي بعد ان نال حظا وافرا من الثقافة الاجنبية واطلع على الوانها وفنونها استطاع ان يتحرر من هوسها و « موضاتها » العابرة واندفاعاتها الطارئة ليستخلص منها الصفوة الصالحة فيعود الى نفسه والى مجتمعه ولم يزده الاحتكاك الا صفاء فى الجوهر وتماسكا فى الشخصية واستقلالا فى التفكير والانتاج .

وثقافته العميقة الواسعة تلوح للقارىء من خلال كل سطر من سطوره ، الا انها ليست من نوع تلك الثقافة الفجة التي عسر هضمها على اصحابها فظلوا يتعثرون بها فى كتابتهم ويتخذونها من قبيل الماكياج

لهزال افكارهم ، بل انها ثقافة مستوعبة مهضومة مندمجة في شخصية الكاتب وطابعه بحيث لا تشعر بغرابتها وفضولها . وهذا ما يجعل اللقاء بين الكاتب وقرائه لقاء بسيطا ميسورا لا تعمل ولا تصنع فيه .

وقد يظن البعض ان هذه السهولة في الاتصال تتحقق على حساب مستوى الرواية وما تنطوي عليه من خيال وتفكير . ولربما دفعهم الى مثل هذا الظن الصعوبة التي صادفوها في مطالعة بعض الروائيين الكبار من امثال « وبليام فولكنر » و «جيمس جويس » وهذا ظن خاطيء ، لان نجيب محفوظ استطاع حقيقة ان يضع قصصه في مستوى الرواية العالمية ، دون ان يلتجيء الى الطرائق الشاذة وان يخرج عن فن الحكاية كما عرف منذ قديم الزمان . وهذا لا يعني مطلقا اننا ضد الطريقة التي انتهجها جويس او فولكنر . وانما يدل فقط على أن فن الرواية ليس واحدا ، بل هو فنون مختلفة اختلاف الليل مع النهار . والفرق بين نجيب محفوظ وفولكنر وجويس ، هو ان هذين الاخيرين مبتكران لمذهبين جديدين في عالم الرواية ، بينما روائينا العربي ظل وفيا نوعا ما للمذهب التقليدي : مذهب القصة كما تحكيها العجائز للاحفاد مع بعض التحليلات النفسية والتحويرات الفنية .

حقا ، ان فولكنر وجويس يتفوقان بفنهما وان صعب فهمه احيانا ، لانهما يلقيان اضواء جديدة على الواقع البشري ، فنكتشف الانسان معهما مرة اخرى في مواقف واحوال لم نعهدها من قبل . يضاف الى هذا اسلوبهما الغريب الذي هو ثورة على التعبير المألوف ومحاولة لاستخراج الرواية من نفوس ابطالها. ولكن المقارنة هنا لا تضير نجيب محفوظ في شيء ، لانها ستكون مقارنة في غير محلها ، فهي اشبه ما تكون بالمقارنة بين اللوحات التي رسمها « دافيد » مثلا وبين ما يرسمه « بيكاسو » في وقتنا هذا .

اذن ، يمكننا ان نقول ان اول ما يعجبنا في رواية نجيب محفوظ هو اصالتها العربية التي تميزها عن الرواية المعهودة عند الكتاب الاروبيين وبذلك تضفي عليها لباسا طريفا يجعل لها مكانا في الآداب العالمية .

فالاجانب — واعني الاروبيين خاصة لانهم لا زالوا يسيرون الذوق الادبي في العالم — عندما يقرأون القصة العربية او الهندية او الفارسية ، مثلا ، يعودون بالخيبة اذا ما وجدوا الكاتب انف من مجتمعه وراح يصور لنا حوادث وابطالا في اطار خيالي هو اقرب ما يكون الى البيئة الاروبية . فهذا نوع من التهجين يضيع معه الفن اشياء كثيرة لانه ينبني على فكرة خاطئة وهي ان الانسان لا يصلح أن يكون بطلا للقصة الا اذا كان فيه بعض الشبه بالرجل الاروبي .

ولكن هؤلاء الاجانب يشتد اعجابهم اذا ما كانت الرواية تقدم لهم الانسان في اطار طبيعي ، حقيقي اي اطار عربي أو هندي او فارسي . وهذا ما توفق اليه نجيب محفوظ الى حد بعيد . فهو بهذا المعنى يواصل التقاليد القصصية العربية كما ابرزتها لنا الف ليلة وليلة منذ اكثر من عشرة قرون . وفضل نجيب محفوظ هو انه لم ينس ان للقصة العربية وجودا قديما لم يستطع ان يعفي عليه الزمن ، اذ انه اكتسب في العصور الاخيرة منتهى الشهرة والمجد ، لا في البلاد العربية فحسب ولكن في اروبا حيث اصبحت حكايات شهرزاد من الكتب القليلة التي يحرص القراء منذ صغرهم على مطالعتها .

نعم ان فنه امتداد لالف ليلة وليلة في جوانب متعددة كما سنرى بالتفصيل . ومن هنا احرزت قصته الاصالة والطرافة وارتبطت بالعبقرية العربية في احسن ما انجلى عنه ايحاءها واستطاعت ان تخرق الآفاق القومية لتستشرف الآفاق الانسانية وتحل محلها من نفوس القراء في كل مكان .

حياة الشرق ، جو الشرق ، روح الشرق ، انسان الشرق .... ولكن في القرن العشرين ، ذلك هو موضوع نجيب محفوظ . اننا ندخل معه كسائحين مفعمين بحب الاطلاع الى البيوت ، الى المقاهي ، الى المساجد ، الى الحانات لنرى كيف يعيش المصريون : على اختلاف طبقاتهم . وهنا ينحرف عن الف ليلة وليلة نوعا ما ، ففي القصة القديمة تلفي الكاتب ينحاز من اول وهلة الى ابطاله المحبوبين

ويعيش متحيزا لهم من الاول الى الاخر ، بينما نجيب محفوظ يقف منتصبا لاينعطف لاي جانب فيصور الواقع الانساني والاجتماعي كما يتراءى له بنوع من التجرد والموضوعية .

وهذا الموقف ، يربطه ، طبعا ، بطائفة الروائيين الواقعيين الاوروبيين من نوع بلزاك وفلوبير وديكنز وغيرهم ، فهو من الذين يعتقدون ان الواقع اذا تحدث عن نفسه كما يجب يكون احسن قصة واعمق فن .

الا ان كلمة الواقعية التي تظهر لاول وهلة واضحة دقيقة ، هي في الحقيقة من اصعب الكلمات تحديدا . فهنالك مذاهب فنية متعددة لا تنتحل هذا الاسم دون أن يكون التقارب بينها واضحا بينا . وذلك راجع الى كون الحدود بين الواقع والخيال من الصعب تعيينها .

الواقع ميدان واسع غير متناه ، يحتضن اشياء مختلفة ، واحيانا متناقضة ، يعجز العقل عن ضبطها والخيال عن استيعابها . فالرواية البوليسية التي تقص علينا حوادث غريبة واقعية ، واخبار الجاسوسية بعجائبها التي لا تخطر على بال واقعية ، ومغامرات الافذاذ من ابطال الحروب ، واصحاب الرحلات والاسفار واقعية . بحيث ان الواقع يتسع لاكثر مما يتسع له الخيال البشري ، ويتطلب دائما مزيدا من الاستكشاف والاطلاع .

ولكن هذا لم يمنع كل روائي من ان يكون واقعيا على شاكلته ، يختار جانبا محدودا يستطيع ان ينفذ منه الى اسرار واغوار . وهكذا ، راينا « دوستويفسكي » يتجه الى تصوير بعض الشواذ من الناس او ــ بالاحرى ــ الى اكتشاف الشذوذ النفسي في البشر . وشاهدنا « هيمنجواي » يصف لنا الانسان في صراعه مع نفسه ومصيره . وهذا «زولا» ينظر حواليه بامعان ، فيكشف لنا عما يكتنف الحياة العصرية من تشويه ودمامة . والقائمة طويلة جدا .

الواقعية ، اذن ، مذاهب واشكال ، ولعل نجيب محفوظ من الكتاب الذين يقدمون لنا اصح نموذج عنها ، لانه ينمحي تماما في قصته ويترك الاحداث والاشخاص ينطقون بأنفسهم عن انفسهم . وقد وجد امامه ميدانا فسيحا ، يكاد يكون بكرا ، الا وهو المجتمع المصري .

لقد اصبحنا منذ زمان بعيد نعرف المجتمع الفرنسي والانجليزي والروسي والامريكي من خلال الروايات العديدة التي الفها الكتاب المنتمون لهاته الجنسيات المختلفة . ولكننا لانكاد نجد من يعرفنا بمجتمعنا العربي في مختلف اوطانه . وتلك ظاهرة حقيقة بان تثير في نفوسنا بعض الاسف ، لانها تدل على ان الكثير من كتابنا لا زالوا لم يستمثلوا في اذهانهم مهمتهم على الوجه الاكمل ، ولا زالوا لم يتحرروا من بعض العادات الفكرية والعقد النفسية المتولدة عن ارستوقراطية مزيفة . فهم يرون ان ربط فنهم بالمجتمع معناه النزول الى حضيض الشعب والارتطام بالشر والبؤس والاجرام والرذيلة والاحتكاك بما هو سمج في عيونهم ، مر في اذواقهم . ويعتقدون في برجهم العاجي أن سلوك هذه الطريق سيبعدهم عن ثالوث « الخير والحق والجمال » الذي يضعونه في عالم آخر ، عالم بعيد قد يكون باريس وقد يكون لندن، ولكنه على اي حال لا يمكن ان يكون هذه الارض التي يخترقون دروبها كل يوم ويأكلون من طعامها ويستنشقون من هوائها .

وهنا يندمج الاختيار الفني في موقف اخلاقي معين : هل للكاتب من الشجاعة والصبر وسلامة الشعور ما يجعله يقبل بارتياح أن يعيش في مجتمعه ومع مجتمعه ويكتب عن مجتمعه بما فيه خير وشر وجمال وقبح ؟ ام هل يساير هذا الانحراف الذي فرضته عليه بيئته الضيقة حتى جعلته يفر من واقعه اليومي ومن محيطه القريب فصار اشبه ما يكون بتلك العذارى السادرات في احلام الغد البعيد ، الغد الذي يجهلن عنه كل شيء ؟

ولست ادري هل القى نجيب محفوظ السؤال على نفسه بهاته الصورة ، ولكنه ، على اي حال ، تجاوز ما كنا ننتظر منه ولم يترك لنا اي مجال لنلاحظ عليه في هاته الناحية . فهو ، وان كان كما قلنا يلتزم التجرد والموضوعية يشعرك من طرف خفي بأنه يكن

لمجتمعه حبا عميقا ويحلو له ان يسجل بدقـة كـل مظاهر حياته ونفسيته كبيرها وصغيرها . وما اشبهه في هذه الحال بالاب مع ابنه الصبي يتتبع كل ما يصدر عنه باهتمام وعطف ويجد لذة في ان يقص لمعارفـه ما يبدر عنه من هذيان وحماقات وافعـال تـدل على فطنـــة وذكـــاء !

ولعل كلام الفلاسفة الجدليين يساعدنا هنا على توضيح المراحل التي انبثق عنها موقف نجيب محفوظ كروائي واقعي . ففي طور أول نشاهـده يبتعـد عن مجتمعه وقد فتحت له ثقافته الواسعة واتصالـــه بالادب الاجنبي آفاقا جديدة وخلقت له مشاغل لا صلة بينها وبين المحيط المحدود الذي يعيش فيه . ولكـن هذا الابتعاد هو في الحقيقة ارتفاع . وهنا يبدا الطور الثاني في هاته الحركة الجدلية ، حيث يتمكن الكـاتب بعد أن صقلت فكرته التجربة الثقافية ، من ان يشرف على مجتمعه من مكان عال ، فيلقي عليه نظرة هادئـة مستوعبة تضع كل شيء في مكانه فلا تطغى عليهـا كثرة المشاهد والمرئيات ، فهو يعطي لكل جانب مـن الواقع حقه ويحلل المتناقضات الانسانية والاجتماعية بما يلزم من التدقيق والتعمق . وهنا ندخل معـه في الطور الثالث حيث يصير الابتعاد والارتفاع في النهاية قربا واتصالا . فنرى نجيب محفوظ مندمجا فـي مجتمعه يتحدث عنه بتفهم وعطف وفي نفس الوقت يؤدي لنا عنه شهادة موضوعية تامة ليس فيها اي اثر للتمجيد والمدح ولا اي محاولة لستر القبيـح وابراز المليح . بل هي شهادة تريد ان تكون وفية للحقيقة ، قبل كل شيء . وهذا التعلق بالحق هو الذي اعطى لفـن نجيب محفوظ جانبا مهما من قوته وهو الذي يجعلنا نحن ايضا نشعر بعطـف على المجتمـع الذي يصوره وعلى الابطال الذين يتحركون في مسرح رواياته .

— يتبـــــع —

محمـد زنيبـــر



أهمية الدراسات الأدبية

للأستاذ عبد اللطيف خالص

خلف لنا تاريخ الثقافة البشرية مجموعة من المؤلفات لا تحصى ولا تعد كما خلد لنا الفكر البشري روائع انسانية لا يحصيها عد وتشتمل هذه المؤلفات والكتب والروائع على مختلف وجوه الثقافة الانسانية من علم وادب ودين وفلسفة وغيرها .

وقد كان للطباعة اثر كبير فى كثرة هذا الانتاج الفكري البشري فاقبل الناس يطبعون ما يكتبون كما اسرع البعض منهم الى دراسة المؤلفات القديمة والمخطوطات النادرة يراجعونها ويصححونها ويطبعونها الشيء الذي جعلنا نعيش امام انتاج ضخم ووسط مجموعة هائلة من الكتب والمآثر حتى اصبح فوق مستطاع اي فكر ان يستوعب العلوم الانسانية كلها ويلم بها جميعا واضحى من الصعب على المرء ان يجمع فى خزانته الخاصة كلما تركته البشرية على ممر العصور والدهور فاحرى ان يقراه ويدربه بما يستحقه من العناية والاهتمام .

واذا كان للطباعة دور كبير فى تكاثر هذا الانتاج فان الاتصال المتين والقريب بين الشعوب على اختلاف لغاتها وادیانها واجناسها قد ساهم بحظ وافر فى تراكم هذه المعارف وتجمع هذه المؤلفات او المراجع والروائع فقد تطورت العلاقات الدولية تطورا عظيما صار فى استطاعة كل فرد ان يتعلم اللغة التي يحب ويريد ويكتب باللغة التي يهوى ويشاء وينشر مؤلفاته وكتبه فى البلاد التي يختارها لنفسه فنشأ من ذلك تقارب بين الشعوب ونشأ عن ذلك اتصال والتحام بين مختلف الثقافات العالمية ونشا عن ذلك فى الاخير كثرة الانتاج فى مختلف انواع العلوم والاداب البشرية . نعم لقد كان الاتصال بين الشعوب قائما منذ القدم وقد قام عدد من الرحالة بزيارات متعددة لمختلف الاقطار والبلاد النائية وما ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما الا امثلة حية قائمة الذات وادلة ناطقة على وجود هذا الاتصال فى الماضي القريب والبعيد ولكن هذه الاتصالات رغم كثرتها وتعددها لم تكن تكتسي صبغة السرعة والاستعجال التي تكتسيها اليوم فقد اصبح السفر يسيرا فى هذا القرن من بلد الى آخر وصار من السهل على المرء ان يزور البلاد التي تشتاق اليها نفسه رغم البعد مرات عديدة اذا شاء ذلك واضحى من اليسير على جميع ابناء البشرية أن يتصلوا فى مختلف المؤتمرات والمنظمات والاجتماعات الدولية الشيء الذي ادى بأبناء آدم الى تعارف متين واتصال وثيق وتعاون اكيد فنتج عن ذلك رغبة زائدة فى حب الاطلاع وسعة البحث وقوة التنقيب ونتج عن ذلك ايضا تبادل المساعدة بين مختلف الدول وتبادل المنافع والخيرات وكان من ذلك تبادل المعارف والكتب والانتاج بين هذه البلاد وبين تلك وحصل من مجموع كل هذه الاشياء رصيد فكري بشري عظيم يقف كل راغب فى المعرفة مشدوها ذاهلا لا يدري ما عساه يفعل امامه . اذن فمر الاعوام وكرالسنين والقرون وخروج الطباعة العصرية الى الوجود وتحسين طرق المواصلات وتقوية العلاقات الدولية بين الامم كل هذه العوامل قد جعلتنا نتوفر على انتاج بشري ضخم لا يستطيع استيعابه والتمكن منه فرد بشري مهما بلغت قوة ادراكه وسعة فكره ورغبته فى الاطلاع والمعرفة .

فما هي الوسيلة يا ترى لاستيعاب هذه المعارف اذا كان لابد من ذلك ؟ وكيف يمكن ان يطلع على اجود الروائع التي انتجها الفكر البشري فى مختلف الاعصار والامصار ؟

قبل الاجابة على هذين السؤالين نود ان نشير الى ان من فضل الله على البشر ان كثرة الانتاج ووفرة المؤلفات قد ادتا بعدد من المهتمين والعلماء الى الالمام بهذه المؤلفات الكثيرة كل حسب ميوله وهواه ، وان هؤلاء المهتمين بتطور الانتاج رغم تعدده قد وضعوا دراسات مفيدة مختصرة عن اهم ابواب المعرفة الانسانية وانهم خلفوا لنا تراثا جليلا عمل على تقويم الانتاج البشري الشيء الذي جعلنا نقف على بعض هذه الملفات ونتعرف عليها ولو بصفة موجزة . فقد كثرت المجلات الثقافية والجرائد المهتمة بهذا الشأن كما تعددت الدراسات عن مختلف الآداب والمعارف والعلوم الانسانية وذهبت رغبة تقريب بعض العلوم والمعارف الى الاذهان ببعض دور الطباعة والنشر والادارات الحكومية الى اصدار مؤلفات عديدة ترمي الى تبسيط مختلف ابواب العلوم والمعارف والاداب الى الافهام البشرية بطريقة مبسطة شيقة تحظى بكامل العناية وجميل الرعاية ونحن اذا اردنا ان نقتصر في كلامنا على الادب يمكن ان نشير الى الدراسات المفيدة التي حظى بها تاريخ الادب في هذا الموضوع ولكننا نريد أن ننبه الى ان تاريخ الادب مثار اختلافات شديدة بين رجال الادب من كتاب وشعراء ونقاد لان تاريخ الادب اذا كان من المحمود دراسته فهو لا يغني من دراسة النصوص الادبية والمؤلفات الاصلية والروائع الباقية شيئا .

ولعل اهم النظريات التي تعارضت مؤخرا في فرنسا في هذا الشأن هي الفكرة التي كان ينادي بها رينان الذي يقول بان دراسة تاريخ الادب كافية عن قراءة المؤلفات الاصلية والفكرة التي كان يدعو اليها لانسون في كتابه « تاريخ الادب الفرنسي حيث نصح قراء كتابه بعدم الاكتفاء بما قدمه لهم وطلب منهم ان لا يعدلوا بسبب قراءتهم كتابه عن مطالعتهم للروائع البشرية التي كتبها الادباء والشعراء والنقاد الفرنسيون على ممر الاجيال والعصور .

وهاتان الفكرتان جديرتان بان يقف المرء عندهما لانهما يعبران في الواقع عن اتجاه مدرستين متباينتين .

اولاهما – مدرسة رينان العلمية التي كان صاحبها يوصي بالاختصار والايجاز كما يتطلب ذلك البحث العلمي الصرف او ليس رينان هو مؤلف كتاب « مستقبل العلم » واحد الدعاة لتطبيق الطرق العلمية في جميع الميادين ؟

وثانيهما : مدرسة لانسون وهو الاديب المؤرخ في الادب والناقد الكبير الذي كان يومن بان احسن صلاح للانسان ورفع لقيمته هو دراسة مؤلفات كبار الكتاب وعباقرة الادب الفرنسي والعالمي لان تلك الدراسة والقراءة بالتمعن والتدبر هي خير وسيلة لتكوين الفرد .

وليس بين المدرستين تعارض او تباين كما قد يبدو ولاول وهلة لان كلا منهما تدعو الى دراسة الادب ولكنهما مختلفتان في طريق تحقيق هذه الغاية والوصول الى هذا الهدف .

واذا كان صاحب كتاب « مستقبل العلم » يميل الى الدراسات النقدية ويجد فيها الكفاية بدلا من قراءة المؤلفات فانما ذلك لانه كان عالما جليلا يقتني عليه لمه وتكوينه ان يختصر الطريق نحو الكمال والازدهار ولا يتاخر في سبيله ويتعثر في مشيته فالدراسات النقدية ربح للوقت تكفي الراغب في الزيادة في الاطلاع مؤونة الرجوع الى المصادر الاولى وقراءة مؤلفات عديدة بدلا من كتاب واحد يخرج به المرء بمعلومات عامة كافية تضمن الالمام بالموضوع الذي يريد ان يطلع عليه ومعرفة الجوانب التي رغب في ادراكها والوقوف عليها ويسمح بالحكم على هذا المؤلف او ذاك دون تعب كبير وجهد كثير . نعم ان هذه الاحكام سوف لا تكون شخصية ومبنية على حكم اخذه القارىء بنفسه بل ستكون عبارة عن نقل حكم الغير والتاثر به وهذا لا يخلو من ضرر على مستقبل هذا القارىء لانه سيصبح غير مستقل في احكامه موجها يخضع لنظريات الغير ويتاثر بها ويعمل بها في عصر يتفق جميع المهتمين بشؤون العلم والادب على ان احسن اساليب التكوين واقوم طرق التعليم هي تربية الشخصية وتكوين الذاتية عند الفرد البشري لان ذلك يربي فيه الايمان بنفسه والثقة والاعتزاز برأيه وفكرته .

والدراسات النقدية مهما بلغت من النزاهة في الحكم والقوة في الوضع والترتيب والشمول ضعيفة ناقصة نعم انها تعطينا نظرة عن الكاتب او الشاعر الذي نريد ان ندرس ونعرف فهي تحاول ابراز مكانة هذا المؤلف او ذلك في عصره وايضاح التاثيرات التي عاشها الاثر الذي تركه وعرض معطيات حياته التي تفسر الدواعي التي حملته على وضع هذا الصرح الادبي لهذا العصر . فمن منا مثلا استطاع ان يدرس على حدة عددا من الشعراء الجاهليين غير

الكتاب او ذلك والتطورات التي عرفها طوال حياته . والدراسات الادبية النقدية المهمة المفيدة لا تكتفي بعرض الاسماء اللامعة التي احتلت مكانة بارزة فى عصر من العصور ولكنها تلم بهذا العصر وتتكلم عن الشخصيات التي احتلت المرتبة الثانية او الثالثة والتي قد لا نجد من الوقت ما يكفينا للالمام بها ودراستها رغم ما اسدته من خدمات فى العصر الذي عاشت فيه والمساهمة التي ساهمت بها فى تثبيت المشهورين الذين كان لهم دور فى تكوين الادب الجاهلي بالاضافة الى اصحاب المعلقات والذين بقوا مغمورين دون ان يهتدي احد الى الاعتناء بدواوينهم لولا ان تداركتهم كتب الادب واعتنت بترجمتهم وعرض نموذج من انتاجهم ؟ ومن منا استطاع ان يقرا جميع ما كتبه فولتير الشهير رغم المكانة المرموقة التي يحتلها فى الآداب العالمية والدور الخطير الذي لعبه فى الدفاع عن المظلومين ونصرة الحق ومحاربة الظلم والطغيان ؟ فقد كتب فولتير ازيد من سبعين كتابا ولكن اهم كبار الباحثين لم يقرأوا ازيد من ثلاثين مع ان الاربعين الباقية كان لها دور عميق فى رفع مستوى التفكير البشري وتنوير الاذهان .

ان كثرة الانتاج وتعدد المؤلفات تلزمنا بنوع من الاختيار والاختصار كما تفرض علينا الاعتماد على الدراسات النقدية والابحاث الادبية وكتب تاريخ الآداب حتى تكون لنفسنا صورة كاملة عن جميع المعارف الانسانية والعلوم البشرية وحتى لا نبقى جاهلين بجزء مهم من التراث الفكري الذي لم تسمح لنا الظروف بالوقوف عليه ودراسته دراسة متينة مفيدة .

ولكن هل تعتبر الدراسات الادبية كافية فى حد ذاتها ؟ وهل يمكن الاعتماد عليها دون الرجوع الى روائع ما انتجه الفكر البشري ؟ وباختصار هل تقوم الدراسات الادبية مقام المؤلفات الاصلية كما حاول ان يجرنا الى ذلك صاحب كتاب « مستقبل العلم »؟

ذلك ما سنحاول الاجابة عنه فى الفرصة المقبلة ان شاء الله .

— يتبع —

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص



أمجادنا الوطنية

معركة القصر الكبير

للأستاذ : عبد الله العمراني

تحت ركن الاحداث التاريخية لامجاد المغرب تنشر دعوة الحق هذا البحث القيم للاستاذ المذكور حول معركة وادي المخازن الشهيرة التي انتصر فيها المغرب ضد عدة دول اوربية ساندت حملة البرتغال الاجرامية فكانت هذه المعركة حدا فاصلا في تاريخ المغرب قطعت اطماع الاوربيين فيه عدة قرون .

فينبغي لكل شاب مثقف ان يتمعن في امجاد اسلافه بتتبع ما ينشر في هذا الركن وبالمشاركة فيه ان كانت له اهلية وغيرة وطنية تجعله يعتز بتاريخ المغرب العظيم .

وقعت بالقرب من القصر الكبير في يوم الاثنين 30 جمادى الاولى عام 986 هـ الموافق 4 اغسطس 1578 م ، فكانت

✶ حربا صليبية (✶) خاض المغرب غمارها فخرج ظافرا منتصرا .

✶ معركة بدات وانتهت في يوم واحد ، ولكنه يوم كألف سنة مما تعدون .

✶ حربا قضت على استقلال البرتغال ، ووضعت حدا لنفوذ اوربا على شمال افريقيا مدة من الزمان .

✶ ارادها سباستيان نصرا جديدا للمسيحية على الاسلام ، فجاءت — عكس ما كان يريد — تعزيزا للاسلام ، وتوطيدا لاركانه في هذا الجناح الغربي للعروبة .

✶ انتقاما عفويا غير مقصود ، لهزيمة المسلمين في معركة ليبانتو الشهيرة سنة 1571 م .

وفيما يلي نستعرض حوادث هذه الحرب الضروس .

ملك مخلوع يستنجد : بعد اغتيال ابي عبد الله محمد الشيخ السعدي سنة 1557 اعتلى عرشه ولده عبد الله الغالب بالله (57 — 1574) . ولما توفي هذا خلفه ابنه محمد المتوكل على الله (74 — 1576) . وهنا نشير الى ان مسالة وراثة العرش ، وعدم تنظيم ولاية العهد على اسس متينة كانا عاملين من عوامل الاضطراب والتنازع في فترات متتالية من تاريخ المغرب .

ذلك ان مولاي عبد الملك واخاه مولاي احمد ابني محمد الشيخ لم يكونا — فيما يظهر — راضيين عن ملك اخيهما الغالب بالله لذا لجأ[1] الى الجزائر والقسطنطينية وظلا بهما طيلة خلافة اخيهما ولكن عند تولية محمد المتوكل ، طالبا بعرش والدهما ، وساعدتهما الدولة العثمانية ، فتمكنا من هزيمة المتوكل في كل المعارك التي خاضها ضده ، وبات سوء المصير والحظ السيء يلاحق هذا الاخير في كل ميدان ، فلم يسعه الا ان يغادر المغرب — وكان ترابه لم يعد يحتمل ثقل جسمه — الى شبه جزيرة ايبيريا مستنجدا بملوكها ، ومقدما لهم الوعود المعسولة اذا تم له الفوز والظفر .

اذن ، تمكن المعتصم بالله ابو مروان عبد الملك بن محمد الشيخ (76 — 1578) من استرداده عرش والده ، ومن خلع ابن اخيه محمد المتوكل على الله الذي كانت العامة تلقبه بالاكحل نظرا لسواد لونه ولان امه ام ولد ، كما كانت تدعو عبد الملك بمولاي ملوك ، في حين ان الاسبان كانوا يطلقون عليه اسم Moluco وقد استطاع الملك المخلوع الفرار الى جبل درن (الاطلس) ثم الى جزيرة باديس فسبتة فاسبانيا ، حيث طلب المساعدة من ملكها فليب الثاني الذي لم يعره اذنا مصغية لسببين .

[1] — لان فيليب كان « اشغل من ذات النحيين » نتيجة حروب اخرى كانت تشغل باله .

✶) يرى بعض المؤرخين انها غير صليبية ولعل منهم المؤرخ الفرنسي هنري تيراس الذي يقول « انها لم تكن من الصدامات الكبرى بين المسيحية والاسلام ، بل كانت — حسب تواريخ البرتغال والمغاربة معا — حادثا عرضيا بدون مقدمة ولا نتائج » . ولكنا نخالف هذا الراي بدليل ان جنود دول اوربية عديدة قد اشتركت في هذه المعركة ضد المغرب ، كما سيتضح من هذا البحث (راجع الطبعة الانجليزية من « تاريخ المغرب » ص 122) .

ب ـ لان معاهدة صداقة وعدم اعتداء كانت قد عقدت بينه وبين ملك المغرب . فالسياسة الاسبانية حينئذ كانت تقتضي ان يحسن الاسبان علاقتهم مع هذا الملك المسلم ، ما دامت علاقتهم بسلطان العثمانيين على غير ما يرام .

وملك متهور ينجد : فلم يسع محمدا الا التوجه الى ملك البرتغال الشاب ضون سباستيان الذي لم يكن عمره يتجاوز 22 سنة ، فعرض عليه قضيته ، وابدى له رغبته ووعده ومناه . فاستحسن سباستيان العرض ، ولبى الطلب ، بشرط ان يأخذ مدينة اصيلا ان تم له النصر ، ويترك باقي المغرب للمتوكل على الله يحكمه تحت رعايته ، وضمن سيادته (✶) ، ودليلا على حسن نية المتوكل على الله ، وضمانة للوفاء بما تعهد به ، ترك ابنه رهينة في اشبونة عاصمة البرتغاليين (✶) .

وظهر لاعضاء مجلس شورى الملك البرتغالي موطن الخطر في خطته هذه التي يزمع تنفيذها ، فرأت اغلبية الاعضاء ان هذه النجدة غير ملائمة ولا مضمونة العواقب . وعلى الرغم من نصيحة جدته الملكة كتالينا التي كانت وصية عليه اثناء فترة قصوره الطويلة، وعلى الرغم من نصيحة الكردينال ضون انريكي وشخصيات اخرى ، فان الملك لم يتخل عن مشروعه العدواني ، ولم يستمع لنصيحة هؤلاء جميعا ، وكان الطمع والجشع اعميا بصره وبصيرته ، او كان حب التملك والاستعمار ملأ عليه اقطار تفكيره ، فلم يدع له مجالا للعمل في غير هذا الاتجاه الخطير .

لم يفته ان يلجأ الى خاله ملك اسبانيا (فيليب اخي والدته ضونيا خوانا) يطلب حضوره معه،او معونته على الاقل . وفعلا وعده فيليب الثاني بجنوده وسفن كافية لاحتلال العرائش بالخصوص ، ذلك الميناء الذي كان في نظر فيليب « يعادل موانيء افريقيا كلها (✶) » .

ولوضع هذا الوعد موضع التنفيذ تقابل الملكان ملك اسبانيا وخفيده ملك البرتغال في اواخر سنة 1577 بقرية كوادالوبي Guadalupe الكائنة بمقاطعة كاثريس Caceres الاسبانية ، وتحالفا على ان يشارك فيليب في هذه الحرب بجيش يتألف من 15.000 مقاتل وبخمسين مركبا حربيا في حالة ما اذا لم ينزل الاتراك العثمانيون في ايطاليا .

وملك عاقل يريد السلم : علم ابو مروان عامل المغرب بما يبيت ضد هذا الوطن فاتخذ كل وسيلة ممكنة لحل المشكلة بالطرق السلمية ، وكتب الى فيليب الثاني يطلب منه ان يستعمل نفوذه لدى حفيده كي يقلع عن خطته العدائية . وحينما وجد ان هذا الاجراء لم يؤت اكله ، ولم يجد فتيلا ، بعث خديمه Andrea Gasparo للتفاهم المباشر مع ملك البرتغال وتقول بعض المراجع الغربية ان ملك المغرب وعد ملك البرتغال ان يمنحه اربعة فراسخ من الارض التي تحيط بكل من المدينتين الساحليتين اللتين يسري عليهما النفوذ البرتغالي وهما طنجة وسبتة ، ولكن سباستيان رفض هذا العرض السخي .

واذا سلمنا بصحة ما اوردته تلك المراجع ، واذا تعمقنا في تفهم نفسية الملك البرتغالي ، وجدناه يستند في رفضه للعرض السخي على اساسين :

1) انه كان عازما على تنفيذ خطته الجهنمية التي تنم عما كان يحس به من مجد منتظر ، ومن اكاليل الغار التي كانت ستزين هامته بعد قليل . ولا شك ان المجد المنتظر ، والنصر المؤزر سيرفع لا من قيمة البرتغال وحدها ، بل من قيمة اوربا كلها .

2) انه كان يرى في هذا العرض السخي من ملك المغرب سببا داعيا الى الظن بانه امارة الخوف وعلامة الاستسلام فلا تنبغي الاستجابة اليه ، بل ينبغي الاقدام على تنفيذ الخطة المرسومة ، وعلى اشعالها حربا صليبية اخرى في ارض المغرب العربي ، تخلد اسم ضون سباستيان في التاريخ ، كما خلدت الحروب الصليبية في المشرق العربي اسماء آخرين .

عدد القوات المغيرة : يختلف تقدير المؤرخين المغاربة للجيش المغير ، فالمؤرخ المعاصر للحوادث ابو العباس احمد ابن القاضي (1553ـ1616) في كتابه « المنتقى المقصور » يجعله 125 الف مقاتل الخمسة والعشرون بقيت في السفن ، والمائة الف اسر بعضهم وقتل الباقي (✶) ، بينما البعض الاخر من المؤرخين يجعله 120 الف فقط ، اما البعض الثالث فقدره بثمانين الفا ، وهذا اقل ما قيل عن عدده (✶) .

ونجد الناصري (35ـ1897) يجمل من حيث عدد المقاتلين ويفصل من حيث جنسيتهم فيقول : « . . ثم امده (يعني فيليب

✶) هنري تيراس في نفس المصدر ونفس الصفحة السابقين .

✶) انظر كتاب : A Memoir of Sir John Hay D. Hay

✶) راجع مانويل بابلو كاستيانوس في كتابه : Descripcion Historica de Marruecos : طبعة سنتياغو سنة 1878 م .

✶) ابو عبد الله محمد الافراني « نزهة الحادي » ص 76 ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 117 د .

✶) ابو العباس احمد الناصري : « الاستقصا » ج 5 ص 69 نقلا عن « مرآة المحاسن » لمؤلفها ابي عبد الله محمد العربي الفاسي .

الثاني) بعشرين الفا من عسكر الاصبنيول ، وكان سباستيان قد ساق معه اثنى عشر الفا من البرتغال وثلاثة آلاف من الطليان ومثلها من الالمان ، ومن متطوعة الاصبنيول وغيرهم عددا كثيرا وبعث اليه البابا صاحب رومة باربعة آلاف اخرى ، وبالف وخمسمائة من الخيل ، واثنى عشر مدفعا . وجمع سباستيان نحو الف مركب (✱) ،

ويقول مؤلف فاسي مجهول كتب عن تاريخ السعديين ما يلي : « واخذوا (اي النصارى) في اقامة العمائر والجيش وما يحتاجون اليه من الاموال ، فجهزوا مئتين الفا ومن اهل البحر عشرين الفا ومن الاتباع عشرين الفا ومن الكرارط يحملون عليها عشرين الفا ، ومن الانفاط مائتين (✱) »

ونجد المؤرخين الغربيين يقدرون القوات المعتدية تقديرا آخر ، فيقللون من المحاربين الاوربيين ويكثرون من المغاربة جيوش مولاي عبد الملك من جهة ، وجيوش الملك المخلوع من جهة ثانية . وممن توسع في هذا الموضوع المؤرخ الاسباني الراهب مانويل بابلو كستيانوس نقلا عن مؤرخ يدعى السنيور Murga وآخر يسمى Miniama قال ما معناه:

« ارسل فيليب الثاني ثلاثة آلاف جندي ومعهم مبالغ كبيرة من المال ، وقد انضم اليهم كثير من متطوعي قشتالة ومقاطعات اخرى من اسبانيا . والحق سباستيان ثلاثة آلاف جندي من تسكانيا بايطاليا ، وستمائة ايطالي كان البابا كريكوريو الثامن (72ـ1585) قد ارسلهم الى ايرلندة تحت قيادة الانكليزي Tomas Sterling وبقوا في اشبونة ، حيث انضموا الى الحملة . ثم ثلاثة آلاف جندي الماني ارسلهم امير اورنج Orange وليم نساو Guillermo de Nassau تحت امرة قائدهم Tamberg والف اسباني بقيادة الفونصو دي اغيلا Alfonso de Aguilar 1 500 حصان و 12 مدفعا من النوع ذي الفوهة الواسعة . ثم 12 او 13 الف جندي برتغالي استطاع جمعهم من البرتغال نفسها ، ومائتي مدفع . وجمع الف سفينة لتتولى نقل الجنود (✱) » .

ويصف المؤرخ السابق الذكر هذه الجموع بانها ــ رغم قلتها ــ غير منظمة ، وبان منظرها لا يوحي الا بقليل من الثقة ، او انه لا يوحي بشيء من الثقة على الاطلاق . ولكن ملك البرتغال كان واثقا فيها كل الثقة ، معتقدا في النصر ايما اعتقاد ، لذلك عين اعضاء لمجلس الوصاية على العرش ، وتزود بجميع الشعارات الملكية التي كانت تلزم لتتويجه ملكا على افريقية .

ابحار : في يوم 17 يونيو 1578 ، وفي ميناء لاكوس (✱) Lagos البرتغالي ، جرى الاحتفال الرسمي الذي استعرضت فيه الجنود ، وبوركت الاعلام والبنود ، ولم تقلع الحملة الا بعد ذلك باسبوع (24 يونيو) ، فامتطى سباستيان متن سفينة في جو رهيب من السكون الذي يشبه سكون المقابر .

وبعد ايام قلائل وصل الاسطول الى الميناء الاسباني الحربي (قادس) حيث استقبل ملك البرتغال الاستقبال اللائق من طرف حاكم المدينة ضون الونصو بريث دي قزمان A. Perez de Guzman الدوق السادس لمدينة سدونية .

وقد تقدم الحاكم للملك ينصحه باسمه الخاص وباسم فيليب الثاني ان يمكث في قادس ــ اذا لم يكن في الامكان ان يعدل عن خطته العدوانية ــ وان يكتفي بارسال الحملة تحت قيادة احد جنرالاته ، ثم يرقب النتائج فان كانت مشجعة ، عبر البحر الى العدوة الافريقية ، وان كانت الاخرى ، بقي في بلاد صديقة محتفظا بالحياة بعيدا عن كل خطر .

ولكن سباستيان الشاب الغر لم يقبل النصح ، وصمم على قيادة الحملة بنفسه ، فابحر وجنده متجهين نحو طنجة التي نزلوها في سابع يوليوز ، ووجد في انتظاره بها محمد بن عبد الله الملك المخلوع . وفي طنجة صادف سباستيان اول خيبة امل مريرة ، اذ انه من النظرة الاولى الفاحصة وجد ان الذي استنجد به لم يكن يتمتع باية شعبية ــ على عكس ما كان يدعي اذ لم يستطع ان يجمع الا فيلقا صغيرا يتالف من نحو ثلاثمائة مقاتل ، وان كانت الرواية الاجنبية تدعي انه جمع 800 من الرماة و 400 من الفرسان .

في طنجة : وفي طنجة تم اللقاء التاريخي بين القوات الاوربية الهائلة بقيادة ملك البرتغال وبين القوة المغربية الطفيفة الناصرة للملك المخلوع . وشرع الرؤساء يتبادلون الراي ، ويتداولون في الامر ويدرسون خطة الزحف . ووقع الاتفاق على ان يتقدم محمد ورجاله ازاء ساحل المحيط الاطلسي نحو اصيلة ، وان يقع السير بحيث يكونون على مقربة من الاسطول البرتغالي الذي كان عليه ان يمخر عباب المحيط متجها صوب اصيلة ايضا .

كانوا يهدفون من وراء خطتهم هذه الى هدفين على جانب كبير من الاهمية :

1 ــ ان يتولى الاسطول حماية الجيش البري ، فيتعزز جانبه ، ويامن شر الغوائل .

(✱ « الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » جزء خامس ص 83 ــ طبعة دار الكتاب .

(✱ ليفي بروفنصال : « نخب تاريخية » ص 85 .

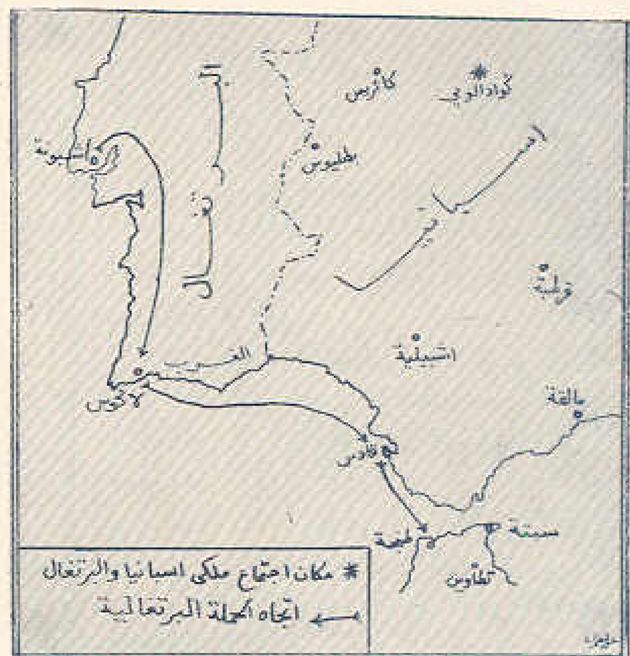
(✱ كاستيانوس في كتابه « وصف تاريخي للمغرب وتبذة مختصرة عن عاهلاته المالكة » . طبعة سنتياغو سنة 1878 م .

(✱ مما يحمل اسم لاكوس ميناء برتغالي في ناحية الغرب Algarve بجنوب البلاد .

2 ـ ان يستنفر محمد الناس ، وينهض الهمم ويجمع الانصار من القبائل والجهات التي يمر بها ، وسواء اكان الجمع عن الطواعيه والاختيار ، ام عن طريق الاكراه والارغام

وشاع خبر وصول الجيوش الاوربية الى طنجة ، وانتشر في البلاد سريعا كما تنتشر النار في الهشيم او كما يسري التيار في اسلاك الكهرباء . وهرع سكان الشواطىء العزل الى داخلية البلاد فرارا بانفسهم لا لان ملكهم مولاي عبد المالك ما زال بعيدا عنهم في مراكش ، يعبىء الجيوش ويستعد للمعركة الحاسمة فحسب ،ولكنهم فروا ايضا حتى لا يضطروا الى الانضمام الى جيش الملك المخلوع ، وحتى لا يرغموا على امر هم له كارهون .

وشكوا الى سلطانهم تكالب العدو عليهم ، واغارته على ممتلكاتهم ، فكتب السلطان الى سباستيان قائلا



خريطة لبيان الاماكن الواردة
في بحث (معركة القصر الكبير)

« ان سطوتك قد ظهرت في خروجك من ارضك ، وجواز البحر الى عدوة المسلمين ، فان ثبت الى ان تقدم عليك فانت نصراني حقيقي ، والا فانت يهودي (*) » .

وقرىء الكتاب ، فغضب ملك البرتغال . ثم تشاور مع اصحابه حول الخطة ، فكان من رايه هو ان يمكث هناك الى حين قدوم السلطان ، وان يغتنم فرصة الانتصار ، فيرسل الى بلاده يطلب مددا آخر . اما محمد المتوكل فكان من رايه « ان نتقدم ونملك تطوان والعرائش والقصر ، ونجمع ما فيها من العدة ، ونتقوى بما فيها من الذخائر ، ونغير على اطراف البلاد وتاتيني القبائل مقدمة فروض الطاعة والولاء » . واعجب هذا الراي اهل ديوان الملك ، ولكنه لم يعجب سباستيان فرفضه .

واخيرا صدر الامر بالابحار من طنجة في اتجاه اصيلة حسب الخطة الموضوعة . ووصل الاسطول الى اصيلة في ثاني عشر يوليوز ، وافرغ حمولاته من الجنود الذين انضموا الى قوات محمد المتوكل . وهناك درس سباتيان مع جنرالاته الخطط الحربية ، فقرر في النهاية ان تسير الجنود عبر العرائش . ثم عادوا يتناقشون الاراء ، ويتفاهمون فيما اذا كان من الافضل ان يهاجموا البلاد عن طريق البحر او عن طريق البر .

كان محمد وقواده يرون ان من الافضل الهجوم البحري وهو راى له اهميته ، وقد ايده كثير من الرؤساء الاوربيين . غير ان سباتيان لم يهضم هذا الراي ، فقد كان يريد الذهاب لا برا فحسب ، بل كان يرى السير عبر الطريق الداخلي ناسيا او متناسيا النصيحة الحكيمة التي اسداها اليه دوق ألبا Duque de Alba فقد حذره عواقب الانفصال من الاسطول وحثه على عدم الابتعاد عنه .

هدية رمزية : ووصل الى المعسكر الملكي باصيلة سفير اسبانيا ليقدم لملك البرتغال باسم خاله فيليب الثاني هدية رمزية هي الخوذة التي كان يلبسها شارل (*) الخامس (والد فيليب الثاني) حينما دخل تونس غازيا منتصرا سنة 1535 .

فرح سباستيان بالهدية ، وتقبلها شاكرا ، ولم يعد يشك في النصر الذي سيحققه لبلاده بل لاوربا جمعاء ودليلا على سروره وشكره وعطفه على السفير الاسباني ، وضع تحت تصرفه مركبا حربيا يعود به الى اسبانيا اذا كان يرغب في ذلك . بيد ان السفير ـ وقد اوحى اليه الموقف بالشهامة والاريحية ـ اجابه قائلا :

« ليس من خصال الرجال ان يتركوا ملكا صديقا ، ليواجه خطرا محدقا ، وعدوا قويا متفوقا » وتوجه السفير الى السماء داعيا اياها ان تمنح الملك النصر ، فلا يعود هو الى اسبانيا الا وقد حمل معه الخبر السار . اما اذا حدث العكس ، وحصلت الهزيمة ، فليست في ساحة الوغى شهيد الواجب ، موفور الكرامة !

(*) في رواية اخرى : « فانت كلب ابن كلب » . الاستقصا ج 5 ص 79 .
(*) بعد وفاة امبراطور المانيا مكسيميليان 1 ، نودي بحفيده كارلوس الاول ملك اسبانيا (16ـ1556) امبراطورا على المانيا فاصبح كارلوس 5 .

قوات امير المومنين : كان ملك المغرب شجاعا ذا باس وقوة ، وكان يقظا لبيبا في تصرفاته ، وبمجرد ما سمع بالحملة المدبرة ، اخذ يستعد للقاء المحتوم ، وارسل الى اخيه مولاي احمد خليفته على فاس ونواحيها ، ان يعد الجيوش ويهيأها للقتال . واستعد هو من جهته فاشرف بنفسه على اعداد المدافع ، واصلاح السفن ، واستكمال عدة الجهاد في سبيل الله والوطن .

وقبل الزحف الى موقع المعركة ، ارسل مولاي عبد الملك الى قواد القبائل ان يلحقوا به ـ عربا وبرابر ـ الى مدينة سلا . وكتب الى اخيه ان يلحق به الى وادي سبو ، حيث سيلتئم شمل الجيوش المغربية ، وترتحل ـ من ثم ـ الى مدينة القصر الكبير .

ان المراجع العربية التي بين ايدينا ، لا تذكر عدد جيوش عبد الملك ، الا ان الموقف كان ولا شك يقتضي التعبئة العامة للدفاع عن حوزة الوطن ، ضد عدو اجنبي يريد استعباد البلاد والعباد . اما المراجع الغربية فتذكران جيوش عبد الملك كانت عبارة عن اربعين الف فارس وثمانمائة من المشاة ، وكثير من الغرباء Advenedizos

ويقول مانويل كاستانوس (✱)« ان كثيرا من المؤرخين يرفعون عدد الجيوش المغربية الى ازيد من ستين الفا من الفرسان ، وثلاثين الفا من المشاة مع 34 مدفعا ومتطوعين من جميع انحاء المغرب ، وعلوج واتراك وموريسكوس (عرب اسبانيا) ومحاربين آخرين ممن حضروا لاغراض مختلفة » .

وكما قلت سابقا ، فالمؤرخ الغربي يحاول التكثير من افراد القوات المغربية ، ليبرز صليبية هذه الحرب ، ليبرر هزيمة الجيوش المعتدية .

وكان يقود هذا الجيش الوطني قواد احرزوا ثقة ملكهم الشاب ابي مروان عبد الملك ،منهم ابو علي القوري ، والحسين العلج الجنوي (✱) ، ومحمد ابو طيبة . وعلي ابن موسى واخوه احمد بن موسى الذي كان عاملا على العرائش .

وعند ما وصلت القوات الوطنية الى القصر الكبير ، كتب السلطان لملك البرتغال الذي كان ما يزال معسكرا في موضع قريب من اصيلة يعرف بتهادارت . قال السلطان :

« اني ارتحلت اليك من مراكش ست عشرة مرحلة ، وانت اما ترتحل الي واحدة ؟ »

وكانت هذه سياسة حربية حكيمة من ملك المغرب ، اذ كان يريد من قوات العدو ان تزداد توغلا في البلاد ، فتبتعد عن الشاطىء وعن الاسطول .

وتفطن محمد المتوكل الى الحيلة ، فنهى سباستيان ان يرحل اليه . ولكن هذا الاخير ـ كعادته ـ تصامم عن النصيحة فامرها محمد في نفسه ، ولسان حاله يقول . « لا راي لمن لا يطاع » .

الى ميدان المعركة : وفي 29 يوليوز خرجت الجيوش المعتدية من اصيلة في اتجاه ضفاف نهر لكوس ، حيث كان عليهم ان يعبروا النهر في احد اماكنه الضحلة ، لانهم لم يحضروا معهم اي جسر . وقضوا خمسة ايام في رحلتهم هذه المضنية ، قبل ان يصلوا الى مخاضة النهر التي عبروها .

وفي ثاني اغسطس 1578 القوا عصا التسيار ، وحطوا رحالهم في مكان ما مشرف على نهر وادي المخازن بالقرب من مدينة القصر الكبير . ولم يصل البرتغاليون الى ذلك المحل، الا وقد اخذ منهم التعب كل ماخذ ، وانحطت معنويتهم الى درجة فظيعة لسببين :

ا ـ لانهم ـ وهم في الطريق ـ لم يحصلوا على اي مغربي خائن،ممن كان يتعتهم محمد المتوكل بالاتباع والانصار الكثيرين .

ب ـ لانهم وقد حطوا رحالهم اخيرا ـ لم يجدوا الا بلادا مجدبة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ذلك لان المواطنين سحبوا مواشيهم ونقلوا حبوبهم ، واتلفوا كل ما من شانه ان يفيد العدو في قليل او كثير .

وبلغ الاستياء اشده ، لدرجة ان محمد المتوكل عاد فاصر من جديد على راية القائل بوجوب الانسحاب حتى العرائش ، وباخذ مدن السواحل . ولكن رايه رفض ايضا من جانب الملك البرتغالي .

وبلغ السلطان نبأ نزول الجيش المعادي على الضفة اليمنى لنهر وادي المخازن ، فنقل هو معسكره في نفس اليوم (2 اغسطس) من القصر الكبير الى الضفة اليسرى لذلك النهر الذي اصبح يفصل بين الفريقين . وتراآى الجيشان في كامل عيثتهما .

ثم ظهر للمغيرين ان يتقدموا ، فعبروا النهر من قنطرة وحيدة كانت توجد هناك . وفي الليل بعث السلطان اخاه مولاي احمد مع كتيبة من الفرسان ، فهدموا القنطرة ، وقطعوا على عدوهم خط الرجعة . وكان هذا تكتيكا حربيا هائلا ، لان مجرى النهر هنا كان عميقا ، ولم يكن له مشرع آخر غير هذه القنطرة .

مؤامرة دنيئة : وحدث حادث مؤلم لم يكن في الحسبان، ذلك ان منافس السلطان الشرعي للمغرب ، تمكن من ان يدس

(✱) وصف تاريخي للمغرب ونبذة مختصرة عن عائلاته المالكة . طبع بسنتياغو سنة 1878 .

(✱) نسبة الى جنوة بايطاليا ، فهو مسيحي اسلم او انحدر من مسيحيين اسلموا .

له من جرعه سما زعافا ، سرعان ما بدأ يعمل عمله . وكان المخلوع اراد ان يقضي على غريمه بالخديعة والمكر والاجرام ، بعد ان اعيته كل الحيل واعجزه ان يقضي عليه بالشجاعة وقوة السلاح . ثم انه كان يخيل اليه انه اذا تمكن من القضاء على عمه عبد الملك ، تمكن – بالتالي – من احراز النصر لا محالة . ولا ريب انه كان واهما في هذا التقدير او التدبير .

ويورد المؤرخ المغربي المعاصر للحوادث (ابن القاضي) هذه المؤامرة بصورة او كيفية اخرى فيقول :

« كان سبب وفاة السلطان ابي مروان رحمه الله انه سقي سما ، وذلك ان قائد الترك الذين كانوا معه ، واسمه (رمضان العلج) بعث الى بعض قواده ان يتلقاه بكعك مسموم، هدية للسلطان المذكور ، وقت مرورهم عليه . وقصد بذلك قتله بعد اخذه به مدينة فاس ، ليثبت لهم الملك بها . فلم يكمل الله مرادهم لما شهدوه من عظيم جيش المغرب . فهذا كان سبب موته رحمه الله (✱) » .

عرف السلطان انه ميت لا محالة ، وان الاعداء اوشكوا ان يدركوا غرضهم فيه ، فعمل جهد المستطاع كي يفوت عليهم اغراضهم الدنيئة ، ولكي تتولى يد النصر – لا يد الهزيمة – اغماض جفونه ليفتح بعد ذلك في جنات النعيم . لقد اظهر مولاي عبد الملك في تلك اللحظات الحاسمة مجهودا جبارا لا يمكن ان ينبعث الا من قلب مخلص ،وايمان بالنصر لا يتزعزع مجهود يرتفع في الحقيقة عن المستوى البشري .

في يوم الاحد ثالث اغسطس ، وبعد ان صلى السلطان الظهر ، ركب حصانه الفاره – وقد استطاع ذلك بصعوبة ونظم جيوشه ، وشكل فرسانه ، ثم وجه اليهم خطابا حماسيا حثهم فيه على القتال بشجاعة ، وذلك من اجل دينهم ووطنهم . واشار الى خيانة ابن اخيه الذي لم يتردد في الاستنجاد بالاجنبي في سبيل رضاء مطامحه الشخصية ، ثم ختم خطابه قائلا :

« ... وانتم تعرفون ان الخيانة والغش لا يمكن ان يؤديا الا الى عواقب وخيمة ، تذكروا انكم مقدمون على مجاهدة الكفار ، فليكن سلوككم وتصرفكم كسلمين احناف ، ولا تنسوا انكم – سواء اغلبتم ام غلبتم – ستفوزون بالجنة ، الجنة التي وعد بها النبي صلى الله عليه وسلم ، اولئك الذين تدافعون – بقوة السلاح – عن حوزة الوطن ، وينافحون عن شريعة رب العالمين (✱) » .

دعوة الى النزال : وبعد الانتهاء من الخطاب ومن الاستعدادات اللازمة ، وجه السلطان الى العدو الذي كان معسكرا فوق تلال – وجه اليه دعوة ان ينزل الى السهل – سهل تامستا (✱) Tamista – وان يقبل التحدي الذي وجهه اليه . وكان قصد السلطان ان يستعجل الموت في سبيل الله ، وان يحصل الالتحام عاجلا . ولكن ابن اخيه الذي كان قد علم بحالة عمه الصحية المتفاقمة . نصح لملك البرتغال الا يتعجل النزال ، وان من الافضل التأني حتى يموت عبد الملك. ومن يدري ؟ لعل موته يكون له فعل السحر في هزم جيوش السلطان الجرارة !

ولاول مرة اعجب سباستيان بفكرة مستنجده ، فوافق عليها ، وقرر التأني . لكن هذا التصميم الجيد لم يكن ليؤتي اكله ، وينتج نتيجته المرجوة ، بسبب ما كان يعانيه جيش الاعداء من النقص الفادح في المؤونة والاغذية ، مما جعل سباستيان امام احد امرين لا ثالث لهما : اما الحرب ، واما الهرب !! فياليته كان قد استمع الى نصائح من ارادوا صرفه عن الخوض في هذه الحرب الضروس التي اوشكت نارها ان تستعر فتاتي على اليابس والاخضر !!

اراده الجيش : وفي فجر يوم الاثنين 30 جمادى الاولى عام 986 هـ (رابع اغسطس 1578) وصل الى خيمة دون سباستيان قبطان شاب يدعى Diego de Carbalho ووجه توبيخا للملك البرتغالي على عدم قبوله التحدي والنزول الى المعترك ، وافهمه ان القتال هو الشيء الوحيد الذي يرغب فيه الجيش ... وفي الحين اصدر سباستيان الامر بالنزول الى الميدان ، والشروع في القتال .

تشكيلات نزل الجيش الاوربي الى السهل ، وكان متشكلا على النمط التالي : الاسبان والطليان والالمان وجماعات اخرى من المتطوعين يكونون الطليعة . اما القلب فكان يشكله البرتغاليون بقيادة قائدين هما

وكانت المؤخرة تتالف من البرتغاليين الذين دخلوا الجندية حديثا ، اي في آخر دفعة من دفعات التجنيد الاجباري . وكان يحميهم ثلاثمائة من اصحاب البنادق ، وقطعتان من المدفعية .

وكانت الراية الملكية محفوفة بالجناح الايسر الذي كان ضمنه السفير الاسباني ، وفرسان آخرون ذوو مكانة مرموقة . اما الجناح الايمن من المؤخرة فكان فيه محمد المتوكل مع اتباعه القليلين . وفي الوسط كانت تتقدم البهائم الموقرة باحمال المؤونة والذخيرة . (يتبع)

(✱) الناصري : « الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » ج 5 ص 86 .

(✱) مانويل كاستيانوس في كتابه : Descripcion Historica de Marruecos

(✱) الفصل الثامن عشر من كتاب : A Memoir of Sir John Hay D. Hay

قصبة الرباط في مراحل التاريخ

للاستاذ : عبد الله الجراري

من الغرائز التي طبع عليها النوع البشري في عهده الحياة – غريزة التدافع او تنازع البقاء وحب الاثرة والسعي بكل الوسائل لفرض السيطرة على الغير واستعباده ما وجد لذلك سبيلا .

ظاهرة من هذا القبيل لا تلبث تهيج غضب الانسان الحر ، وتثير فيه الانتقام والاخذ بالثار جاهدا في ابتكار الطرق وتهييء المخارج التي من شانها ان تزيح الضيم والعار ، وتجعل حدا للطغيان والجبروت وكل ما يحاول النيل من الكرامة المقدسة منعنا في التفكير المغيا في النهاية بوجود الحلول المنتجة .

من بين هذه العوامل يوفق لتكوين دوافع وقائية يستطيع العيش بواسطتها في مأمن من نوائب الحياة فيهتدي لاختراع السلاح درءا لما يعترضه من اخطار ، وما يمكن ان يسطو عليه في دنياه من اهوال الحيوان او جنس الانسان المجبول في مجموعه على السطو والظلم ، وكان في مجمل ذلك ومقدمته تكتل الجهود وتوحيد الصف رغبة في التعاون وحفزا لجلب السلامة والسعادة كحفر الخنادق ، وتاسيس القلاع وبناء الحصون والقصبات توقيا من عوادي الدهر وخطوبه .

لهذه الغاية است قصبة الرباط – والقصبة تحمل في اصلها معنى القصر او جوفه – من هذا قصبة العراق التي هي عبارة عن قرية واقعة وسط القصب حيث كانت قبل التاسيس قصبا .

ولا بدع ان تست بهذا المدلول الى اصلها المادي الذي هو التقطع والفصل عن الغير كان المكان المتخذ ليكون قصبة – قرية او مدينة فصل عما حواليه من اجزاء . وقصبة الرباط هي بدورها من هذا القبيل .

تاسيس قصبة الرباط :

يرى بعض مؤرخي الافرنج ممن علقوا على تاريخ ليون الافريقي ان القصبة في عهدها الاول كانت حصنا حصينا بناه الرومان لغرض الدفاع عن مدينة شالة العتيقة ، وهذا ان صح دليل على تاريخ القصبة في القديم وربما يؤيده ما جاء في جغرافية تيسو صحيفة 233 من ان ما وجد من قديم الاثار بموضع الرباط يدل على ان بنايات شالة كانت تمتد الى قصبة لوداية وفم الوادي .

اما مؤرخو الاسلام فغاية ما جاء عنهم في تاريخ القصبة لعهدها الاول – انها كانت قبل بنائها من جملة بقعة الرباط – عبارة عن رباط يرابط فيه المسلمون بقصد الجهاد والغزو ضد البلغواطيين . يقول ابن حوقل : وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة الف انسان يزيدون وينقصون .

وعند هؤلاء ان اول مؤسس لها كحصن ومعقل يتحصن به عند ما يحدث حادث حصار حربي – هو الامير تاشفين بن امير المومنين علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني المرابطي – وذلك عند ما ثار المهدي بن تومرت الهرغي السوسي على دولة المرابطين ، وصار هو وخليفته عبد المومن الكومي – يغزوان مراكش بجموع المصامدة – استدعى امير المومنين علي اللمتوني ولده وولي عهده – تاشفين المذكور من الاندلس ليقاوم الثائر المهدي ، فلما وصل تاشفين من الاندلس الى المغرب – امر ببناء حصنين مشرفين على البحر ، احدهما بوهران ، والثاني بحلق وادي سلا بالضفة الغربية وجعل لكل واحد منهما منفذا سريا الى البحر بحيث اذا حوصر من فيهما وايس من الخلاص – نفذ من الباب السري الى البحر وقتا تكون فيه سفن الاسطول راسية ازاء الباب تحمله الى شاطيء الخلاص والنجاة .

فتح عبد المومن مدينة سلا :

عند ما فتح عبد المومن الموحدي مدينة سلا سنة 541 ه واطاعه اهلها اثر مواقعة قليلة – وجد الحصن (القصبة) قائم العيان فنزل فيه بدار الفقيه احمد بن قاسم بن عشرة . قال صاحب الحلل الموشية ص 102 طبع تونس ما نصه :

ولما وصل الى سلا (آتيا من مكناس) تغلب عليها من ساعته وفتحها قبل نزوله ، وطاعت له قصبتها التي كان بناها الامير تاشفين في الرباط » ولصاحب الاستقصا – انه نزل بدار ابن عشرة » .

دار ابن عشرة :

كانت هذه الدار بالقصبة التاشفينية حسبما تحقق من كلام صاحب البيان المعرب احمد بن عذارى المراكشي في خبر ورود وفد الاندلس على عبد المومن باستدعائه اياهم الى مدينة سلا واستقباله لهم بدار ابن عشرة من القصبة ـ قال صاحب البيان وكان عبد المومن جالسا برحبة دار ابن عشرة على حصير وعليه غفارة زبيبية ، وعلى راسه عمامة صوف ، والوزير ابو بكر بن عطية يعرفه بالناس ويقدمهم للسلام عليه واحدا واحدا ، وكانوا خمسمائة ما بين قضاة وروءساء وقواد وفرسان ، وعلماء وادباء ، وفيهم ادبية الاندلس ـ حفصة بنت الحاج الركوني كما عند الزركشي في تاريخ الدولتين ، وذلك سنة 546 ه وكان عبد المومن وصل الى سلا آخر السنة قبلها 545 ، وبعد ما بنى قصره والمسجد المجاور له ، وبنى خاصته حول المنازل والقصور كما عند ياقوت الحموي في معجم البلدان زاد قائلا : واطلق عليها اسم المهدية ـ واجرى اليها الماء في مدة شهرين او عامين ويجمع بينهما بانه جره في شهرين في اجفان من الخشب ، وفي عامين في انابيب من بناء محكم للتصريح بانه بقي برباط الفتح عامين حتى اوصل الماء الى القصبة) ذكره في حوادث سنة 545 كما لصاحب البيان .

وهذا الفقيه القاضي عبد الحق بن عطية الاندلسي المفسر الكبير عند ما ورد سلا قاصدا مراكش ـ اراد النزول على الفقيه احمد بن قاسم بن عشرة فالفاه غائبا عن قصره ، فقال شعرا اخذ الناس بسلا في اشاعته واذاعته اوله :

يا صاحبي انزلا قصر الحمى بسلا

انى سلا المجد عن ان تحتويه سلا

راجع القلائد للفتح في ترجمة ابن عطية ، وكانت هذه الزيارة ايام علي بن يوسف اللمتوني وقتا ما زال فيه خبر الموحدين في العدم والقصبة والقصر موجودان لاهل الفضل والمعرفة : حسبما جاء في فهرست القاضي عياض (خطبة) (✱) «معجم اصحاب الصدفي تاليف ابن الابار طبع اسبانيا . فقد ذكر ان احد اشياخ القاضي عياض ورد على سلا ونزل على بني القاسم ، فاقام عندهم عاما كاملا يدرس ويذاكر ، ثم غادرها الى اغمات ـ وكل هذا في دولة الملثمين . والشخصية التي كانت رحلة القصاد لهذا التاريخ ـ هو الفقيه الرئيس احمد بن القاسم بن عشرة .

ومن الغريب ـ ان ابا بكر الصنهاجي البيدق اثبت في كتاب ـ اخبار الموحدين ـ ان المهدي وعبد المومن واصحابه الذين منهم البيدق نفسه لما وردوا على سلا ـ نزلوا على احمد بن القاسم بن عشرة واقاموا عنده اياما ، وفي هذه الانباء كان فقهاء سلا يردون على المهدي للمذاكرة فيما عنده ، وممن كان يزوره ـ قاضي سلا حسون بن القاسم بن عشرة ، وابن الخير الوقاصي نسبة لوقاعة الرباط وغيرهما كما حدث بذلك الكاتب الموءرخ ابو بكر البيدق ـ ومما يبعث على مزيد الغرابة ـ ان القاضي حسون المشار اليه ، الى والدته ام القاضي ينسب جامع « للا القضية » بوقاعة ، وقد سماه في (التشوف ؟ بمسجد ام القاضي في ترجمة احد صلحاء سلا ، فانها رحمة الله عليها بنته لاصحاب ـ الزوارق ـ القوارب الذين ينقلون الناس بالوادي حتى لاتفوتهم صلاة الجماعة ، هكذا نرى اعمال اهل الفضل نساء ورجالا .

مسجد القصبة :

اسس مسجد القصبة عبد المومن لما بنى قصره بها بتاريخ 544 ـ ازاء قصره ولم يكن محرابه منمقا ولا مزخرفا فان الخليفة عبد المومن لم يكن اول امره يقبل الزخرفة في المساجد لان ذلك مما يشغل افكار المصلين ويصرفهم احيانا عن روح الخشوع والخضوع لله تعالى .

وكتب بالمحراب نقشا آية قرآنية ترغب في الصلاة والعبادة هي قوله تعالى : « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » ولما طال العهد على تلك الكتابة واعيد تسقيف المسجد ازيل الجبص الذي كان مكتوبا ، بقي المحراب على حاله ، فطلى بالجير ولم يكتب فيه شيء . وكان المسجد اكبر مما هو عليه الان ولما سقط سقفه وبعض اقوائه الجوفية (لحادث لا يعرف بالضبط) وقع الاقتصار على ما هو مسقف منه الان لقلة السكان بالقصبة آنذاك ، وقصور اموال اوقاف المسجد عن الصائر عليه .

والخليفة عبد المومن مات بالقصبة وبقي بها عامين ، ثم نقل الى تنملل ، ويوسف ابنه توفي بالاندلس ثم نقل ودفن بقصبة الرباط ، ثم نقل ثانيا الى تنملل مدفن رجال الدولة .

القصبة ايام الدولة المرينية :

عند ما دالت الدولة لبني مرين ـ بقيت القصبة هي القصبة معدودة في نظر ملوكها خير عدة ـ للطوارىء والطوارق ـ بخاصة في عهد المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق فقد كانت في ايامه اعظم نقطةحربية تغادرها الجنود وترجع اليها منصورة البنود ، واستمرت مدة عشر سنين من سنة 674 ـ 684 ـ تمد قصر المجاز والجزيرة الخضراء بعددها وعددها الى ان اتم المنصور مهمته من بلاد الاندلس بقهر العدو ، وتدمير قراره ، واكتساح ماله ، وتخريب معاقله ـ واتلاف قواه .

القصبة في عهد السعديين :

في هذا العهد لم تحظ القصبة بما كان من اعتبار سابق

✱) توجد بمكتبة الكاتب الجراري .

حيث كان نظر الدولة مقصورا على استخدام حلق الوادي وجعله من اهم المراسي للصادر والوارد ، وبذلك فقدت القصبة قيمتها التاريخية — نعم لم تلبث ان استرجعتها بعد افول شمس الدولة الذهبية — دولة ابي العباس المنصور السعدي — وذلك عند ما قدمت جاليات الاندلس على ولده زيدان فاتخذ منها جيشا جرارا جعل منه فرقة بالرباط لتحسينه وتحصينه ، واخرى بالقصبة لحراستها وحماية العدوتين من القائم عليها — عبد الله بن الشيخ السعدي ورتب عاملا من قبله ، وبعد ضعف زيدان وتلاشي دولته ثم عبد الله بن الشيخ كذلك .

قام المجاهد ابو عبد الله العياشي بامر سلا واعمالها ما عدا الرباط والقصبة اللتين كانتا تحت حكم — الاندلسيين الذين تم لهم بفضل استعدادهم ومعارفهم — القبض على زمام استقلالهم مدة تناهز الثلاثين سنة رغم ما كان للعياشي من الطموح للاستيلاء عليهم الى ان توفي العياشي ، وبقيت سلا بيد روءسائها كالرباط والقصبة ، واصبح الحكم في العدوتين معا جمهوري حيث لم يكن حكمهما للدولة سوى صورة ، وصار الاوربيون انفسهم لا يعتبرون من مملكة المغرب سوى مقاطعة سلا ، وكم لهم مع روءساء العدوتين من معاملات تجارية ، ومعاهدات سياسية ما زال التاريخ يحفظها .

القصبة في عهد الدلائيين :

حين تولى الدلائيون — اصحاب الزاوية — ملك قطعة من المغرب — تادلا — والرباط — وفاس — ومكناس اواخر دولة السعديين وضعفها ، وكان على راس الدولة محمد الحاج الذي استقامت له تلك الجهات واستقر امره بها ، وفي اثناء ذلك — بعث ولده عبد الله الى قصبة الرباط خليفة عنه وفي هذا الظرف كان لدولة الانجليز روابط وعلائق تجارية بالمغرب ، فكانت ترد مراكبهم الى مرسى العدوتين فترسو بوادي ابي رقراق ، وذات يوم دعا الخليفة عبد الله الدلائي مائتين من بحارتهم الى القصبة — كانه احس بشيء يدور ضده ، فتسبب هذا العمل في اقلاق راحة الرباطيين بل اوغر صدورهم على الامير الدلائي واخذوا يفكرون في الامر مستعينين على رايهم بهولاندي كان بالرباط وقتئذ ، فاشار عليهم ان يخرقوا ما تحت القصبة كنفق ويملئونه صناديق من البارود ، ويقلبون القصبة بمن فيها وفعلا هياءوا النفق والخرق قبالة ضريح الاديب الشيخ عبد الله اليابوري ، وبعد اتمامه بعثوا الى الخليفة عبد الله يامرونه بالخروج هو ومن معه من الانجليزيين والا قلبوا بهم القصبة طالبين منه ان يرسل من يشاهد الخرق ، وسرعان ما ارسل من شاهد ذلك واخبره ، وللحين اخرج الانجليزيين ، وفر هو بنفسه في مركب الى طنجة . واسترعاء اهل الرباط اذا ما بحثناه نجده يدل في وضوح على ثباتهم وتانيهم ومراعاة الشرع وقوانينه رغبة منهم في حقن الدماء ، وتقدير الميسح ووزنها حيث لم يبادروا لقلب القصبة .

القصبة في عهد دولتنا العلوية الشريفة :

امر السلطان المولى الرشيد العلوي بالزيادة في القصبة سنة 1080 فانه مد السور الغربي من المرسى الى البرج المثمن الذي يعشش فيه الطير (اللقلاق) بلارج ، وقد تعرض لذكر بناء هذا السور المؤرخ الفرنسي (مويت) الذي وصل الى الرباط في سفينة الرئيس القرطبي في جملة اسرى اوربيين ، واخبر عن نفسه في الكتاب الذي الفه في قصة اسره واستقراره بالمغرب عشر سنين — انه كان من جملة العملة الذين يضربون الطابية في سور القصبة المذكور ايام المولى الرشيد - نعم بقي (مويت) هذا اسيرا بمحبس القصبة نحو 10 اعوام ، (وهو كما اشير اليه آنفا) من جملة الاسارى الذين بنوا سور مدرسة الاوداية المحيط بدار المولى اسماعيل ، وحكى اشياء منها كيفية بيع الاسارى — ذلك انه اذا انزل الاسير على الزائد فيه بضرب الطبل والمزمار ، وكان يقع ذلك بالقنايط التي بالميناء القديم ، وبذلك سميت الحومة — حومة القنايط .

وكان (مويت) هذا من الاسارى 24 الفا الذين كانوا بمكناس ، وله في ذلك حكايات منها — انه كان فدى نفسه على يد راهب فرنسي اتى لهذه الغاية — بثلاثمائة دينار (300) كان جمعها من الشركة الخمرية التي اسسها هو ورفقاوءه .

فقد طلب هوءلاء الاسرى من ابي النصر المولى اسماعيل ان ينقد لهم شيئا من الخمر من يهود مكناس — وفعلا نقد لهم ما طلبوا ، وبعد مدة اشتروا (باذن) غلة اراضي الكرم ، واخذوا يعصرون الخمر لانفسهم وكانوا في هذه الاثناء يناولونها الحراس ساعة العمل حتى اذا عملت اعمالها في ادمغتهم مالوا الى اللهو والراحة — ونشأت في الوسط المغربي مفاسد عن تلك المعاصر الخمرية .

وجلس (مويت) هذا بملاح فاس الجديد يتعلم الرسم والتزويق على استاذ مسلم وقال عنه : انه احسن تعليمي وكان يعاملني كولده ، وما كنت مفتقرا لشيء الا الى اعتناق الاسلام ، ولكن عز علي مفارقة ديني .

ولما توفي هذا العاهل الرشيدي طيب الله ثراه وخلفه ابو النصر المولى اسماعيل — بنى البرج المطل على الميناء وملأه بمدافع من النحاس ، وبنى في نفس الوقت دارا لولده وخليفته المولى احمد واسكنه بها وهيأ له مسجدا وحماما ومنتزها عاليا يشرف منه على العدوتين — الرباط وسلا وعلى الوادي ، وسكن بها مدة طويلة حتى وجهه والده المولى اسماعيل الى تادلا خليفة عنه وبقي هناك الى ان توفي والده فاستدعي لمكناس وجلس على عرش ابيه ، وقد تحدث عنه ابو قاسم الزياني في تاريخ « البستان الظريف في اخبار ابناء مولاي علي الشريف » (*) .

من مشمولات تاريخ القصبة :

ان ليوست الداني ماركي كتابة حول تاريخ المغرب افتتحه بالحديث عن الدولة الادريسية واثناء الكلام على الدولة العلوية ــ تعرض للمدخول السنوي للسلطان محمد بن عبد الله طيب الله ثراه وقدره بثلاثين مليون دينار ، وكان بيت ماله ابواب القصبة . لقوتها وحصانتها واحكام صنعها وجلدها بالحديد .

هذا ويدل على الغرض المقصود للموحدين من تاسيس القصبة ــ ما هو مكتوب على بابي الساباط من الآيات القرآنية المؤذنة بالجهاد والفتح ــ كآية « انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله . وكان الله عليما حكيما » كذا على الباب القبلي بالخط الكوفي ، وكتب على بابها الشرقي : « يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الى قوله تعالى من سورة الصف ــ وبشر المومنين .

تسمية القصبة ــ بقصبة الوديا :

لما خرج جيش الوداية على السلطان المولى عبد الرحمن وظفر بهم في خبر طويل ــ قطعهم في الارض ــ فنقل منهم اهل السوس الى الرباط وانزل جلتهم بالمنصورية على شاطيء وادي النفيفخ ، وقوادهم ووجوههم بالقصبة الرباطية التي صارت من هذا الحين تنسب اليهم ، وتعرف « بقصبة الوداية » كما هو اسمها اليوم .

عبد الله الجراري ــ الرباط

مفتش بوزارة التربية الوطنية



توحيد القوانين بالمغرب

للأستاذ : محمد العلمي

شعر العرب في مشارق الارض ومغاربها بوجوب لم شعثهم وتوحيد اتجاههم ليكونوا يدا واحدة وعلى قلب واحد في السراء والضراء والمنشط والمكره تطبيقا لاصول شريعة سمحة تمكنت من نفوسهم وعملا بتقاليد وعادات ورثوها ابا عن اب وقبيلة عن قبيلة ، ولا شيء يمكن ان يمتن روابطهم ويوحد فيما بينهم احسن من توحيد قوانينهم التي تنبعث من شعورهم واستجاباتهم فيبرزها المشرع على شكل مواد مفصلة محددة . والعرب في هذا الوقت احوج من اي وقت مضى الى توحيد قوانينهم ، ولا سيما القوانين الدستورية والثقافية والمدنية والتجارية . ولا يخفى انهم ظلوا متحدين فيما بينهم ما يزيد عن اثني عشر قرنا في ظل الاسلام وشريعة القرآن الكريم ولم يظهر زيغهم عن اتباع قوانين الاسلام الا بعد استيلاء الاتراك عليهم وبالاخص في عهد محمود العثماني سنة 1255 هـ الذي اعلن المرسوم السلطاني في قصر كلخانة المتضمن لتشريعات جديدة بعضها مقتبس من قوانين بعض الدول الاروبية والبعض الآخر من المبتكرات الجديدة التي دعت اليها الضرورة واقتضاها تعقيد الحياة الجديدة واستمر الحال في خروج البلدان العربية عن اطار القوانين الاسلامية واحدة واحدة تحت تاثير الاستعمار الاجنبي وضغط بعض اذنابه الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة .

وقد شعر العرب بوجوب هذا التوحيد بعد ان عرفوا الحياة الجديدة التي عاشوها بعيدين عن تطبيق مقتضيات الشريعة الاسلامية في شؤونهم التجارية والمدنية وفي المسطرة التي يجري بها العمل داخل الاسرة والبيت وفي المدرسة والشارع والمعمل والمكتب .

والتوحيد الذي نرمي اليه هنا هو توحيد في الاسس والقواعد العامة والمبادىء الجوهرية اما الفروع والجزئيات فينبغي ان تترك لتكون جارية على اساس اعتبار العادات الخاصة واختلاف البيئات واختيارنا هذا مبني على مراعاة الحقيقة العلمية وماضي الامة العربية وحاضرها .

اما الحقيقة العلمية فتقرر ان القوانين تنبعث من صميم افراد الامة وتتولد عن مطامحها ومشاعرها وامانيها الخاصة والعامة وان عمل المشرع للقوانين يقتصر على اظهار ذلك واخراجه في شكل فصول ومواد لا غير . وماضي الامة العربية وحدة متماسكة لانها بقيت طيلة اثني عشر قرنا على منوال واحد في جميع تشريعاتها واحكامها العامة هو منوال وضعه الاسلام وتضمنته آيات القرآن والحديث الشريف واجماع الائمة المعتبرين . وحاضرها اليوم يستدعي ان ترجع الى سالف حياتها لتعيد مجدها الغابر وحياتها المثلى فتتوحد في حياتها في المتجر ونظام البيت والعائلة وفي القانون العسكري والتشريعات التجارية لان هذه الامور الاربعة تخص اهم العوامل في حياة الامة ومقوماتها .

واختلاف القوانين في امة من الامم يقف عرقلة في طريق وحدتها ويرجع بها الى عهد الفوضى والانحلال بل الى شريعة الغاب التي تعتبر من مخلفات عصور ما قبل التاريخ ومن حسن الحظ ان الفرقة السياسية لم تنفذ آثارها الى الكيان الادبي الذي هو وحده البقية الباقية التي بنى عليها العرب ما نشاهده اليوم من اتحادهم الجديد وان كانت لا زالت عوامل الهدم والتحطيم تبذر بذورها هنا وهناك ان العمل على توحيد القوانين العربية واجب

اكيد يقع على كاهل الشعوب العربية وحكوماتها التي تلتزم بتطبيقها من غير تحريف او تأويل غير علمي لصالح الشعوب والافراد انفسهم ولا نستطيع ان نصف مقدار الجريمة التي يجترمها هؤلاء الموظفون في الكحومات الذين يسعون الى تحريف القوانين او خرقها بغية الحصول على مغنم جزئي او فائدة لا تفيد الا اشخاصهم والا وقتا معينا ثم ترجع على العامة والخاصة في الامة بالحسرة والندم والخيبة المرة التي تنتشر نتائجها جيلا بعد جيل وتعرقل سير التقدم التي تنشده والحياة السعيدة التي تطمح اليها ؛ وتسعى النقابات العربية في مشارق الارض ومغاربها مكتلة في جمعيات واتحادات الى هذا الهدف مثلما تبذل جميع الهيئات والافراد في الاقتصاد والاجتماع والسياسة جهودها لنفس الغرض لان الوقت لم يعد قابلا لان يبقى العرب متشردين مشتتين كل امة تدعو الى كتاب وكل هيئة تسن قوانينها متناسية اخواتها اللواتي تجمعها بهن روابط وروابط اكثر من ان تحصى ، وعمل المكتب الدائم للتعريب في هذا السبيل قويم وقويم جدا حيث انه ما فتيء يدعو فيما يدعو اليه من توحيد وتنسيق للجهود الى توحيد القوانين بين الدول العربية في المشرق والمغرب وان هذا الامل سيحقق بفضل العزائم المتوثبة وبفضل الحماس الذي يسود الاوساط العلمية والشعبية العربية في هذه الايام بالذات .

الرباط — محمد العلمي



الجامعة الذرية الأوربية

أصولها الدولية - تطوراتها آفاقها المستقبلة

للأستاذ : المهدي البرجالي

تطور الاوضاع العلمية واتساع مجالات استغلالها في العصر الحاضر ـ المثال الذي تعطيه الطاقة الحرارية ـ النووية في هذا المضمار ـ تطورات الاتجاه الدولي في موضوع الاستغلالات الصناعية النووية ـ المؤثرات السياسية والتقنية والسيكولوجية التي لها دورها في تطوير هذا الاتجاه ـ (الاوراتوم) باعتبارها احدى النتائج التي تمخض عنها هذا التطور ـ التركيب الدستوري الذي يسير هذه المنظمة ، والاهداف المتوخاة سواء في الاجل القريب او البعيد ـ المصاعب التي تواجهها والاعراض التي تعانيها ـ بعض الحقائق التي يمكن الاخذ بها من ملاحظة هذه المنظمة .

من الظواهر التي يسجلها تطور التيكنولوجيا الحديثة ، ان المنجزات التطبيقية ، المتولدة عن هذه التيكنولوجيا بمقدار ما تسير الان في طريق النمو والتوسع ، بمقدار ما تتشعب آفاقها ، وتتضخم مقتضياتها ، وتشتد حاجتها الى مزيد من الاموال والجهود والامكانيات ، ليس لها من حدود او قرار ، فقد انقضى القرن الثامن عشر ، والتاسع عشر ، حيث كان في استطاعة العالم المستكشف او المخترع ، ان يجد في اغلبية الحالات السبيل الى تطبيق نظرياته ، واستغلال اكتشافاته ، وبناء منجزات آلية او غيرها على اساس ذلك ، دون ان يكلفه هذا مصاريف باهظة ، تنوء بها طاقته ، وتقصر عنها موارده الفردية المحدودة ، وكثير من الانجازات الفنية العظيمة التي نستعملها في الوقت الحاضر ـ كالطيران والرادار مثلا ، لم تكن في بدايتها الا نتيجة جهود فردية محدودة جدا ، ولم تكن تجد من ينفق عليها ، الا نفس هؤلاء العلماء الهواة الذين كانوا يفكرون فيها ، ويبذلون من اجلها عصارة امكانياتهم العقلية والمادية ، الى ان تتضح الفائدة العلمية من تلك الاختراعات ، وحينئذ فقط تجد من يتولى امرها ، وينفق عليها من الشركات المنتجة كما هو الامر في الولايات المتحدة او المؤسسات الدولية (نسبة الى الدولة) كما هو الامر في اقطار عديدة اخرى ، وحتى عند ما انتصرت كثير من المخترعات على الاهمال الذي كانت تقابل به في البداية ، واصبحت موضوعة تحت اشراف الشركات والحكومات ، تستنزف اموالا وجهودا وافرة ، وتدر مثلها او ما يفوقها بكثير ، حتى في هذه الحالة ، فان مثل هذه المترعات كالطائرات النفاثة وغيرها من الاجهزة المعقدة والضخمة ـ ما برح انتاجها واستغلالها ممكنا في دائرة جهود الشركات الخاصة ، او اشراف الدولة المحدودة ، ولم تتطلب ـ بسبب ذلك ـ تعاونا دوليا بعيد الافق على الرغم مما تعرفه من توسع هائل يطرد باستمرار وعلى العكس من ذلك ، بعض الحقول العلمية والتقنية المستحدثة، التي ترجع بتطورها العملي الحاسم الى العشرين سنة الاخيرة (خلال الحرب وما بعد ذلك) فمثل هذه الحقول ـ قد بدا يتبين ـ منذ وقت غير قصير ـ ان استغلالها ـ على نطاق واسع هو اضخم من ان تستطيع القيام به شركة معينة ، او دولة ما من الدولة الصناعية بمفردها ، بل ان مثل هذا الاستغلال ـ اذا ما اريد له ان يؤدي الى الافاق التقنية الشاسعة المقصودة منه ـ فانه يتطلب ـ نتيجة لذلك ـ العمل المتناسق على نطاق دولي ، يتسع مداه او يضيق بحسب المقاصد والحالات ، ومن امثلة ميادين العمل التقني من هذا القبيل: ميدان الارتياد الكوني الذي لا يزال في خطواته البدائية البسيطة ، والذي ما زال يتأكد باستمرار ، ان تضافرا دوليا في محيطه ، هو الكفيل وحده بتحقيق الاهداف الكبيرة ، المتوخاة منه ، كالنزول على سطح الكواكب والتوابع الطبيعية ، وبناء المحطات

والمراصد الكونية الضخمة ، والنفوذ من ذلك الى الافاق العلمية والعملية التي لا يبدو ان لها حدودا محدودة يمكن ان تقف عندها ، ولذلك فانه لم يعد يكفي في هذا الميدان مجرد التعاون بين الروس والامريكيين وان كانت الموارد المتوافرة لهما سواء علمية او تجهيزية — هي من اضخم ما يوجد في الارض ، وتستطيع ان تاتي بنتائج مهمة جدا — بل ان الاتجاه الى هذا التعاون قد اتسع مداه خلال السنين الاخيرة ، واصبح ياخذ بعناية كثيرة من الاقطار المهتمة بالتطور العلمي في العالم ، ان لم يكن يستأثر باهتمام جميع الدول بدون استثناء ، فبعد نجاح السنة الجيوفيزيائية الدولية التي استمرت خلال الفترة المتراوحة من يوليوز 1957 الى نهاية 1958 واعانت على تنسيق جهود كثير من الدول ، في ميدان الابحاث الفضائية تطور التعاون الدولي بعد ذلك في هذا الميدان تطورا كبيرا جدا ، وخاصة منذ سنة 1958 عند ما قرر المجلس الدولي للاتحادات العلمية ، انشاء منظمة « الكوسبار » اي لجنة الابحاث الفضائية ، هذا الى منظمات اخرى من هذا القبيل ، ذات صبغة دولية موسعة ، نشأت أثناء ذلك او بعده كمنظمة « الايلدو » اي الهيئة الاوربية لبناء واطلاق الاجرام الفضائية ، ومنظمة « الاريكو » اي المنظمة الاوربية للبحث الفضائي ، علاوة على المصالح المعنية بالامر ، التي تشرف عليها الامم المتحدة من قريب او بعيد . ومن امثلة ميادين العمل التقني التي اصبحت هي الاخرى ، كالارتياد الفضائي تتطلب تعاونا دوليا واسع الجوانب ، ولم تعد جهود الشركات او المصالح الحكومية المحدودة ، تكفي لاستغلالها والاستفادة منها ، بالصورة التي تتناسب مع ضخامة امكانياتها وتشعب مناحيها ، من هذه الامثلة : ميدان الاستغلال السلمي للطاقة الحرارية النووية والملاحظ في هذا المقام ان الجانب الحربي من موارد الطاقة الذرية ، قد امكنه ان يحقق منذ نحو عشرين سنة تقدما هائلا في نطاق المجهودات الخاصة ، اي في اطار الجهود التي تبذلها دولة ما بمفردها ، دون ان تحتاج الى التعاون مع دولة اخرى ، او منظمات دولية او عالمية ، وتبرز بهذا الصدد الولايات المتحدة ، ثم الاتحاد السوفياتي بعد ذلك ، واخيرا فرنسا التي ما انفكت تبدي كامل الحرص على الاستعانة بمواردها القومية لبناء قوتها الذرية الرادعة ، لكن الامر في المضمار السلمي يختلف عن ذلك الى حد بعيد ، فقد اثبتت الوقائع الحاصلة لحد الان ان الاستغلال السلمي لامكانيات الطاقة الذرية هو من التعقد وضخامة المتطلبات بمكان كبير ، والمشكلة الاساسية التي تعترض الان بهذا الصدد هي : كيف يمكن ان يتم التوصل الى طرق مضمونة ، لاستغلال القوة النووية سلميا ، وذلك بصورة اكثر بساطة من الناحية التقنية واوفر انتاجا من الوجهة الاستعمالية ، واقل تكاليف ومتطلبات من الناحية المادية والتجهيزية ؟ ذلك انه قد اصبح في امكان بعض الاقطار المتقدمة علميا وصناعيا — اصبح في امكانها — منذ زمن بعيد — ان تقيم مؤسسات عدة لاستخدام الطاقة الذرية ، في كثير من مجالات الانتاج الصناعي ذي الصبغة المدنية ، وتبرز فرنسا — باعتبارها من اكثر دول غربي اروبا تطورا في هذا المضمار ، فمنذ سنوات تمكنت الشركات النووية بفرنسا تحت اشراف الحكومة في كثير من الاحيان ، وبالتعاون مع مندوبية الطاقة الذرية والقوة الكهربائية الفرنسية — تمكنت هذه الشركات من انجاز اعمال مهمة في الكيمياء والتجهيز الصناعي ، وغير ذلك ، تجاوزت اهميتها الحدود المحلية واصبحت لها قيمة دولية مرموقة ، ولبعض الدول الغربية الاخرى نصيبها من العمل في هذا السبيل ، غير ان التكاليف الباهظة التي تستلزمها سياسة صناعية من هذا المستوى ، بالاضافة الى الجهود الانسانية الضخمة التي يقتضي الحال ان تبذل في سبيل ذلك على نطاق واسع ، هذا الى الموارد التجهيزية والعناصر النادرة التي يتعين توفيرها بهذا الصدد ، وتامين مواردها بصورة شاملة وثابتة ، كل هذا بدأ يوجه تفكير الدول الذرية من جهة ، والمنظمات العالمية كالامم المتحدة من جهة اخرى ، الى تنظيم نوع من التعاون الدولي في هذا المضمار ، واقامة مؤسسات دولية معقدة التركيب واسعة الصلاحية ، متعددة المصادر والموارد ، وذلك من اجل ضمان القدرة على الايفاء بالتكاليف والمستلزمات المطلوبة ، وتكوين مجال صحيح وفعال لتنسيق النشاط النووي الدولي في مضمار السلم ، واستغلال هذا النشاط المتناسق في ميادين التوسع العلمي والصناعي طبقا لما تتوخاه اكثرية الدول التي تتوافر لها امكانيات ذرية كافية في كل من اوربا وامريكا الشمالية ، والملاحظ ان هذا الاتجاه الى التعاون الدولي في مضمار الاستغلالات الذرية قد بدأ ينمو وتشتد الحاجة اليه في نفس الوقت الذي اخذت تشتد فيه كذلك الدعوة الى ضرورة الاهتمام بالاستعمال السلمي للطاقة النووية ، وذلك للاستفادة اولا من الممكنات الضخمة ، التي تنطوي عليها هذه الطاقة ، وثانيا لامكانية التقليل من الجهود والامكانيات الواسعة التي تستنفدها الستراتيجية الحربية النووية ومشاريع القوى الرادعة والتكتيكية ، وقد كان من العوامل المهمة التي اثرت في نشوء هذا الاتجاه وتنمية فعاليته :

1) من الناحية العلمية والتقنية . تأكد وجود آفاق عظيمة الشان في ميدان استغلال الطاقة النووية للاغراض الطبية والزراعية والهندسية والكيماوية وغيرها ، والاهم من ذلك كله بروز الامكانيات الضخمة التي تتيحها النواة في ميدان الصناعة وما تتطلبه من موارد طاقية ، ليس لها من حد .

2) من الناحية السياسية والدولية : عامل الضغط القوي الذي ما فتئت الدول الصغرى ومختلف القوى السياسية المسالمة في اوربا وامريكا تمارسه من اجل تحويل الاتجاهات بصدد استخدام الطاقة الذرية وذلك بتوجيه الجهود النووي المبذول في الميادين العسكرية — توجيهه وجهة نافعة تستهدف جانب

السلام والتوسع الحضاري في مختلف انحاء العالم ، وتستدعي تعاون اعضاء الاسرة الدولية في في هذا المضمار .

3) من الناحية الاقتصادية والنفسية وعلى الاخص من ذلك ، ما يتعلق بعامل التنافس الحضاري بين الشرق والغرب ، والتسابق بين مختلف الدول الصناعية عموما ، لاحتلال مركز افضل من حيث القوة ووفرة الانتاج ، فقد اصبح متاكدا لدى هؤلاء او اولئك في الشرق الشيوعي او اوربا الغربية او امريكا الشمالية ، ان العامل الذي سوف يصبح حاسما في الصراع الدولي المقبل ، هو عامل القوة الاقتصادية والصناعية ، ولهذا فقد اخذ الجميع يعد خططه الصراعية القادمة على هذا الاساس ، وغدا كل جانب يحاول ان يستنزف من الطاقة النووية ما يحققه السبق في هذا المضمار ، ولا تخلو الدول المتحالفة داخل كتلة مشتركة — كالاوربيين الغربيين مع الولايات المتحدة مثلا — لا تخلو من التاثر بنوع من التنافس فيما بينها من هذا القبيل .

وقد اشتدت عوامل التحول المهم في علاقة الانسان بالطاقة النووية ، وذلك غداة نشوب الحرب الكورية في اوائل العقد الماضي ، وبروز احتمالات خطيرة آنئذ في وجه المجتمع الدولي ، تنبيء بامكانية نشوب صراع نووي بعيد النتائج وذلك بين الولايات المتحدة والكتلة الروسية الصينية التي كانت في ذلك الحين على اعلى درجة وصلت اليها من التماسك والتآزر ، وفي الوقت الذي اتسع فيه رد الفعل العالمي ، آنئذ ضد آفاق الحرب الحرارية النووية ، بدات الولايات المتحدة ، تظهر اهتماما متزايدا بفكرة التحول في وجهة الاستعمال الذري التي يتوخاها السلميون Pacifistes هنا وهناك ، واكثرية الشعوب النامية ، فبادرت باجراء اتصالات مع الامم المتحدة في الامر ، وخففت من القيود التي كان يقتضيها قانون (ماكماهون) (✶) تمهيدا لفتح امكانيات للتعاون في هذا المجال بينها وبين حلفائها الاطلسيين وبعض الدول الاخرى التي قد تتفق معها في الموضوع ، لكن الملاحظ ان سياسة الولايات المتحدة — بهذا الصدد — بقيت — مع ذلك — محدودة ومتواضعة بالنسبة لما يمكن ان يتبادر للذهن من اول وهلة ، فاحتمالات التعاون الذري بين امريكا والدول الاخرى — هذه الاحتمالات المتفتحة منذ عشر سنوات — لم تفض — فعلا — الى اقرار معاهدة جماعية نووية ، او اقامة تنظيم دولي لاستغلال الامكانيات الذرية ، كما تم عليه الامر — بعد ذلك — في اوربا بين الدول الست المرتبطة بنظام السوق الاوربية المشتركة ، ولعل من بين الاسباب الموجبة لذلك ان الجو السياسي والاقتصادي في اوربا الغربية — هذا الجو الذي اصبح يتميز بالنزعة الاوربية الفرنسية ، متفاعلة مع بعض المشاعر من هذا القبيل عند عدد من الاقطار الستة التي اقامت بينها نظاما خاصا للفحم والفولاذ . ومشاريع للتطور الاقتصادي المشترك ، والمستقل عن امريكا وغيرها من دول الغرب او الشرق هذا الجو الذي اصبح يتميز بتزايد النزعة الاوربية المستقلة لم يكن من شانه ان يدفع التعاون الذري الذي بين اوربا وامريكا الى درجة اقامة منظمة مشتركة في هذا الميدان ، تطوق الطرفين بالتزامات تعاونية دقيقة ، هذا الى ان التراجع الذي وقع في صرامة تطبيق قانون « ماكمهون » لم يكن مطلقا ، اي بصورة تجعل الولايات المتحدة تتخلى عن سريتها الذرية نهائيا ، وتقبل نوعا من التفتح الكامل في هذا الميدان على اوربا الغربية خاصة ، وبقية الدول الذرية عموما ، على انه بالرغم من محدودية خطوات الولايات المتحدة في طريق التعاون من اجل استغلال الذرة استغلالا مدنيا ، فقد عرفت هذه الفكرة تطورا مهما على صعيد الامم المتحدة وبواسطة المصالح المعنية التابعة للمنظمة الاممية فمنذ تسع سنوات تقريبا دعت هذه الهيئة الى عقد مؤتمر دولي بجنيف (صيف سنة 1955) لبحث موضوع الاستعمال المدني للطاقة الذرية وعلى الرغم من انه كان المؤتمر الاول من نوعه ، فان اشغاله — مع ذلك — قد مهدت السبيل لحدث مهم في الميدان النووي الدولي وهو انشاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وهذه الوكالة تستهدف — كما يدل عليه اسمها — المساعدة على تحقيق نوع من التعاون الدولي في مجال الذرة والقوة الذرية ، ولكن في نطاق الاستعمال السلمي لهذه الامكانية الطاقية الضخمة ، ومن اجل دفع الاهداف الصناعية المدنية ، المتوخاة منها بعيدا الى الامام ، وبعد ثلاث سنوات او ما ينيف عليها قليلا (خريف سنة 1958) انعقد مؤتمر دولي جديد تحت اشراف الامم المتحدة ولمعالجة نفس القضايا والمشاكل المتعلقة باستخدام الطاقة الذرية لمقاصد السلم ، وبناء الحضارة ، وقد كان لموضوع « الخامات » الذرية اي العناصر الصالحة للصناعة الذرية حربيا وسلميا — كان لموضوع هذه الخامات ، اهمية كبرى في المداولات التي وقعت خلال كل من المؤتمرين الدوليين لسنة 55 و 1958 وسواء بالنسبة لـ « الاورانيوم » او « البلوطونيو » او غيرهما ، فان مجاذبات كثيرة في الراي ، وتحجرات ، وتساهلات متفاوتة سواء من هذا الجانب الدولي او الاخر ، حدثت بين المؤتمرين ، ولكنها كانت تنتهي الى بعض النتائج التي من شانها ان تعتبر تقدما الى الامام ، فقد تنازلت الدول الغربية النووية للكشف — للملأ الدولي — عن بعض الاسرار الصناعية الذرية ، وخاصة ما يتعلق من ذلك باستخراج الخامات المستصلحة في هذا الميدان كـ « البلوكونيوم » مثلا ، وحققت الولايات المتحدة خطوة ملحوظة باعلان استعدادها للتعاون مع بعض الدول المتقدمة في

✶) وهو قانون يحدد سياسة الولايات المتحدة في الميدان الذري ، وكان يسود صياغته نوع من روح العزلة في هذا الحال وقد كان تعديله داعيا للتدقيق من روح العزلة هذه .

ميدان الذرة وبالاخص في المجالات العسكرية واتخذ الاتحاد السوفياتي هو الاخر بعض المبادرات — وان كانت محدودة جدا — الا انه كان لها قيمتها المعتبرة بالنسبة الى الروح التي كانت تسود السياسة الروسية قبل ان تتفتح على العالم وتمد خطوطا عريضة للتعاون مع مختلف الجهات الدولية ، كما هو الشان الان ، لكن مع ذلك ، فقد بقي دائما على المرء ان يتساءل : الى اي حد في الاهمية وصلت المحاولات الدولية هذه ، في ميدان التعاون من اجل استخدام الذرة للمآرب المدنية ؟ وهل كان لمثل هذه المحاولات ان تؤدي الى نتائج ايجابية وبعيدة الاثر في هذا الموضوع ؟ ليس للمرء ان يسجل هنا ظاهرة فشل او ما في معناه على الرغم من ان جهود الامم المتحدة في هذا الامر لم تلاق من النجاح ما لاقته نسبيا محاولات دولية اخرى ، وقعت على الصعيد الاقليمي كـ « الاوراتوم » مثلا ، ذلك ان سياسة واسعة المدى وبعيدة الاجل تستهدف احيانا الجمع بين المتناقضات وترمي الى اصطناع الملاءمة بين اشياء وحقائق منفصلة عن بعضها البعض انفصالا محدودا او شاملا وذلك مثل ما تسعى اليه الامم المتحدة في اغلبية مهامها السياسية والاقتصادية والفكرية والعلمية ، مثل هذه السياسة لا يمكن ان تصل الى اصابة اغراضها الرئيسية في فترة قياسية مثل ما يتطلبه الناس في الغالب ، ولهذا فانه من الصعب ان يحكم المرء على سياسة الامم المتحدة في الميدان الذري بالفشل ، ولو انها لم تصل بعد الى تنظيم تعاون دولي عام يستهدف تكتيل الخبرات والامكانيات التقنية والخامات المتوافرة في العالم وذلك من اجل تحقيق فكرة الذرة في سبيل التقدم على اكبر مستوى دولي ممكن ، وقد تحققت خلال السنة الماضية في موضوع الذرة ، نتيجة هامة — وان كانت ذات طبيعة سلبية — وهي التوقيع على اتفاقية موسكو المكرسة لتعهد الدول الكبرى مع استثناء فرنسا والصين بعدم متابعة الاختبارات النووية في الفضاء ومن الطبيعي ان يعتبر توقيع الاتفاقية تلك نصرا لرسالة الامم المتحدة التي كان لها نوع من الاشراف على مفاوضات « جنيف » في هذا الموضوع ، وكان لسياستها الدولية بوجه عام ، اثر ملحوظ في الامر من اساسه ، ومن المعلوم ان الاتفاقية المشار اليها لا تهم موضوع الاستعمال السلمي للطاقة النووية لان الهدف منها كان مجرد حظر الاختبارات التي ما برحت تتم في نطاق الاغراض الحربيةسواء منها العملياتية او التكتيكية ، وعلى هذا فان الجانب الايجابي من استعمال الطاقةالنووية اي الجانب المتعلق باستخدامها من اجل الاغراض المدنية البحتة — هذا الجانب لم يشمله اي اتفاق دولي على غرار اتفاقية موسكو ، ينظم نوعا من التعاون في حظيرته وكما ذكرنا فان عدم التوصل لحد الان الى اقرار هذا التنظيم الايجابي لمكنات الطاقة الذرية تحت اشراف الامم المتحدة لا يدعو الى الشعور بالفشل اذ ان احتمال توصل الهيئة الاممية الى شيء من هذا القبيل لا يزال ممكنا بصورة جدية ، اما البطء الملحوظ في ذلك فليس فيه ما يبعث على الغرابة ما دام ان هذا الموضوع من اساسه هو موضوع يتسم بكثير من الصعوبة والتعقيد ، ففي نطاقه توجد كثير من المصالح الدولية ، تتناقض فيما بينها وسياسات وفلسفات في التصنيع وما يتعلق بالحياة الصناعية تتصادم على نطاق واسع ولا جرم ان التغلب على كل هذه المصاعب في اطار دولي واسع الاكناف كالاطار الجامع بين كافة الدول النووية في الشرق والغرب من شانه ان يقتضي كثيرا من الوقت قد يطول احيانا بصورة يبدو كانه ليس لها من حدود .

على انه اذا كان التعاون الدولي العام من اجل استغلال الذرة للاغراض الصناعية المدنية لم يتحقق لحد الان بالصورة المطلوبة فانه — مع ذلك — قد بدأ يتحقق الى حد كبير ولكن في نطاق دولي اضيق ، هو نطاق غربي اوربا ، وبين اغلبية دول هذه المنطقة المنخرطة في نظام السوق الاوربية المشتركة ، فقد استطاعت هذه الدول المعروفة بالدول الست (فرنسا — ايطاليا — بلجيكا — المانيا الغربية — هولاندا — اللوكسمبورغ) استطاعت ان تكون فيما بينها نظاما للتعاون الصناعي الذري ، تحت اسم «الاوراتوم» هو وان كان لم يستكمل شروط النجاح التي كانت تتوخى له منذ البداية الا انه قد خرج الى حيز الوجود على اي حال ، ويحاول ان يجد اي سبيل له يتمكن معه من اكتساب فاعلية حقيقية ومضمونة .

★ ★ ★

برزت منظمة « الاوراتوم » الى الوجود ، منذ نحو سبع سنوات تقريبا (فاتح يناير 1958) منبثقة عن الجماعة الاوربية للفحم والفولاذ ، والسوق الاوربية المشتركة ، وقد نشات هذه المنظمة في منطقة دولية ، عرفت الستراتيجية الاقتصادية عند دولها كثيرا من التطور والاتساع ، خلال السنوات الاخيرة ، وما برحت الافاق والمفاهيم القديمة تتغير في محيطها بصورة لا تكاد تعرف لها حدود ، فـ « المعجزة » الاقتصادية في المانيا الاتحادية قد بلغت اوجها منذ عدة سنوات خلت ، وقد حققت ايطاليا وفرنسا هما كذلك « معجزتهما » كل في نطاق ظروفه وممكناته ، وعرفت دول « البنولوكس » هي كذلك ازدهارا اقتصاديا ملحوظا ، غير ان الذي ياخذ بالعناية في هذا الشان ليس مجرد وجود تطور اقتصادي في المنطقة يتخذ هذا الشكل « المعجزي » في بعض الحالات ، وانما المهم اكثر من ذلك ، هو ان هذا التطور قد صاحبته بل كانت من بين اسبابه جملة تغيرات في الاوضاع الاقتصادية عند هذه الدول ، وتحول في القيم والمعطيات المتعلقة بالعمل الاقتصادي سواء عند هؤلاء او اولئك ، ومن دون شك ، فان النظام التعاوني الضخم ، المتمثل في مشاريع الدول الست ، سواء في ميدان الخامات ، او في مضمار الطاقة او التبادل او غير ذلك ، هذا النظام يمكن اعتباره من بين

آثاره الروح الاقتصادية الجديدة التي غمرت منطقة غربي اوربا منذ نهاية الحرب ، وكان وجودها (وجود هذه الروح) ضرورة اساسية ملحة لمواجهة حالة الانقاض التي خلفتها تلك الحرب ، وبناء كيان اقتصادي جديد اكثر متانة ، واوفر قدرة على استيعاب الحقائق الاوربية والعالمية الجديدة ، والملاحظ في هذا المقام ان نهاية الحرب واتجاه الرغبة في اوربا الغربية الى اعادة بناء ما تركته من خراب – رافقه ظهور آفاق علمية وتقنية وصناعية وطاقية شاسعة نتيجة لدخول القوة النووية في الميدان ، واتضاح ما لهذه القوة من ممكنات واستعدادات ليس لها من حدود ، بيد ان الميدان النووي – وان كان ذا امكانيات ايجابية ضخمة – فان استغلال امكانياته استغلالا كاملا ، وبالصورة المطلوبة ليس شيئا هينا بحيث تستطيعه دولة او دولتان بمفردهما ، ولذلك فقد قوي الاتجاه في اوربا – بعد ان استوى نظام الفحم والفولاذ الاوربي على قدميه – الى اقامة نظام كذلك للتعاون في المضمار النووي – يستهدف الاشتراك في التغلب على المصاعب المادية والتقنية التي تفرضها طبيعة الاستغلال النووي من اساسه وتبادل الاستفادة من الممكنات المتوافرة لكل دولة بمفردها في هذا الميدان ، ومن ثم ، فان من جملة الاهداف الجوهرية التي تسعى « الاوراتوم » الى تحقيقها في الاجل البعيد هي العمل على تنظيم البحث الذري ، والانتاجات الصناعية التي يمكن ان تنبثق عنه ، وذلك بكيفية تعاونية متناسقة تستوعب استعدادات الاقطار المشاركة في هذا المجال ، وتستمد من فاعلياتها العلمية والمادية المتوافرة ، فاعلية دولية واسعة الموارد والاختصاصات ، تستطيع ان تفتح آفاقا مهمة في ميدان الاستغلال الذري وخاصة ما يتصل من ذلك بتوفير الطاقة ، التي يخشى من نضوب شيء في اوربا باكثر مما يخشى من نضوب معينها في مستقبل قريب او بعيد ، لكن ليس معنى هذا ان « الاوراتوم » قد استهدفت منذ نشاتها ان تصبح منظمة صناعية دولية ، تاخذ على عاتقها « تدرية » الوضع الصناعي للبلاد المشاركة ، بشكل مباشر ، اي جعل الطاقة الذرية المحرك الاساسي لمجموع السياسة الصناعية في هذه البلاد ، فالواقع ان الاساليبوالطاقات الكلاسيكيةفي اوربا لا يزاللها مقام كبير في ميدان الانتاج الصناعي الاوربي ، وينتظر ان يبقى لها هذا المقام لامد طويل جدا ، الا ان مشروع « الاوراتوم » يستهدف قلب الاسس الصناعية في المستقبل وان كان ذلك يبدو كهدف بعيد وغير مباشر ، اذ انه بعمله على تطوير الابحاث الذرية تطويرا يحررها من حالة الانحصار في الاهداف الحربية المحدودة فقط،وبسعيهالى افتتاحآفاقغير محصورةفيميدان الطاقة قد يستعاض بها في المستقبل ، حتى عن الموارد الطاقية التقليدية الموجودة الان ، ان مشروع « الاوراتوم » بذلك قد يساعد على القول بان الاتجاهات التعاونية الدولية في الميدان الصناعي الذري ، سواء باوربا او غيرها – من الممكن – فيما اذا نجحت ان تؤدي الى آفاق صناعية في المستقبل لا يعرف مداها الان غير ان هناك اساسا للتساؤل : هل تسمح الافاق الظاهرة – في الوقت الحاضر – بتقدير عمل « الاوراتوم » على هذا النحو الايجابي الشاسع ؟ وما هي جملة العوامل الايجابية والاحتمالات السلبية الممكنة بهذا الصدد ؟ ان الذي يلاحظه المرء اولا ان بعض الدول المشاركة كـ « فرنسا » تتوافر لها – كما تقدم – استعدادات نمو صناعي ذري لا باس بحالته الحاضرة ، وتنتظر له امكانيات مستقبلية مرموقة ، واذا ما انخرطت انجلترا في السوق الاوربية المشتركة ، وبالتالي في معاهدة « الاوراتوم » فان من المؤكد انها ستحمل معها الى نظام المعاهدة امكانيات من هذا القبيل ، توازي ما هو موفور لفرنسا او يفوق ذلك ، ومن الجائز ان يصبح لالمانيا الغربية ، شان ملحوظ في هذا المجال ، ولذلك فعلى الرغم من تفاوت حظوظ الدول المشاركة في ميدان التطور النووي ، والاستعدادات التي لديها لتطوير صناعاتها المشتركة على اساس ذلك فان من الصعب – مع هذا – تصور حصول تناسق فبالاحرى اندماج شامل بين البرامج الصناعية للدول الست ، ودخول هذه البرامج كافة في حظيرة برنامج واحد مشترك ، يستهدف الحصول على تطور متواز بينها في هذا المجال ، فالميدان الذي يتسع له مشروع « الاوراتوم » في الوقت الحاضر ، لا يمتد الى امد غير محدود ، وانما الذي يرمي اليه هذا المشروع – بصورة اساسية في المرحلة الراهنة على الاقل – هو تنسيق العمل على استغلال المفاعلات الذرية التي تتوافر عند هذه الدولة او الاخرى ، من الدول الاعضاء ، ومن الجلي ان المفاعلات الذرية هذه لها شان كبير وحيوي في مجموع النشاطات التقنية النووية ، على اختلاف الميادين التي تتعلق بها ، ولهذا فان البرنامج الذري لدول « الاوراتوم » يدور بكيفية اساسية حول نظام مراقبة عمل هذه المفاعلات ، وكيفية استغلالها لصالح دول المعاهدة السداسية ، بل ان « الاوراتوم » تحاول – اكثر من ذلك – بناء مفاعلات جديدة تستعين بها في تنفيذ برنامجها الاصلي الذي تقوم على تنفيذه ، والعناية هكذا بامر المفاعلات ليس هو كل شيء في مقتضيات التطبيق الذي تفرضه المعاهدة – وان كان ذا شان كبير في مجموع الاهداف المتوخاة منها – بل ان هناك مقتضيات كثيرة ، تتعلق بهذه المفاعلات ، وتتعلق على نحو عام – بجملة من المسائل والقضايا لها اكبر الاتصال بما يمكن ان يدعى – تقريبا بالبرنامج الذري للدول الست ، ذلك انه يوجد امام الفنيين – في مختلف الاقطار المشاركة ، مجال واسع للاضطلاع بمسؤولية تحديد كثير من جوانب السياسة الذرية لمجموع هذه الاقطار ، وتوجيه هذه السياسة والاشراف على تطبيقها بكيفية مشتركة متناسقة ، لكن ضمن الحدود المحصورة ، التي تعنيها المعاهدة وبدون تطاول على مجموع الاحوال الصناعية والتقنية الخاصة الموجودة عند الدول المشاركة ، ولـ « الاوراتوم » دستور

او قانون اساسي ، يحدد ترتيبات العمل بمقتضاها وتطبيق المعطيات الفنية والمالية والادارية ، التي تقوم عليها المنظمة ، والمرافق التابعة لها وبحسب ما يوجبه هذا الدستور في احدى بنوده (البند 126) يتوجب تشكيل لجنة ذرية لها اختصاصات محددة ، وعلى ان يكون اعضاؤها منتسبين الى مختلف الاقطار الستة المشاركة بيد ان هذه اللجنة لا تقوم في الواقع بصفتها السلطة العليا في مجال العمل الذي تتولاه المنظمة بل ان هناك مجلسا تمثيليا للدول الست المنخرطة (ينص عليه الفصل 108 من القانون الاساسي) ويعهد اليه بمهمة الاشراف العام على سير « الاوراتوم » ومراقبة الاجهزة التنظيمية التي تتولى توجيه هذه الهيئة طبقا للخطة التعاونية المقصودة في الاصل وروح التناسق التي تتوخاها الدول المشاركة ، وعلى هذه الاجهزة والتنظيمات التي يقرها القانون الاساسي ، ان تعمل على اقرار نوع من الانسجام والتكامل في البرامج الذرية عند هذا القطر او الاخر من الاقطار الستة الاعضاء ، وتزويد المشروعات النووية في هذه الاقطار بما يمكن ان تحتاج اليه من تعزيزات مادية وخبرة فنية ، وبالاجمال الاشراف على برنامج ذري اوربي موحد يرتبط بفكرة التعاون والتكافل التي تسود مثل هذه المشاريع ويخضع في جملته للصبغة فوق القومية ، اي ان يكون تنفيذ هذا البرنامج خاضعا للاعتبارات والاهداف الدولية المشتركة ، وليس لصالح دولة فقط ، بصفتها القومية المخصوصة ، ويمكن تلخيص المهام التي تعود الى اختصاص « الاوراتوم » فيما يلي :

1) مراقبة المواد النووية عند الدول الاعضاء ، وعلى مستوى المنظمة كلها ، ويقتضي هذا الاشراف على مختلف الاوفاق التي يمكن ان تنجزها دولة او اخرى في الموضوع ، من الدول المشاركة ، فالاوفاق التي تتم مثلا بين دول الاوراتوم والولايات المتحدة حول ابتياع بعض المواد النووية او استيرادها على اي صفة من الصفات – هذه الاوفاق تتولى الاوراتوم – مبدئيا – الاشراف عليها ، والسهر على تطبيق المقتضيات المتعلقة بها ، لا لصالح الدولة المستوردة فقط ، بل لصالح مجموع المنظمة والسياسة التعاونية التي تلتزم بها ويلحق بهذا ما هو مخول للمنظمة ايضا من مراقبة الاوفاق التي قد تتم بين دولة واخرى من الدول الاعضاء والسهر على نجاح مثل هذه الاوفاق وتلافي ما قد يحدث فيها من مشاكل ومعرقلات .

2) « اورية » المراكز الذرية الموجودة هنا وهناك في مختلف انحاء اوربا الغربية ، او اوربا « الاوراتومية » على وجه التحديد ، ولا يقصد بهذه « الاورية » مجرد جعل هذه المراكز تنتسب الى اوربا ، فهي تنتسب الى اوربا بالفعل ولو خارج نطاق « الاوراتوم » باعتبار انها تابعة لدول اوربية كـ «هولاندا وبلجيكا والمانيا الغربية مثلا » ، ولكن المقصود بـ « الاوربة » هنا ، هو تجريد هذه المراكز من صلاحيتها المحلية الضيقة ، واستغلالها استغلالا يتفق الى جانب الاهداف القومية الخاصة – مع الاهداف الاوربية العامة ، التي تحدو دول « الاوراتوم » وتدعوها الى تطوير امكانياتها التقنية ، وتحقيق توسع طاقي وانتاجي يتجاوز بكثير الحدود الموجودة الان ، ومن بين المراكز النووية المهمة التي يعنيها مثل هذا الامر : مركز «ايسبرا » الايطالي وهو من اهم هذه المراكز ومركز « بيتن » الهولاندي ، ومركز « مول » البلجيكي ومراكز اخرى في المانيا الغربية وغيرها .

3) تطوير الابحاث الجارية على الصعيد المحلي ، واعطاؤها اطارا متناسقا يعين على الاستفادة منها لصالح الجميع ، وبشكل يمكن معه اجتناب المحاذير التي كانت تنشأ عن تعدد السياسات الذرية في اوربا ، واختلاف المستويات التقنية والعلمية التي كانت تجري فيها هذه الابحاث ، ولهذا فقد خولت « الاوراتوم » لنفسها حق مراقبة اوفاق البحث الذري التي يمكن ان تتم بين عضو وآخر من اعضاء المنظمة ، وذلك لكي تتمكن من فحص القيمة الفنية لهذه الاوفاق ، وتقدير مدى تلاؤمها مع مصلحة السياسة الذرية العامة للجامعة النووية الاوربية ، وفي نطاق العناية بتطوير الابحاث الذرية الجارية فان عملية تبادل التقنيين والخبراء تعتبر من بين الامور التي تاخذ بها المنظمة ، على الرغم مما يثيره ذلك احيانا من مشاكل الا ان القسط الاكبر من مهمة التطوير هذه ، تناط مبدئيا بما يدعى بالمركز المشترك للابحاث الذي يتولى هو مهمة مراقبة الاوفاق التي تبرم بين الدول الاعضاء – كما تقدم – وينتظر له ان يؤدي دورا اساسيا في توسيع مجال الابحاث الجارية ، ومحاولة اصطناع طرق جديدة ، ومكتشفات جديدة في عالم البحث الصناعي النووي ، والذي يبدو ممكنا – كما تدل عليه بعض التقارير – ان هذا المركز – المركز المشترك للابحاث – قد يشرف – في وقت من الاوقات – على تنفيذ مشاريع فضائية اوربية ، وذلك بما هو متهيئ له من اعدادات لاستغلال الطاقة النووية وما يتوفر فيه من خبراء لهم صلة او اخرى بهذا الموضوع ، هذا علاوة على ما لا يزال ينمو عند الغربيين من اهتمام بالارتياد الفضائي وطموح الى تكوين خطط خاصة بهم في هذا المضمار ، ومن المنتظر – على اي حال – ان يتوسع نطاق هذه الاتجاهات التعاونية الدولية ، اكثر فاكثر ، سواء داخل اوربا او غيرها ، وذلك بالنظر لتشعب الميادين التقنية والاحتياجات المالية الضخمة التي تتطلبها هذه الميادين ، وتضخم الافاق التي يمتد عليها الاكتشاف العلمي والانتاج الصناعي في عالم اليوم .

– يتبع –

رد الصدر على العجز

للأستاذ : محمد ابن تاويت

من عادتي في بحوثي – ان صح هذا – اني اسجلها خواطر لنفسي ، قبل ان اسجلها للناس ، وهذا هو السبب في اني اكتب في بعض الاحيان كثيرا ، وفي بعضها قليلا ، او لا اكتب بالمرة ، لاني لا اجد في هذه الحال ما اسجله لنفسي من خواطر او سوانح ، سماعا ما شئت ، على انها شيء يعجبني واطمئن اليه فاسجله لنفسي ، قبل ان اسجله للناس وانال عليه الاجر والثواب ...

ومن هذه الخواطر – كما قلنا – مسالة « العناصر القرآنية في قفانبك » فلقد كان هذا البحث والذي قبله والذي بعده ، مما نشر بهذه المجلة ، سوانح سنحت لي وانا ادرس في هذه السنة ، بفرع المدرسة العليا للاساتذة بتطوان .

نعم ، سجلت ذلك ، والقيته على الطلبة . وانا معتقده اعتقادي بالله ، وما كنت اتوقع انه سيثير حمية من الحميات ، وكذلك الاعتقاد المومن يجعل صاحبه يعد العقول عقله ، فيخلد الى راحة الاطمئنان ، وينسى ان الدنيا فيها عقول وافكار ، تختلف فيما بينها باختلافات شتى ، لا يحصيها الا باريء السماوات والارض .

قيل لي قبل ان اقرأ رد الاخ الحلوي : ان على بحثك تعقيبا ، فاخذني السرور او تظاهرت به ... وترقبت هذا التعقيب في العدد الاسبق ، فوجدته يبشر بمجيئه في العدد السابق ، وبمجرد صدوره طلبته لأقرأ ما يفيدني نفسي – قبل ان يفيد الناس كذلك – فلم اجد ما يفيدني ، الا كلمة طيبة ترنحت لها سرورا ، وقد تكرم بها علي اخونا الحلوي ، فشكرتها له في نفسي ومكنتها من قلبي الطروب ...

اما فيما عدا هذا ، فان تلك المقدمة التي لم يقصد الاستاذ ان يزيدني بها علما جميل اتناوءها لكني اخشى عليه عرة ابن شهيد ، وانفي عني منها اني نبشت قبر الانتحال او صرفت الناس « عما يمس الحياة في صميمها » ، معاذ الله ، بل ان قصة الانتحال ما تركتها تطل من نافذتي ، مرة اخرى ، كما انها ما احتجبت في غمرة التيارات ، ولكنها استقرت في الاعماق التي اطمأنت قلوبها ، فاستكنت الاقلام وانطبقت الشفاه على صمت ابدي : فهي لا تنبس ببنت واحدة من بنات الاعتراض ...

واستغرب من السيد ، اتيانه بتلك الاستفهامات العديدة ، فيما يستفيده رجال الانتحال . ولو رجع الى الاغاني ، وتناول منه ما يتصل بحماد وخلف ، لتذكر ما يستفيده هؤلاء الرجال ولرأي بعضهم يعترف بذلك ويتوب الى الله ، ولكن الناس قد آمنوا وذاقوا حلاوة الايمان ، فلم يصدقوا اولئك الذين اعترفوا بكذبهم في اعترافهم هذا ، وصدقهم في كذبهم ذاك ...

ولا شك ان السيد قد درس في القرويين ، التي لا ننسى فضلها ، دواعي الوضع عند الرجال من رجال الحديث حينما كان يدرس مصطلح الحديث فما باله يدعن اليها في المقدسات تلك ، ولا يذعن اليها في هذه الاشعار ، وقد اتسعت نطاقاتها فشملت الاموال الوفيرة ، والعصبيات العديدة ، والاهواء الناجمة؟ ويعيذنا الله من ان نقف موقف حماد او صاعد ، فنضطر الى الانتحال ، ونعيذ الناس من ان يكونوا بتلك الغفلة والسذاجة اللتين كان عليها آباؤهم الاولون فيصدقون قول من يقول مثلا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، افضل الاحزاب عند الله الحزب الفلاني ، كما صدق اولئك الاولون مائات من هذه الموضوعات ، ولم يدرك وضعها الا الجهابذة النقاد ، وهم قلة نادر ما يجود بها الزمان .

ويعجبني ان اصيخ الى ابن سلام وهو يقول : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم ، كسائر اصناف العلم والصناعات ، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الاذن . ومنها ما تثقفه اليد . ومنها ما يثقفه اللسان .

من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جهبذتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ، ومنه البصر بغريب النخل والبصر بانواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده ، مع تشابه لونه ومسه وذرعه ، حتى يضاف كل صنف الى بلده الذي خرج منه وكذلك بصر الرقيق، فتوصف الجارية فيقال ، ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والانف ، جيدة النهود ، ظريفة اللسان واردة الشعر ، فتكون في هذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتكون اخرى بالف دينار واكثر ، لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة ... الى ان يقول ابن سلام . ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء ، انه لندي الصوت والحلق ، طل الصوت ، طويل النفس مصيب اللحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة ينتهي اليها ، ولا علم يوقف عليه ، وان كثرة المدارسة لتعدي على العلم به ، فكذلك الشعر يعرفه اهل العلم به .

هذا وارجو للسيد الحلوي ان يعود الى مقدمة طبقات ابن سلام هذا ، فيقرأ ما قبل هذه الفقرات وما بعدها .

يردد السيد الحلوي قول لطفي جمعة وفريد وجدي والرافعي رحمهم الله - فيما كتبوه في ردهم : لست افهم لما ذا يجهد الانسان نفسه لينحل غيره شعرا ، عصر ذهنه في صياغته .

وانا استغرب منه هذا الاستغراب ، ولا استبعد ان يكون السيد الحلوي قد استهدف في يوم من الايام لهذه الضرورة ، وهو الذي يقرض القريض ، فهم كما هم يوسف ، ولكن الله عصمه فلم يفعل . اما انا فاعترف بما لم اعترف به من قبل ، وهو انه لما كنت طالبا بثانوي القرويين ، كانت لي زمرة من الزملاء « المستوري الحال » في الادراك والذكاء ، فكنت بينهم « غشيم الحجامة » اذا استعصى علي فهم فن ، دعوت احدهم لاقرائه ذلك الفن . وبهذه الوسيلة المجازفة كنت أخذ نفسي لأفهمها في تفهيم غيري ، كالعادة التي ذكرتها ، وما فهمت البلاغة والمنطق الا بهذه الوسيلة ، وكنت اجد منهم تقديرا لي واعظاما لشأني . وسالني احدهم وهم حضور عن مسالة لغوية لم يحضرني جوابها ، فادعيت لها تفسيرا ، عززته ببيت ادعيته ..

حصل هذا حقا مرة واحدة مني ، وارجو الا يقع مرة اخرى ، وقد تورطت فيما تورطت والنفس امارة لا تبرأ ، ويعز عليها ان تهزم ..

وهنا قد وجدنا انفسنا « نتبش » وربما يكون هذا « التبش » مما يهم اللاحقين ، ان كتب لنا ذكر عندهم . فهل قلنا شعرا ؟

اجل : قلنا في عدة مناسبات ، وبحثنا به الى العموم والخصوص : صدر العدد الاول من جريدة وطنية بتطوان ، فبعثت لصاحبها الاستاذ الطريس قصيدة امدح بها تطوان .

وعاد الاستاذ المكي الناصري من القاهرة ، وقد وفق في مهمته توفيقا مدهشا فحييته بقصيدة انشدتها في حفلة تكريمه بتطوان .
وبالجملة تناولت موضوعات تناولها الناس قبلي ، وكان شيطاني يسعفني في الهجاء كثيرا ...

وغادرت تطوان سنة 1938 ، قاصدا المعاهد المصرية ، وتركت عند اخي « ديواني » الصغير وديعة عنده . وفي سنة 1944 توفي والدي رحمه الله ، وانا بمصر ، فحزنت حزنا بالغا ، انطقني بنظم : توجعت نفسي فيه معري وقته ، فبادرت الى مجلة الرسالة ، ولكن الاستاذ الزيات لم ينشره ، كما لم ينشر سابقه الاستاذ الطريس ، فصمت عن النظم . ولما عدت الى تطوان سنة 1949 ، مزقت ديواني الذي استودعته اخي ، واحتفظت بالقصيدة « المعرية » وفي سنة 1952 اهديت الخليفة بتطوان نسخة من دلائل الاعجاز ارفقت بها قصيدة التقديم ، وفي نهاية سنة 1957 ، عدت من مؤتمر الادباء العرب الذي كان قد انعقد بالقاهرة ، وقد نظمت قصيدة على لقاء صديق لي عراقي ، ثم سلمتها الى رفيقي الاستاذ عبد القادر الصحراوي لينشرها على صفحات هذه المجلة، فتاخر نشرها . وزرته في مكتبه وطلبت منه اعادتها الي ، فاعادها . مظهرا انه على استعداد لنشرها ، ولكنه عقب على ذلك بقوله : يظهر ان الانسان حينما يزداد معلومات يفقد شاعريات . فكان هذا جميلا منه ، وهو الذي نال جائزة العرش الشعرية ، ثم ترك الشعر بعدها . ومنذ ذلك الحين طردت شيطاني الى الابد ورجمته ، ومزقت القصيدة المعرية واستغفرت الله ، كما مزقت القصيدة القاهرية . وعلى صدور العدد الخامس لهذه السنة من المجلة ابتسمت ، لما وجدت نفسي مذكورا ـ خطأ ـ بالشاعر . فلعل شيطاني الرجيم اراد غوايتي ولا اقول اراد غواية الناس بي اعاذني الله منه ...

لنعد الى الموضوع فنرى الاستاذ الحلوي ، يرى التضمين مبنيا على اساس انعدام الوحدة المطلوب في القصيدة . ولا نوافقه على ذلك ، فالوحدة التي نريدها ويريدها الناس هو هذا الكلام الذي يدرك الناس فيه سلسلة التداعي المعنوي المنظم وهو شيء لا بد منه في كل كلام يصدر عن عاقل ، لا في القصيدة وحدها . واما التضمين الذي يعاب فهو الارتباط الاعرابي فيتعلق البيت التالي بالذي قبله تعلق الخبر بالمبتدا مثلا ، لا الارتباط الذي تاخذ فيه المعاني باواصر بعضها .

وليس من (الشاوة) ـ سامح الله الكاتب ـ ان يستشهد للوقوف المتعدي في القرآن بوقوف شاعرنا . فربما لم يكن هذا غريبا على الحلوي الدارس ، بعد ما نضجت الفواكه وقدمت اليه في طابق شهي ، اما اولئك الذين سبقوه والغالب انهم لم يكونوا غرباء فكان هذا غريبا عليهم ، بل كان غريبا حتى على مثلي لو لم تسعفني « وقفوهم » . ومن قبل بسنتين فقط ، كنت والدكتور البهبيتي في موقف (غريب) حول الوقوف المتعدي ، وهو استاذ الادب العربي ليدع فيه والاستشهاد بشعر لبيدوعنترة على قصورها ، لايلزمنا ، لان المفعول اذا ما علم ، استغني عن ذكره ، فيتقلص الفعل في وظيفته حتى يعتقد انه هكذا خلق لازما . واصدقني ايها السيد ، لو سئلت عن هذين الفعلين : « اصغى واغضى » ، بم كنت تجيب ؟ ابا القصور ام بالتعدي ؟ . اما انا فكنت اقول بالقصور ، لو لم ينبهني عبد القاهر في دلائل الاعجاز ، وقد جعل هذا النوع من الحذف الجلي الذي لا صنعة فيه . وقد علقت عليه : في اعادة نشري للدلائل سنة 1952 بقولي (ومن ذلك كان اقام بالمكان ، اي خيمته وتزيد اضاع اليه اي سمعه ووقف اي دابته ويجري مجرى المفعول متعلقات الفعل القاصر من مثل نزل بالمكان ، اي عن دابته ، فالافعال في وظائفها . مثل ادواتها تضعف وتقصر اذا اهمل او قصر في استعمالها .

ولهذا افترض علماء وظائف الاعضاء في رجل الغد الممتاز (السوبرمن) قصور الذراعين ، لكثرة استغنائه عنهما بالادوات . . .

ويقال للاستاذ الفاضل ان كون زيادة الحروف تدفق بها كلام العرب فهي مستفيضة في اشعارهم شيء تقرر في رأسك انت وقد انتهت اليك القواعد بشواهدها في يسر ولطف . اما اولئك الذين كانوا يدونون النحو ، من قبل الف ومائتي سنة ، وكانوا عجما فرسا او موالي يلاحظون على هذه اللغة ما لم يلاحظه الخلص من العرب ، ويتلمسون لها الشواهد ، فان ذلك كان غريبا عسيرا عليهم ، ولا شك انهم سالوا مثل حمادا الرواية ، ولا شك انهم اجيبوا بمثل ما اجاب به حماد هذا في عمل فعل (صفة مشبهة) عمل الفعل بل اننا نجد بعد هؤلاء بخمس مائة سنة ، نحاتنا يضطرون الى التنبيه على هذه الزيادة ، كما فعل ابن مالك ، ثم استمروا يفعلون الى يومنا هذا . فلو كان ذلك مستفيضا غير محتاج الى تنبيه فاستدلال لذهبت القضية في صمت وسلام ، ولما استعرضنا في خطف او خطوف كلام المهلهل ولا عنترة ولا غيرهما ، ولا كنا قد ادعينا (التحرر) من الزيادة : كان (الزيادة) اصل وغيرها فرع ، ولما قلنا بالزيادة المطلقة مع ان فيها ما فيها .

ولا غرابة في ان يؤسس للغة العرب غيرهم قواعدها ، فهذا التاسيس يقوم على الاستقراء والملاحظة ، ومن عادة الانسان الا يلاحظ الا الغريب عنه . ولهذا الف في العربية الخليل وسيبويه ، وكان تاليف ابي الاسود وعلى تحوم حوله الشبه ، والف بعدهما بست مائة سنة ابو حيان الاندلسي ، اول نحو للغة الاتراك ، كما الف للاحباش وغيرهم . وفي عصرنا يؤلف الاجانب للغتنا العامية والبربرية نحوها . ونحن اهلها عاجزون عن هذا التاليف ، لانها لغتنا ، فلا نستطيع ان نستخلص منها قواعد نحوية وصرفية وغيرها ، فالانسان لا يلاحظ مالوفه ، كما قلنا . . وحكاية الضرب او الاعراب وموقفهم من النحاة والعروضيين معروفة مستفيضة . . .

وفي مثل (ويوم نحشرهم ، ويوم نسير) يقال للاستاذ ما قيل له قبل ، والا لما احتاج المفسرون الى تقدير (واذكر) ولسنا اليوم في حاجة حقا الى التنبيه على ان العرب (حذفوا المبتدا والخبر والصلة والموصول والصفة والموصوف والفعل والمفعول) فهذا ما يعلمه تلاميذنا ، وهم في سنواتهم الاولى من ثانوية القرويين . ومن قبل كانوا على علم « بزججن الحواجب والعيون ، وعلفتها تبنا وماء باردا ، كما ان هناك فرقا بين هذه والتي ذكر بعدها ، وبين التي ذكرنا في « يومياتنا » ، ولعل الاستاذ على ذكر لابن مضاء في رده على النحاة ، ولعبد القاهر في كتابه دلائل الاعجاز .

ولست ادري محل هذا البيت :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

مما يريد فيه الهدم والبناء ، فهو يفهم من « لم تخلل » (انها تعذرت عليه وحلفت حلف من يصمم على ترك (كذا) ما حلف عليه ، فلا ينقض ما ابرمه بيمينه ، ولا يحل ما عقده بها) ثم يقول (ويمكن ان يستانس لهذا بقول النابغة)

اننا مع حيرتنا نرفض بيت النابغة ونقول انه بيت اسلامي ايضا ، ثم نذكر الاستاذ بالقويعدات التي قرأها في الثانوي وقد تضمنتها منظومة :

(الاخضري عابد الرحمن

المرتجي من ربه المنان)

حتى لا يقع مرة اخرى في دور او تسلسل . . .

وفي مناقشة للابيات :

افاطم مهلا بعض هذا التدلل

وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي

وان كنت قد ساءتك مني خليقة

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

اغـــراك منـــــي ان حبـــك قاتلـــــي
واتـــك مهمـــــا تامــري القلـــب يفعـــل

لا تزيد على ان تضع امام هذه الابيات قوله تعالـى . واهجرهم هجرا جميلا ، وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا . فهذا يقابل البيت الاول ، وقد فاتنا فيما كتبنا على ان ننبه على ان (مهلا بعض هذا التدلل) ولدتها (ومهلهم قليلا) كما قلنا ان (وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي) حملت بها (واهجرهم هجرا جميلا) . وكل ما فى الامر ان المتحـــل قدم المتاخر واخر المتقدم للتمويه ، كما يفعل اولئك المموهون فى الفنون عامة ، ومنهـــا الادب ، افيكـــون هـــذا من الصدف المجردة ؟ كما يكون صدفة مجردة ان يرد البيت الثاني حاملا لهذه الثياب التي وردت فى السورة التالية للاولى « وثيابـــك فطهر » وادعى بها النفس او القلب .

ونستغرب من السيد الحلوي ان يذكر اننا تمحلنـــا فى تفسير الثياب بالنفس ، مع اننا ما تمحلنا : بل رددنا على من قال بذلك فى (وثيابك فطهر) ، ولم نر هذا الرد لاحــد ، كما اننا لم نقل ان المنتحل فعـــل ما فعـــل فى هذه الابيـــات (لا لشيء سوى انه وقع تحت تاثير التلاوة فاندفـــع ليكتـــب لا ليؤيد رأيا يراه فى لغة او نحو ولا لغرض مـــن الاغراض التي يمكن ان ينتحل من اجلها شعر) بل انه اراد ان يلقـــي ضوءا — كما يقال — على معنى الهجر الجميل ، الذي يغمض على بعضنا فهمه بهذا الاجمال فى الصرم والقاطعة وما ذلـــك الاستملاح الا من هذا الاستعمال القرآني ، ويباينون ما بين هذا وبين (ان يسال الانسان من معذبـــه ان يكون بـــه رحيمـــــا فيخفف عنه قليـــلا من العـــذاب) ولو لم يكن السيد الحلـــوي يقرض القريض وهو لا شك يتذوق الاساليب البيانية ، لقلت ان الرجل لا ينظر الا الى المعاني المجردة فى اية حلة اتـــت بها ، وانه لا يلقي بالا لتلك التعبيرات الادبيـــة الانيقـــة فى سبكها والتحليـــة بتلـــك الحلل التي تضفي عليها جمالا ، واي جمال : حتى قال الجاحظ ومن تبعه من البيانيين ، ان المعاني مطروحة فى الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير او كما قال فى كتابـــه الحيـــــــوان :

مثل من يقول هذا مثل من ينظر الى تمثال جميل لفتاة على وضع من الاوضاع الجميلة كذلك ، فلا يزيد على ان يقول: هذا تمثال امرأة .. ومن اللطيف انه اضطر الى الاستشهـــاد بالقرآن على كون الثياب ثيابا معروفة فى لغتنا فاتى بالآية : « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وهذا يقربه من المشكلـــة والغالب على السيد الحلوي انه يستشهد بعنترة ، لكنه هنا ترك الاستشهاد بقوله :

فشككـــت بالرمـــح الاصـــم ثيابـــه
ليـــس الكريـــم على القنـــا بمحـــرم

والسبب ظاهر لان هذا ايضا يريد بالثياب القلب ، كما قيل ، لا انه على غير ذكر لشعره ...

وهنا نساله الا يشعر بشيء فى « سلي ثيابي تنسل » من النسول بمعنى سقوط الريش والوبر والصوف والشعر ، او من الانسلال بمعنى التسلي ، مع انه كان الواجب ان تشدد اللام من الانسلال المطاوع لتسلي . فهل يبيح شاعرنا لنفسه او لغيـــره من المعاصرين ما اباحه فى هذا البيت ؟ كـــلا ، ولـــو بلغـــت الضرورة مبلغها ...

وسكت السيد عن البيت الثالث ونضع امامه ما ورد بعد هذه الســورة فى الانفطار : « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم » وقد قلنا فى ذلك ما قلنا . افتكون هـــذه المسايـــرة للترتيب المصحفي صدفة من مجرد الصدف ، ام ان هناك شيئـــا وراء هذا ؟

واني لأتصور السيد يقـــول : لم تكـــس المنتحـــل فى الصورة التي اشرنا اليها ، ولم ينكس فى مسايـــرة ترتيـــب الســـــور ؟

ونجيب عن هذا بان ذلك مهم فى القضية ، وهـــذا ليس بمهـــــم .

كما نذكر له ان المفسرين والنحاة ، لم يضعوا هم هذه الاشعار للاستدلال ، بل سالوا فوضعت لهم ، وقضية البيت :

حـــذر امـــورا لا تضيـــر وآمـــــن
مـــن ليـــس منجيـــــه مـــن الاقـــدار

مثال من هذا . وفى مقدمة طبقات فحول الشعراء تجـــد هذا الكلام لابن سلام :

وكان ممن افسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه ، محمد بن اسحاق بن يسار ، مولى آل مخرمة بن المطلـــب بن عبـــد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير ، قال الزهري لا يزال فى الناس علم ما بقى مولى آل مخرمـــة . وكان اكثـــر علمـــه بالمغازي والسير وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الاشعار ، وكان يعتذر منها ويقول ، لا علم لي بالشعـــر ، اوتى به فاحملـــه ، ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب فى السير اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، واشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ...

وفيما كتبنا حول « مثل » فى قوله : فمثلك حبلـــي ، يقول : لعل (كذا) الواضع كان فى غنـــى عن تكلـــف هـــذا الشعر وكلام العرب طافح باستعمالها (مثـــل) فى الحاليـــن (حالتي الاصالة والزيادة) وذكرنا بطرفة والخنساء وعنترة .

فنقول له ان مثل هذا لو صح لا يكون شاهدا على الطفوح، ولو كان طافحا لما نبه عليه جهابذة النحاة ، من مثل الجرجاني وغيره فوقفتهم تلك للتنبيه ، ما كانت الا وقفة من ينبه على الخطر الكامن حتى لا يقع فيه الواقع ،

ثم نسال الاستاذ عن مهمة « محول » في البيت ؟ لا شك ان المنتحل اضطر اليها ، وهو غير امرىء القيس الشاعر بالفطرة كما قيل .

وهذا البيت البيت الذي ورد بعيده :

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وتحتي شقها لم يحول

ايجد فيه الاستاذ تلاؤما بين « خلفها » وبين « تحتي » ام انه يشعر بشيء لم يحكم فيه تصويره وقد افتعل افتعالا وادعى لصاحبه ادعاء : كيف يستطيع ان يتمثل هذه الصورة ؟ اما انا فاراها صورة مشوهة ، ولا استطيع تمثلها الا كذلك في تشويهها ...

وفي صرة امريء القيس يتكرم علي الاستاذ باني على علم ليست صرة امرأة ابراهيم ، فان هذه بمعنى صيحة مثل الزوزني وابن منظور والجوهري الذين اجازوا فيها ذلك والشيخ مرتضي الذي جعلها الشدة من الكرب لا الجماعة التي لم يذكرها لا الزمخشري في اساسه ولا الفيومي في مصابحه وتلك بمعنى جماعة . وبهذا يجهل من قال بانها عي ولا ادري لماذا يحجر علينا ما لم يحجره الناس قبلنا . ولو كنا ممن رضي من الثقافة (بحسني او بدرهم ونص) لادعنا لتعاليم الاستاذ ولكننا ما رضينا هذا وتطلب منه ان يعود الى الشراح واصحاب المعاجيم ليراهم لا يبخلون عليه بهذه الصيحة من الصرير ، فلا يبخل بها على الناس .

وختم الرد بكلام غليظ : بعد ما عرض لما قلناه في « يضيء سناه » « وليل كموج البحر » « وبات يعني قائما غير مرسل » بالتسفيه ، وجعلني متصيدا او مترصدا ، وقلب ظهر المجن كما يقال ، ونحن الذين سبقوا فاحتاطوا لهذا القلب وتدرعوا له بالادب والذوق ، لا بالافتراض المجرد الذي قال به اغبياء المستشرقين كما سبق ان اشرنا الى ذلك فيما كتبنا ...

ولسنا في حاجة لضرب الامثال بنابليون ولا بالسيرليون والحقائق لم تكن في يوم من الايام مسخرة للانسان حتى تخشى التاريخ كما خشيه السي نابليون : بل الحقائق كانت ويجب ان تبقى مخدومة للانسان الكامل ، ولاجلها عاش الفكر الانساني ونما نموه الذي ورقت ظلاله على الانسانية فردت لها بعض الجميل احيانا ، وتعملقت عليها كشجرة الزقوم احيانا اخرى فعصرتها باغصانها ، ولا خطر اري من قضية الانتحال والدين وقرآنه وعلومه في امن وبخير وسلام ولله الحمد ...

ولولا ورود هذا الرد من الاخ الحلوي ، الذي ابادله الود والتقدير لما كلفت نفسي هذا العناء وله التحية عليه السلام ورحمة الله .



دِيوان المجلة



شِدّة النفس العربيّة

تُفَنِّدُني فيما ترى من شَراسَتي
وشِدَّةِ نَفْسي أُمُّ سَعْدٍ، وَما تَدْري ١

فَقُلْتُ لها: إِنَّ الكَريمَ وإنْ حَلا
لَيُلْفَى عَلى حالٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ ٢

وَفي اللّينِ ضَعْفٌ، وَالشَّراسَةُ هَيْبَةٌ،
وَمَنْ لَمْ يُهَبْ يُحْمَلْ عَلى مَرْكَبٍ وَعْرِ ٣

وَما بِي عَلى مَنْ لانَ لي مِنْ فَظاظَةٍ
ولكِنَّني فَظٌّ أَبِيٌّ عَلى القَسْرِ ٤

أُقيمُ صَغَا ذي المَيْلِ حَتّى أَرُدَّهُ
وأَخْطِمُهُ، حَتّى يَعُودَ إِلى القَدْرِ ٥

فَإِنْ تَعْذِلِيني تَعْذِلي بي مُرَزَّأً
كَريمَ نَثَا الإِعْسارِ مُشْتَرَكَ اليُسْرِ ٦

إِذا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السُّرَيْجِيِّ ذِي الأَثْرِ ٧

سعد بن ناشب

الشـــرح :

1) لسعد بن ناشب : (تفندنـي) تجهلني تضعف رايي . (2) يلفى : يوجد : ان الرجل الحليـم وان لان عطفه ، وسهل خلقه ـ ليوجد فى وقت الغلظة ، وعند حال القسوة امر من الصبر ، وهو بكسر الباء ، سكنها للضرورة . (3) ان من استلين جانبـه فى كـل حـال استضعف ، واهتضم ، ومن استخشن جانبه وخلقه هيب وتحومي . (4) القسر : قسره على الامر : اكرهه عليه اجبره ، والمعنى : ليست فظاظتي على من لان لي، ولكنها على من يحاول ارغامي وقهري. (5) صغا : ميل، عوج ، اخطمه : ارغمه حتى يعود الى الحق ، ويعـرف قدره . (6) ان تعذليني : ان تلوميني . المرزا : الكريم . النثا : الخبر ـ يقول : ان تلوميني على انفـاق المـال تلومي جوادا سخيا اذ افتقر لم يظهر فقره ، وكرمت اخباره فيه ، واذا نالـه اليسر شرك الناس فيـه . (7) صمم على الامر : مضى على رايه فيه . السريجي، السيف ، السيوف السريجية نسبة الى قين ـ حداد ـ معروف ـ . الاثـر : فرنـد السيف ، اي جوهـره ووشيـه ـ .

الغصن الباكي

للشاعر : محمد حسن طريبق

تمثل القصيدة غصنا ناميا احس بحطاب يوشك ان يقطعه بفاسه ، فاخذ يعاتبه ويقول :

الا ايها القاسي ، رويدك انني
بربك دعني لا اموت ، فما انا
تظل علي الطير تشدو قريرة
ويغفو الندى فيها ، فتبدو كأنها
ترف الفراشات الجميلة حولها
واعطيك من نفسي الثمار شهية
وابعث طيبا منه قلبك ينتشي
ويستلهم الرسام مني رسومه
اتقطعني كي يصبح الغصن فحمة
وتبقى بلا ظل ، بلا فنن ، بلا
فمن يجلب الامطار ، من يحفظ الثرى
اتقطع املودا بظلك عندما
يفجر نبع الحب حسن وروده
يسربل احلام العذارى عبيره
فيمسي كأهل الحب تبهره رؤى الـ
ـيزوده بالحسن فى كل لمحة
تشل بتلك الفاس شهقته .. فمن
لن تترك الدنيا .. أللغم والاسى ؟
لمن تترك الدنيا ، لمن تترك الالى
ستهرب مني الطير مذعورة الى
ولن تلتقي عصفورة بأليفها
تسائل عن عصفورها كل ربوة
تظل به تحيا بلا امل ، بلا
بربك دعني لا اموت فما انا
أموت بفأس زندها قد من صدري
سوى فنن ما زال فى ميعة بكر
وتلثم ازهاري المضمخة العطر
غلالة بدر الليل ، او طلعة الفجر
فتغدو كوجه باسم الثغر مفتر
وازجي عليك الظل فى لاهب الحر
كما تنتشي الازهار بالطل اذ يسري
ويذكرني الفنان فى جيد الشعر
ويرجع عودي الرطب بعضا من الجمر ؟
عبير ، بلا شدو الهزار ، بلا سحر ؟
ومن يرسل الانسام مخضلة غيري ؟
تموت ، ويمسي مهجة لك فى القبر
ويبحث عن مجرى يظل به يجري
ينمي الهوى فى قلب من كان كالصخر
ـطبيعة او يسبيه سوسنها المغري
وتسحره انداء اوراقه الخضر
ينقي الفضاء الرحب لولا شذا الزهر
الليل ، والاهوال ، والغدر ، والمكر ؟
تتيمهم فى الفجر اغرودة الطير ؟
سواي اذا حطمتني يا اخا الشر
علي اذا اشتاقت وعادت الى الوكر
وتهفو الى لقياه فى المهمة القفر
اليف ، وتقضي العمر فيه بلا عمر
سوى فنن ما زال فى ميعة بكر !

حسن محمد الطريبق

دعاء

للشاعر علال الهاشمي الفيلالي

لجلال الله طهر الصلوات
ان حبانا خير دين في الحياة

بالهدى والحق ـ يارب ـ أتى
فجرك الساطع يجلو الظلمات

يا رسول الله انت المرتجى
لقد ... حبك أزكى الحسنات

مالنا غيرك ... ان تشفع لنا
يغفر الله ، ويعلي الدرجات

يوم اوحى الله اقرأ باسمه
فاحت الدنيا بعطر الامنيات

مهرجان تاهت الارض به
والسماوات استحالت اغنيات

نزل القرآن نورا ساطعا
يسع الاعصر ... يهدي الكائنات

مكرمات الحج ضمت شملنا
وخشوع الروح في عرفات

علال الهاشمي الفيلالي

فلسطين

للشاعر: محمد أحمد حيدر

على ذراك اكاليل من النور　　　اين المنى منك يا ريحانة الطور
جبالك الخضر اسفار معلقة　　　تزري على كل مخطوط ومسطور
خط الكليم بها سطرا فوائده　　　قضت على كل منظوم ومنثور
وللمسيح تعاليم منثورة　　　ابداعها فوق تحصيلي وتعبيري
لولا قداسة بيت للذي بمنى　　　وتربة لنبي الحق والنور
وعرف وحي بيت الله منتشر　　　ينبوعه مستمر غير متبور
لكنت اقدس ارض الله قاطبة　　　سيان معمورها او غير معمور

* * *

ترى فلسطين ان قصرت فى مدحي　　　حبي يكفر اخفاقي وتقصيري
ان لم يكن افقي فى المدح مزدهرا　　　ولم يصب هدفا شعري وتصويري
حسبي من القول قول فيه عاطفتي　　　تبدو الى كل ذي لب وتفكيري

* * *

ارض الاحبة من عدنان لاتهني　　　غدا لابنائه هول الاعاصير
عاشت بتربك اسرائيل من زمن　　　تمتاح اعمالها من وحي شرير
اقامها الغرب في اوطاننا فمضت　　　تطوف من دار مغرور لمغرور
ما ابعد النور عن احلامها ولئن　　　اثارها منذ عهد وعد (بلفور)
ماجورة لم تكن اولى مبادئها　　　الا تعاليم ماجور لماجور
طيف الم على اهدابها ولنا　　　صبح ينفر اطياف الدياجير
يا خيبة لعصابات مشردة　　　احلامها دون احلام العصافير

* * *

غدا تغير بقوات مدربة　　　على القتال من العرب المغاوير
غدا تغير (بدباباتنا) زمرا　　　يفت صخر الثرى ضغط الجنازير
غدا ستخطب بالفصحى (مدافعنا)　　　الفاظها ذات تخريب وتدمير
غدا (وللطيران) الجو يملكه　　　ما اقرب الموت من زغب الشحارير
غدا تكفر اخطاء لنا سلفت　　　تطوف من جو تحرير لتحرير
غدا ستخفق فوق القدس رايتنا　　　مرفوعة فوق هام الجماهير
غدا تموج بارض القدس اغنية　　　تفقو الروابي على لحن المزامير
والحقل يضحك والبستان مزدهر　　　والروض نشوان من عرف الازاهير
النصر منا قريب صبحه ولنا　　　غد الاماني الانيقات المعاطير

محمد احد حيدر
جبلة ـ سورية

بطولات خالدة

للشاعر: محمد غربي

ما ذا اقول لملك فى العلا ائتلقا ... اقول حررنا ام هو قد خلقا ؟
كل الملوك بما قد سيطروا ملكوا ... الا محررنا فهو الذي عتقا
الشعب ينعم والسلطان يحرسه ... يقظان يقضي الليالي جاهدا ارقا
هذا هو الحسن الثاني وقد غمرت ... كالشمس انواره الآمال والافقا
اهاب بالشعب ان هبوا لفجركم ... فكان اسرع من سهم اذا مرقا
شعب ابا الضيم واستمرا ابادته ... لو كان هذا الهوى ضيما لما تشقا
ظمآن لم يعشق الدنيا لبهرجة ... لولا تعشقه العلياء ما عشقا
تجري العروبة في شريانه نغما ... يروي نشيد حضارات بها سبقا
فالويل للخائنين اليوم ان وجدوا ... والويل للمستعمر الغدار ان نطقا

مولاي شعبك مفتن بطاعتكم ... وغير حبك يا مولاي ما اعتنقا
لو قلت يا شعب لا تشرب لمات ظما ... او قلت ياشعب مت فى النار لاحترقا
مهما طلبت ولو روحا ولو رمقا ... الا وكان جواب الامر منطلقا
فراية النصر فى الاصقاع قد خفقت ... مذ قلب شعبك فى الاضلاع قد خفقا

ايه ابن يوسف قد وحدتنا وطنا ... واذ رحلت فقد مزقتنا خرقا
لو لم تخلف ذكيا عاقلا فطنا ... يوم ارتحلت لعشنا بعدكم حمقا
تلك الملاحم ما كان اروعها ... لم تبرح الدهر في اذهاننا نسقا
لما توعد الاستعمار قلت له ... قد حصحص الحق هذا شعبي انعتقا
دعه فلست براد سيله ابدا ... دعه فلولا حريق النار ما اندفقا
دعه فلن تجدي القوى لتقمعه ... ولست مثنيه صبرا ولا قلقا
والله ما عمل يرجى لمنفعة ... ما ثم يكن خلقا ما لم يكن خلقا
اليوم يفرح شعبي بالمنى فرحا ... هذا هو النور في الآفاق قد برقا
هذا هو الفجر لا تهزا بطلعته ... وزد وقودا يزد في صبحه القا

وبعد يومك هذا لن ترى ابدا ... هذي الشعوب التي ضحت اذى وشقا
ولن تقوم لغزو الآمنين فقد ... دخلت غارا شديد العمق فانطبقا

وكنت يا ملكي المرحوم غصته ... وكلما زاد غيا زدته رهقا
فخاب في سعيه مذ قام يمقتكم ... وكان مثل غراب اسود نعقا
وكنت انت وقد أرديت يا بطل ... ذاك العدو ، حماما ابيضا يققا
هدمت ما كان يبني من جماجمنا ... ولم تضع معولا الا وقد سحقا
لما رآك شهابا ثاقبا نزلت ... بقلبه رجفة فانهد او صعقا
لو لم يمت بلسان النار مندلعا ... في جسمه لقضى من خبثه حنقا

قالت فرنسا فقال الكذب : قدكذبت ... وقلت انت فقال الصدق : قد صدقا
كانت تظن جنونا ان جنتنا ... وارضها من قديم كانتا رتقا
والله ما صدقت الا كما سمعت ... في الجو راعدة ثم اختفت برقا

قالوا يريدون ان ترقى فلاحتنا ... انى ؟ ولم يكن الفلاح غير لقى
فلا ينال سوى وهم يعيش به ... بل ليتهم تركوا ما كان قد رزقا
قالوا يريدون ان يشتد عاملنا ... انى له وهو فى الاوحال قد غرقا؟
نهاره كله كد ومسغبة ... والليل يقطعه بالهم محترقا
ما كان فى معمل كالناس محترما ... ما كان الا غريبا فيه مرتزقا
وكم تعذب فى « بستيلهم » رجل ... وكم تصبب وجه شاحب عرقا
وكم فقير قضى لم يقض حاجته ... وكم رعى ارضه فلاحنا وسقى
فدب في ارضه كالدود منتشرا ... مستعمر لا يعي الا اذا حرقا!
فاليوم ينهل من ثر العلوم فتى ... لم يلق فيما مضى كتبا ولا ورقا
واليوم يزرع فلاح اراضيه ... ويحصد الخير من غلاته غدقا
ويعمل العامل المنهوك منشرحا ... ولا يخاف اذا ما العجز قد لحقا
فان فى الحسن الثاني لضامنه ... وان فى الحسن الثاني لمرتزقا

دم يا مليكا كما دامت محبتنا ... وشق للشعب في تاريخه طرقا
وعاش زهر العلا افراد اسرتكم ... وتجلكم ذلك الفجر الذي انبثقا
محمد يا ولي العهد يا املا ... كباقة نشرها فى العرش قد عبقا
دم للبلاد وللعلياء ظلهما ... وعش كآبائك الاقمار مؤتلقا

الرباط ـ غربي محمد

معرض الكتب

المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى

تأليف : الدكتور صلاح الدين المنجد
تعليق : الأستاذ عبد القادر زمامة

عرف الباحثون في الشرق والغرب الدكتور صلاح الدين المنجد باحثا لامعا في تراث المخطوطات الاسلامية التي عمل على تصويرها واحياء بعضها بالنشر منذ ان تولى عمله في الادارة الثقافية للجامعة العربية .. كما عرفه الباحثون في الشرق والغرب . يجوب الاقطار بحثا وتنقيبا عن نوادر المخطوطات ونفائس الكتب التي الفها الاجداد .. يحاضر ويناقش . ويكتب الابحاث في المجلات العلمية الراقية .. فهو ليس غريبا عن الاندلس والمغرب وتاريخها وحضارتها ..

وقد زار المغرب وحاضر في المعاهد والاندية وربط صلات متينة مع كثير من الباحثين المغاربة وتبادل معهم الراي في كثير من الموضوعات التي تهم بالكتابة والبحث حولها .

والدكتور المنجد شامي دمشقي فهو لذلك مغرم بسورية ودمشق بنوع اخص .. ولا ننسى ان موضوع محاضرته التي القاها بفاس كان يدور حول مدينة دمشق في اقلام الرحالين المغاربة والاندلسيين الذين زاروها في مختلف العصور وكتبوا عنها في مؤلفاتهم ورحلاتهم صفات طويلة .. يصفون عمرانها ومساجدها وآثارها ومجالس العلم والادب بها ..

واليوم يخرج لنا الدكتور المنجد في كتابه الجديد عن المشرق في نظر المغاربة والاندلسيين في العصور الوسطى .. ولاشك ان نواة الكتاب هي محاضرته في فاس عن دمشق . ثم اضاف اليها اشياء اخرى عن مصر والعراق واخرج كتابه هذا الذي نتحدث عنه اليوم هذا الحديث .

فماذا في هذا الكتاب .. ؟

انه مجموعة جغرافية وتاريخية اقتطفها المؤلف من رحلات المغاربة والاندلسيين الذين رحلوا الى الشرق لاداء فريضة الحج وطلب العلم والاتصال بشيوخ المعرفة في كل من دمشق والقاهرة والاسكندرية وبغداد .. وهؤلاء الرحالون منهم :

- ابن العربي المعافري .
- والادريسي
- وابن جبير
- وابن رشيد
- وابن بطوطة
- والمقري
- والعبدري
- والعياشي
- وابن سعيد .

ورحلات هؤلاء جليا ما زال في عالم المخطوطات لم تر النور بعد في مطبعة من المطابع .. ولذلك عمد المؤلف الى تلخيصها ودراستهاونشر مقتطفات منها.. تعطينا وجهة نظر هؤلاء الرحالين في عوائد اهل المشرق واخلاقهم ونظامهم وحضارتهم وثقافتهم ..

وعنصر الاهمية في هذه المقتطفات هو انها تصور الحياة الشرقية في تلك العصور اصدق تصوير وتعطينا معلومات دقيقة بقلم شاهد عيان ، لم يتنبه لها المؤرخون الذين يسجلون الحوادث البارزة في الدول والحكومات . غير مهتمين بالحياة الاجتماعية اليومية ودولابها المتحرك بشتى العادات والتقاليد والاتجاهات ...

وقد كان الرحالون المغاربة والاندلسيون يزورون المشرق ولا ينفكون يبحثون عن كل ما جد فيه من شر وخير . وفن وفكر .. وهم لذلك يطيلون المقام فيه الشهور والاعوام ويلابسون الحياة فيه ملابسة تطلعهم على خبايا الزوايا وخفايا الاسرار والاحداث

فمنهم من كان عفيف القلم واللسان يدون مشاهدته اليومية ويتغاضى عن العورات والزلات والمعايب .. لانها ضرورة اجتماعية لم يخل منها زمان ولا مكان ..

ومنهم من كان صارما شديدا لا يرى شيئا الا سجله كان شرا او خيرا بل ان منهم من كان يبحث المعايب والنقائص ليسجلها كما فعل الرحالة العبدري الحاحي .. الذي خرج من حاحة قرب مدينة الصويرة سنة 688 ه ورحل الى الشرق وكتب رحلة ممتعة جامعة ولم يترك فيها شيئا من الصراحة والنقد بل الشتم احيانا ..!

ونحن مع المؤلف لا نتحمل وزر ذلك وانما نسجل بامانة ما كتبه اولئك الرحالون في تلك العصور الغابرة .. من غير ان نحيد عن خطة البحث النزيه ..!

ومنهم من كان مغرما بالعلم والعلماء والاخبار والآثار فجمع في رحلته كل ما استطاع ان يجمعه من الفوائد والمعلومات . كما فعل الرحالة ابن بطوطة المغربي . وابن جبير الاندلسي ..
كانت لهؤلاء الرحالين الذين عبروا المفازات والاقطار

وان الباحث ليحار في تقدير هذه العزائم التي كانت لهؤلاء الرحالين الذين عبروا المفازات والاقطار البعيدة من اجل الاخذ عن استاذ . او البحث عن شيخ .. او تسجيل معلومات واخبار .. في عصر كانت فيه وسائل المواصلات شاقة ومضنية ..

والغريب اننا نجد منهم من لم يقنع بالرحلة الواحدة الى المشرق بل اتبعها في رحلات اخرى مستسهلا كل صعب في سبيل تحقيق هدفه في الاطلاع والمعرفة واقتباس الاخبار والآثار .. !

بعد هذا العرض نرجع الى مؤلف الكتاب ومجهوده في جمعه وترتيبه .

والحقيقة ان المؤلف لم يكتف بالاقتطاف والاختيار ولكنه عمد الى التعليق والتحليل احيانا بعلمه حول الموضوعات التي اثارها هؤلاء الرحالون .. كما فعل مع العبدري حينما راى صراحته وتسجيله للمعايب والقبائح التي شاهدها ..

كما انه اعطانا صورا ان لم تكن وافية فهي مقتضبة عن تراجم هؤلاء الرحالين وما امتازوا به من دقة في الملاحظة وذكاء واطلاع ..

ولا ننس ان نواة الكتاب كانت محاضرة القيت في مدينة فاس فلهذا اتخذ الكتاب طابع المحاضرة لا طابع البحث .. واصبحت قراءته ممتعة لذيذة يجتني منها القارىء ولا سيما اذا كان من عشاق الادب المغربي والاندلسي اطيب الثمرات واحسن الفوائد .

ولا نودع هذا الكتاب دون ان نوجه نقدا الى المؤلف من ناحيتين :

ناحية شكلية : وهي انه اقتصر في كتابه على ما دونه الرحالون عن العواصم الثلاث : القاهرة – ودمشق – وبغداد .. مع ان كلمة المشرق التي في عنوان الكتاب تشمل مدنا اخرى ..

ناحية موضوعية – وهي انه اقتصر على بعض الرحالين الذين زاروا المشرق العربي في العصور الوسطى .. ولعل ذلك يرجع الى ان الكتاب في صورته الجديدة ليس الا محاضرة كتبت لتلقى في زمن محدد .. ثم طبعت على انها كتاب !!

وايا كان فالكتاب ممتع ومفيد .



اصداء الثقافة والفكر

اعداد : الأستاذ محمد برادة

معركـة حـول مفهـوم الصحافـة

اعتبارا للدور الخطير الذي تلعبه الصحافة اليوم ، من توجيه ، وتأثير على الـراي العام ، وتزييـف للحقائق ـ احيانا ـ فان الاسئلة ما تفتأ تطرح حـول رسالة « صاحبة الجلالة » ، ومسؤوليتها السياسيـة والاخلاقية ، وسط ركام الاجهزة التثقيفية والاخبارية المتولدة عن تقدم الاختراعات التقنية .

وفي نهاية سبتمبر المنصرم ، اثير الجدال في فرنسا حول رسالة الصحافة بمناسبة الشكل الجديد الذي اختارته صحيفة « الاكسبريس L'Express » وهو شكل مقتبس عن الصحافة الامريكية الاسبوعية ، ذات الغلاف الانيق ، والصور الملونة الجذابة . وفي المقـال الذي كتبه « جان جاك سيرفـان شريبر » مديـر الاكسبريس بتاريخ 20 سبتمبر ، حاول ان يحـدد الاسباب التي جعلته يتحـول من شكل الصحيفـة الاسبوعية الجامعة ، الى صحيفة جادة تهتم بمجموع احداث الساعة في العالم (100 صفحة) وتعطي تعليقات عميقة عن التطورات التـي تجري في كل المجـالات ، خصوصا في مجالي : التكنيك والعلم . يقول « شريبر »

« .. ان هذا العصر قد اكتسى طابعا مغايـرا للعصور السالفة . انه عصر النسبي . وعلينا نحن ان نتعلم كيف نرتاح لهذا الطابع ، وكيف نعيش بكليتنا في النسبي ، لا في سويداء المطلق ! »

ورد عليه جان كو في « فرانس اوبسرفاتور » متهما اياه بان الانتفاعية هي التي تملي جميع خطوات الاكسبريس ، وأن « الكبرياء ، واحتقار الاخلاق ، هما اللذان جعلاه يقلب الاشياء بدعوى الفعالية » .

والواقع ان تحول « الاكسبريس » ليس ناجـما فقط عن مقتضيات فكرية وتطورية ، بل هناك عوامل « اقتصادية ـ سياسية » تكمن وراء هذا التحول .. فمنذ توقيع اتفاقية روما لانشـاء السوق الاوربيـة المشتركة ، اصبح تنقل الاشخاص ، والاشياء ، والنقود حرا بين الدول الاوربية الست . وبذلك اصبـح في امكان اي بلجيكي او هولاندي ، او الماني ان يؤسس في فرنسا صحيفة يومية او اسبوعية .. وهذا ما يجعل وضعية الصحافة الفرنسية مهددة بمنافسة رؤوس الاموال الاجنبية ، بالاضافة الى مزاحمة الاذاعـة والتليفزيون والصحف الاقليمية . يتجلى ذلك من خلال الازمة المالية التي تعانيها دار النشر والتوزيـع « هاشيت » بسبب نقص مبيعات الصحف التابعة لها. وامام هذا الوضع اصبح مـن الطبيعي ان تبحـث الاكسبريس عن دعامة تساندها فوجدتها في شخص « كاستون ديفير » المرشح المقبل للانتخابات الرئاسية التي ستجري بفرنسا خلال سنة 1965 . لقد كانـت « الاكسبريس » تعبر ، الى حد ما ، عن الراي العام لليسار الفرنسي غير الشيوعي .. ولكن مجيء دوكول، وانتهاء حرب الجزائر ، جعلها تفقد كثيرا من قراءها .. والراي العام الفرنسي ـ كما تدل بعض الاستفتاءات ـ اصبح يولي اهتمامه لمشاكل السكنى ، واللحوم ، ورفع مستواه المادي ، أكثر من الاهتمام بسياسة الاحلاف ، والنفوذ العسكري ، وانشاء القوة الضاربة. ومن ثم ، فان شخصية رئيس الجمهورية المقبل تشغل حيزا كبيرا من تفكير الرجل العادي والمثقف على السواء .. وهذا ما حدا بصحيفة الاكسبريس منذ بضعة اشهر الى ترشيح « السيد س .. » لرئاسة الجمهورية ، ففتحت بذلك واجهة المعركة الانتخابية قبل الاوان ، واثارت اهتمام جميع الاوساط غير اليمينية وطرحت قضية اختيار مرشح تسانده جميع القوى السياسيـة اليساريـة لينافس دوكول .. وكان « السيد س .. » هو كاستون

ديفير ، واتضحت العلاقة الرابطة بين « شريبر » و « ديفير » رئيس الجمهورية المحتمل .

واذن ، فالسؤال الازلي يعاد طرحه : الى اي حد تستطيع الصحافة ان تؤدي دورها النضالي ، الايجابي، دون الانسياق لرغبات الجمهور السهلة ، ولضرورة الربح والتوسع ؟؟

ان الجواب على هذا السؤال يحتم علينا الا ننسى التجربة الفذة التي عاشها « البير كامو » في ميدان الصحافة ما بين 1944 و 1947 وقد كتب اخيرا « جان دانييل » مقالا ممتازا بعنوان « كامو او الصحافة المبررة » (1) نعتمد عليه لتحديد مفهوم الصحافة عند كامو .

ان البير كامو لم يكن يمارس الصحافة وهو يعاني من تلك المأساة الداخلية التي تعشش في نفوس معظم الصحفيين ، وتجعلهم كانهم يعيشون في منفى ، ويحنون باستمرار الى العودة للمنبع : الادب ، او الفلسفة ، او السياسة ... ولانهم فشلوا في تقديم « عمل » أصيل، فانهم يجاهدون ، بيأس ، لاكتساب اسم مشهور ، على العكس ، كان كامو يعتبر الصحافة ملكوته ، لا منفاه ، وكان يدرك صعوباتها ، ويحس بثقل ثلاثة قيود : اعتبار رأي كثير من الناس ، مما يجعله يعبر عن اقل ما يريد ، ثم الكتابة بسرعة ، مما يحرمه من تنقيح افكاره وترتيبها .. واخيرا خلق اعداء بين القراء ... وهذا ما يفزعه ؛ لقد دخل كامو عالم الصحافة منذ 1937 وكان لا يزال في الجزائر .. ولكن انطلاقته الصحفية لم تبدا الا سنة 1944 في باريس اثناء فترة الاحتلال الالماني عندما صدر اول عدد من جريدة « كومبا Combat » يحمل افتتاحية بدون توقيع كتبها كامو ، وفيها يعلن ضرورة تحمل التضحيات والالم في سبيل استعادة الحرية السليبة . وتوالت افتتاحياته تنضح بالوعي والصمود ، وتمتاز بالتحليلات الجريئة المتطورة .. ولم يكن يكتفي بالدعوة الى المقاومة ، بل كان يستشرف آفاق الثورة التي يجب ان تتم عقب انتهاء الاحتلال ، وتوقف الحرب .. وارتفع صوته محذرا من عواقب التفجيرات النووية ، وتشوب حرب عالمية ثالثة . والواقع ان نشاط « كامو » الصحفي كان يتعدى نطاق الاحداث السياسية اليومية ، ويتطلع الى تكوين مدرسة ثورية تقدمية ، كما يتجلى ذلك من خلال الخصومات الجدلية التي كان يثيرها حول مفهوم الصحافة . كان يعرف جيدا ان الرذيلة التي تحط من قيمة الصحافة هي شهوة المال .. ولكنه كان يردد :

« ان قيمة دولة ما ، كثيرا ما تكون هي قيمة صحافتها ، وبالامكان رفع مستوى الامة عن طريق رفع لغتها .. وذلك لا يتأتى الا بايجاد صحافة واضحة ، شجاعة ، وذات كلمة محترمة »

واستطاع كامو ، من خلال تجربته ان يحدد مفهومه للصحافة في كلمة ، وهي « الاخبار النقدي » . ومعنى الاخبار النقدي الا تسارع الجريدة الى نشر الانباء دون التأكد من صحتها ، والتمكن التام من الموضوع الذي يكتب عنه ، واعطاء الاسبقية للموضوعية على المحسنات البلاغية ، وللروح الانسانية على التفاهات

ولكن القلق بدأ يساور «كامو» على مصير الصحافة في فرنسا بعد التحرير ، لانها اخذت تبحث عن الاعجاب وتهمل التوجيه .. وشيئا فشيئا ، بدات صحف المقاومة تتخلى عن رسالتها الثورية ، لتفسح المجال للسهولة ، والصور المثيرة .. وارتفع صوت كامو :

« كلا ، ان الجمهور لا يريد هذا الاسفاف، بل حمل على ان يريده طيلة عشرين سنة .. ولكن الجمهور استعمل تفكيره طيلة اربع سنوات ، وهو مستعد لاحتضان طريق الرجولة والشهامة ، ما دام قد مر بتجربة قاسية اظهرت له الحقيقة .. واذا استمرت عشرون صحيفة تلقنه ، طيلة ايام السنة ، التفاهات ، فسينتهي به الامر الى تقبلها .. »

وفي سنة 1947 ، غادر كامو « كومبا » الى المسرح والادب ... واخذت صحف المقاومة تفقد قراءها نتيجة لظهور الجرائد والمجلات التجارية والجنسية ، وصحف « بريد القلوب » .. ولم تستطع الصحف الجادة ان تقاوم التيار ، فتحولت ، وتجددت ، متنكرة لماضيها . وكان الشان كذلك بالنسبة لـ « كومبا » ، فارتاح انصار « الصحافة الكبيرة » لانهم كانوا ينتظرون فشل المبادىء الصحفية التي دعا اليها كامو . ولكن صاحب « سيزيف » لم يعتبر ذلك فشلا ، وعاد يدافع عن مفهومه الثوري للصحافة ويحمل اليسار مسؤولية الانهزام . ان ما يفسد الصحافة في رايه ، هو استعبادها من طرف اصحاب الاموال ، وحرصها على الاعجاب مهما كان الثمن ، وتشويه الحقيقة سواء بحجة تجارية او ايديولوجية ، والتملق للغرائز ، واحتقار القراء .

يقول في هذا الصدد :

« ان معظم الصحف الفرنسية لا يعكس الوضع الفكري للجمهور ، وانما يعكس الوضع الفكري لاصحابها وباستثناء صحيفة او اثنتين ، فان الاساس الذي تقوم

« Albert Camus ou le journalisme justifié » - « France Observateur », 3 septembre 1964. (1)

عليه صحافتنا : هو السخرية ، واللمز ، والفضائح . ولو كنت في مكان مديري صحفنا ، لما هنأت نفسي على ذلك : لان كل ما يحط من شأن الثقافة ، يقصر الطرق المؤدية الى الاستعباد)) .

على ان كثيرا من النقاد لا يعتبرون الخصومات الجدلية (Les polémiques) التي أثارها كامو مع موررياك ، واندريه بروتون ، وكابرييل مارسيل ، وسارتر ، من قبيل أعماله الصحفية ، بل يسلكونها في عداد آثاره الادبية ، لما تتميز به من دقة في التعبير والتفكير فما هي الاضافات التي قدمها كامو للصحافة ؟

يجيب « جان دانييل)) على ذلك :

« هي اولا ، اجابة على اهتزاز القيم الذي يشاهده عصرنا . ان « الاخبار النقدي » هو مجهود كبير في نطاق محاولة تستبعد الهوى ، وتتقيد بالنسبية ، اي الصراحة التامة فيما يتعلق بالحدود التي يتتبعها الملاحظ لظاهرة ما . انه مجهود من اجل خلق « حدث صحفي)) ، كما ان هناك حدثا علميا .. ومعنى ذلك ، وضع قوانين في الصحافة تضاهي المبادىء في العلم .. فهل هذه الاجابة التي قدمها كامو صالحة للجميع ؟ وهل ادارة كامو لكومبا كانت مثالية ؟ وهل بامكان الراسمالية ان تفسح المجال لغير الدعاية والاعلانات ؟

لقد اجاب كامو ـ من جهته ـ على هذه الاسئلة بكيفية بوأته مكانة الرجل الكلي ، طيلة فترة ما بعد الحرب ..))

ان ايمان البير كامو بالصحافة ، والتجربة النموذجية التي عاشها في ظلال مملكتها ، كفيلة بان تهدي خطوات الصحافة اليسارية الفرنسية ، ليلتقي مناضلوها عند « طرق الوحدة)) التي حدد معالمها كلود بوردي في كتابه الاخير .

باقة شعرية

بالرغم من الاعباء الادارية المنوطة بالعميد الدكتور محمد عزيز الحبابي ، فانه ما يفتأ يسهم في تنشيط حركتنا الفكرية والادبية .. سواء عن طريق ترجمة اعماله الفلسفية التي كتبها بالفرنسية من قبل « من الكائن الى الشخص » ، « حرية أم تحرر » « بؤس وضياء)) ، او باصدار كتب جديدة مثل من « المغلق الى المتفتح)) و « الشخصانية الاسلامية)) ، واخيرا « باقة شعرية ، عربية بربرية » (1) التي اختار مقطوعاتها ، وقدم لها .

ومنذ البداية ، يخبرنا الشاعر الحبابي (أوثر أن اقرن اسمه هنا بهذا الوصف ، لانه كان يصدر في اختياراته وتقديماته عن مفهومه الشعري العام ، وان كانت اشرقات الفلسفة تفرض نفسها من حين لاخر ، كانما لتحتج على هذا الاعتداء غير المشروع ... أو المشروع ؟) ان عدد الصفحات محدود ، وأن ذلك اثر في تضييق مجال الاختيار .. مما جعله يتخلى عن كثير من الشعراء ذوي الصفة التمثيلية لاتجاهات الشعر العربي الحديث .. ولكنه ـ مع ذلك ـ لا يعفي نفسه من ان يقول لنا في عجالة « ان ما يميز هذا الشعر ، هو الطابع الذي يميز الحياة العربية بصفة عامة ، وهو طابع القلق)) .

وكم كنت اود الا يطالعنا هذا الحكم في الصفحة الاولى ، لان من شأنه ان يلزم صاحبهباخضاع اختياراته لهذا المقياس حتى يصبح الحكم مبررا . ولكننا عندما نتصفح المنتخب لا نجد سوى ثلاث قصائد تعكس اجواء القلق العربي هي : الحزن لصلاح عبد الصبور ،واحرقت السراب لادونيس ، و « هي وهو)) لفدوى طوقان . وهذه القصيدة الاخيرة ليست مترجمة كلها ، بل اقتصر الدكتور الحبابي على ادراج جزء صغير منها .

انا اعلم ان هذا المنتخب لم يقصد منه تقديم دراسة دقيقة عن الشعر العربي ، ويتضح ذلك من الطباعة الانيقة ، والرسوم المستوحاة من أطياف عبقر .. الا أن التقسيم الذي سلكه الشاعر ، يوهمنا بأن الغرض يتعدى التعريف بنماذج شعرية جميلة منتقاة من تراثنا الشعري على اختلاف العصور . والاقسام الثلاثة هي : الشعر العربي ، الشعر النسوي ، الشعر البربري . ثم ان التقديمات المقتضبة لكل قصيدة وما تنطوي عليه من عمق واشراق ، تؤكد لنا ان الشاعر الحبابي كان يصدر ـ اختياره ـ عن مجموعة من المفاهيم الشعرية تستطيع ان تكون دراسة متماسكة لتجربة الشعر العربي وآفاقه . ولكنه آثر ان يجهضها في شكل خواطر متناثرة فوتت علينا الاستفادة من دراسة نقدية لها قيمتها . واذا لم يكن من حق الناقد ان يتدخل في مناقشة الشكل الذي يختاره الكاتب او الشاعر ، فان ملاحظتي السابقة لها ما يبررها . ذلك انني اعي جيدا العزلة التي يعيش فيها الادب العربي بعامة ، والادب المغربي بخاصة ، مما يجعله سجين آفاق تفتقر الى المقارنة والتفتح على التجارب الانسانية العالمية . وما تزال ترجمة الاثار العربية الى اللغات الاجنبية محدودة ، ومحاطة بكثير من الصعوبات . وما

(1) Florilège poétique arabe et berbère - L'amitié par le livre.

يزال ادباؤنا عاجزين عن الاسهام في تجربة الخلق على المستوى الانساني . وخلال السنتين الاخيرتين بـدأ الغربيون يهتمون بنقل الادباء البارزين في الشرق العربي في حين ان ادباء المغرب يختنقون ، لانهم لم يتمكنوا بعد من ايجاد سوق داخلية (أقصد النشر) ، فضلا عن الاتصال بالجمهور الغربي . ومن ثم فانني أعتبرها فرصة ذهبية اتيحت للاستاذ الدكتور الحبابي لكي يقصـر منتخباته على انتاجات ادبائنا الشيوخ والشباب، ويحلل مفاهيمنا الشعرية ـ على ضعفها ـ ليساهم في دعـم انطلاقة الشعر المغربي . وهو مشروع ليس من اليسير انجازه نظرا لقلة المنشورات وبخل الشعراء بارسال انتاجاتهم الى النقاد او الدارسين ، عندما يطلب منهم ذلك ... ورغم هذه العقبات فانني اكرر اقتراحي بالنسبة لمنتخبات قادمة .

واورد الان ، ترجمة مقتطفات من الخواطر التي قدم بها الدكتور الحبابي قصائد الباقة الشعرية :

* « ان الشعر هو انسجام في الاخلية ، والالوان .. هو رقة متناهية : انه فراشة . والانسان ايضا ـ على شاكلته ـ يشبه فراشة تبحث عن النور : انه يبحث في الدين وفي الفلسفة ، وفي الفن ، وفي العلم ... »

* « السياسة نشاط محسوب، مضبوط الخطوات يرفض اللامتوقع . وعلى عكس ذلك ، فان الشعر فن حيوي ، يقود الى مغامرة الكائن . انه منبع لا ينضب للاحلام ، والتمردات ، والامال ... »

* « ان الشعر حضور ، وان كان حضورا غيـر فيزيقي . انه حسناء تفتن ، وتتأبى على كل الملاطفات ، وتخترق العصور دون ان تهرم ، متنقلة من جيل الى جيل دون ان يتضاءل جمالها : ان الشعر ربيـع ذو فصول اربعة » .

* « .. الفن يساعدنا على أن نعيش أحسن ـ جهد الامكان ـ في أحط العوالم . والوهم يكون جزءا من هيكل الفن .. ولكن ، أليست كل حياتنا متجهة نحو السعادة ، ذلك الوهم الحزين ، المقلق ، الذي تقتفـي خطواته باستسلام ويأس ؟ ان الشعر يخلق ـ عـن وعي ـ اوهاما ، عندما يقيم روابط متينة بين الموضوعات والاشياء ، وعندما يحاول ايجاد التواصل بين الكائنات »

* ان الشاعر لا يهادن نفسه ولا الطبيعة قط ، لان كل شيء يجري ويتغير : انه الكفاح لادراك غاية ليست لها نهاية . والشاعر يريد ان يفهم الكائن ، والفهم معناه اعادة الخلق . وعندما يعيد الشاعر عملية الخلق ، فانه يخلق نفسه من جديد .

نفسه ؟

بل ونفوس الاخرين كذلك .

انه يعيد خلق نفسه دائما « مع » الاخرين ، في كون يخلق فيه كل شيء من جديد ، فوق الشفـاه المضرجة بالحب ، وفي الكلمات التي تحتضن عـودة الاصباح »





الديك الأحمر

قصة : للأستاذ عبد القادر زمامة

لم تعرف الحظيرة منذ اسابيع خلت هذه الحركات وهذه الاصوات المتعالية ولم يعهد صاحبها من دجاجه هذه الصيحات التي تحطم السكون المخيم على منزله والذي ينعم به منذ زمان .. !

ولم يكن هناك من جديد يلفت الانظار . ولا من حادث يثير كل هذه الجلبة وكل هذه الصيحات .. فحبات الذرة البيضاء متوفرة للجميع . وارجاء الحظيرة المترامية الاطراف نظيفة . مشرقة . باسمة . وسكانها من ديكة ودجاجات الفت العيش فيها . واستطابت المرح والسباق والصياح . والتزاحم حول مواقع الحب . والماء ... والمناوشات والتحرشات البسيطة التي تنتهي فى ابانها . ولا تترك فى قلب الغالب والمغلوب الا ما تتركه المداعبات فى خيال الرفقاء .. !

وكان الديك الابيض صاحب القول الفصل في كل ما يحدث من تحرشات بين الدجاج ...

فصياحه حكم ! ونقره انتقام ! وحركته استعداد . اما اذا جرى . فذلك ايذان بالخطر النازل بالحظيرة وسكانها .. فالكل يتبع خطاه ويقفو اثره . فهو البطل . وهو الحكم . وهو شيخ الحظيرة. وسيدها لم ينازعه نفوذه هذا كبير ولا صغير .. ولا قديم ولا جديد من الديكة التي مرت بهذه الحظيرة .. وهو بحكم العادة والواقع يصيح اولا .. وياكل اولا .. ويشرب اولا . ولكنه بحكم مكانته في الحظيرة . يساعد الضعيف . ويحمي الدجاجات من جشع الديكة وتحرشاتها .. وكثيرا ما يقف شامخ الراس . مزهو النظرات بادي التحدي .. يحرس مواقع الحب والماء حتى تاكل الدجاجات الضعيفات فى امن واطمئنان فنبله وشهامته هما قبل كل شيء راس ماله في هذه الحظيرة .. اما مظهره الجذاب في عرفه واظفاره العاجية فهو عنوان (شخصيته) الممتازة الطموح ..!

فماذا حدث في الحظيرة .. ؟ واي شيء اثار هذه الضجة بين سكانها ؟ ولم هذه الحركات والاصوات ؟ فهل هناك من خطر يهدد ديكا من الديكة. او دجاجة من الدجاجات ... ؟

هكذا تساءل اهل المنزل منذ ان سمعوا الصيحات الاولى .. ولكن سرعان ما خيل اليهم انها تمرد عابر تعقبه السكينة والهدوء .. !

ومن يدري فلعل هناك شباحا شيطانية تتراأى للدجاج فتهيجها وتثير فزعها وصياحها .. !

اما داخل عالم الحظيرة فقد اكتسى مظهر آخر يستطيع ان يتبينه كل من يدنو منها ...

فالديك الابيض لا يجري ولا يصيح ولا يتحرك حركاته المعهودة حينما يحس بخطر يهدد امنه وامن رفقائه .. ! والدجاجات والديكة تروح وتغدو مرددة اشياء غريبة سمعتها من ديك غريب .. لم يعرف الحظيرة الا منذ يومين فقط .. !

فماذا يقول هذا الديك الغريب .. ؟

انه ديك غريب حقا .. فى شكله ولونه واقواله وحركاته .. فهو احمر اللون خفيف الوزن . قصير العنق . زاغ عرفه عن مفرقه . فبدا وكانه مقطوع من خلفه اما ذيله فقد كان بادي النقصان اذا رايته من خلف حسبته دجاجة من الدجاجات لا ديكا من الديكة .. !

لكنه فصيح مهذار مهرج .. ! لا يرعى حرمة ولا يقر بفضل لاحد ! فمنذ وطئت قدماه هذه الحظيرة وهو يجمع الديكة حوله ويحدثها حديثا لم تألفه من قبل من الديك الابيض .. !

انه يقول : ما بال الحظيرة اتخذت رئيسا لا يصلح للرياسة .. ؟ لماذا ياكل اولا . ويصيح اولا . ويسير اولا ؟ لاشك انه متجبر . مستبد .. ! ولا شك انكم جبناء ضعفاء جعلتم منه رئيسكم المطاع .. ! وسيدكم المطلق .. !

فلم لاتنازعوه هذه الرياسة والسيادة .. ؟
ولم لا توقفونه عند حده .. ؟
ولم لا تاخذون الرياسة لانفسكم .. ؟

وكانت هذه الاقوال التي ارسلها الديك الاحمر تعمل عمل السحر في نفس سكان الحظيرة .. فتهافتت عليه تهافت الظمآن على الشراب .. وهو يزيد بتهافتها جراة وامعانا فى التهديد والوعيد والتهريج ...

وحتى الدجاجات صارت تصغي اليه لعلها تجد في اقواله ما يحميها من اعدائها الذين يتنمرون لها كلما شاهدوا حبة ذرة .. او قطرة ماء ... وينقرون راسها كلما وجدوا فرصة من الفرص التي تتيحها غيبة حاميها ..

وكان الديك الاحمر يتفنن في احاديثه حتى اذا انس من زملائه استعدادا للعمل صاح فيهم .

— هيا تنازع الديك الابيض ..
— هيا نتحداه ..
— هيا ننقر راسه ..
— هيا نسلبه قوته ..
— هيا نطرده الى حيث لا حب ولا ماء .

فنحن اصحاب الحق فى هذه الحظيرة وكلمتنا هي العليا وكانت الديكة تردد هذه الصيحات ماخوذة بسحر حديثه وفصاحته ...

اما صاحب الحظيرة فلم يعنه اول الامر من ضجة دجاجه شيء .. حتى اذا علت الاصوات وماج بعضها فى بعض ذهب مسرعا ليرى ما حدث .. ونفسه تحدثه ان الديك الاحمر لابد وان يكون ضحية اعتداء فهو الجديد الغريب فى الحظيرة .. ! ان راسه ولا شك يسيل دما اثر المعارك التي خاضها لاكتساب رفيقة من دجاجات الحظيرة .. او التقاط حبة من حبات الذرة البيضاء .. ولكنه راى الديك الجديد يصول ويجول داخل الحظيرة سالما معافى .. فقال في نفسه :

— هذا عجيب .. ! الدجاج يصيح من غير سبب .. !

وانصرف لشانه .. ولكن الديك الاحمر التفت الى رفقائه وقال :

— لعلكم ادركتم خطري . وعرفتم مكانتي . فان صاحب الحظيرة لم يزرنا هذا اليوم الا ليتاكد من نجاح عملي . ! فى مقاومة الديك الابيض لقد خرج مسرورا بانتصاري .. ! كم انا سعيد .. كم انا ذكي.! كم انا محظوظ .. !

وماجت الحظيرة بموجة من الهتاف بحياة البطل الجديد تحيي شجاعته وجراته وتؤمن على ما قال : وعلم الديك الابيض انه اصبح سيد الحظيرة فصار يصيح اولا .. وياكل اولا .. ويشرب اولا .. غير انه لايحمي ضعيفا .. ولا ينصف مظلوما ولا يحرس مواقع الحب والماء ...

لان شريعة التمرد على النظام عملت عملها في الاقوياء والضعفاء .. وقد حطمت اقوال الديك الاحمر كل ما الفه سكان الحظيرة منذ زمان ...

وكان الديك الابيض يرنو فى اشفاق وحنان الى كل ما حدث .. فتنتفخ اوداجه وتحمر عيناه ويتاهب للعمل على الفتك بهذا الديك الغريب الذي قلب وضع الحظيرة وحطم ما ينعم به سكانها من حياة الهدوء والنظام .. ولكنه كان يتراجع خوفا من شماتة خصومه وتألب رفاقه ضده مع الديك الاحمر ...

وشعر الجميع ان الحياة فى هذا الوضع الغريب لاتطاق وعرف الديك الاحمر آخر الامر انه احدث حدثا لا يرجى علاجه فصاح فى وجه رفاقه ...

— انتم اشرار ... ؟ انتم حمقى .. ! لاتصلحون لي .. ولا اصلح لكم ... ولن ارضى ان اعيش الا مع الطاووس . والبط . والحمام .. حيث ان هؤلاء سيطيعون امري ويقدرون ذكائي وبطولتي

وجاء صاحب الحظيرة فعلا واخذ الديك الاحمر والانظار تتجه اليه ولكنه ما كاد يخطو به بضع خطوات .. حتى شمر على ساعده واخذه ليلقى مصيره المحتوم وكان آخر كلام سمعه وهو يحلم بجنة الدجاج ... — باسم الله — الله اكبر — قدرة وطجين .

فتاوي دعوة الحق

حول سؤال جمعية الأكاديمية بلشبونة

بعثت سفارة المملكة المغربية بلشبونة الى وزارة الشؤون الاسلامية بسؤال يتعلق باستئصال اعضاء او خلايا جسمانية من جثث الموتى بقصد تلقيحها لاشخاص احياء يمكن معالجتهم بهذه الطريقة .

وبما ان هذه العملية كثيرا ما تجعل المختصين أمام نظريات تستند على احكام دينية ، فان الجمعية الاكاديمية لكلية الحقوق بلشبونة تريد ان تعرف النظر الاسلامي والفكر الديني في الموضوع .

ولقد تفضل فضيلة الاستاذ السيد محمد الطنجي فاجاب مشكورا عن هذا السؤال الذي احيل على وزارة الاوقاف لتجيب عنه .

وقع السؤال عن قضية استئصال اعضاء او خلايا جسمانية من جثث الموتى بقصد تلقيها لاشخاص احياء يمكن معالجتهم بالوسائل الجراحية على هذه الطريقة ؟ .

ومن المعلوم ان هذه القضية انما ظهت للموجود عند تقدم الطب في العهود الاخيرة ، هذا التقدم المدهش ، فكثر السؤال حولها خصوصا من المتدينين وبما ان الدين الاسلامي دين اجتماعي يلزم تحكيم شريعته في جميع الحالات ، كان من المناسب تنوير الراي الخاص بوجهة نظره في هذا الموضوع المصلحي العام .

وبالرغم عن عدم اطلاعي على وجود نص في هذه النازلة بالجواز او المنع فسنحاول استطلاع قواعد الشريعة الاسلامية في بعض توجيهاتها عسى ان نجد ما يكشف لنا بعض الغموض في هذه القضية .

هل للموت حرمة :

من المعلوم في شريعة الاسلام ان للموتى حرمة وهذه الحرمة تقضي بعدم اذايتهم بتشويه خلقتهم بالقطع والبتر في حالة الاختيار ، فقد ثبت وصح عن النبي (ص) قوله كسر عظم الميت ككسره حيا . يعني فكما يمنع التعدي على الحي بكسر عظمه كذلك يمنع التعدي على الميت ويفهم من هذا النهي عدم اذاية الميت اطلاقا بل تتعدى الحرمة الى احترام قبره فضلا عن ذاته فلا يمشي على قبره ما دام به ولا ينبش قبره الا في حالة نسيان مال معه او تكفينه بكفن مغصوب او دفنه في قبر غيره ، يقول خليل في مختصره الذي به الفتوى : والقبر حبس لا يمشي عليه ولا ينبش ما دام به الا ان يشح رب كفن غصبه او قبر يملكه او نسي معه مال . ويسمو خيال الشاعر ابي العلاء المعري فيطلب تخفيف الوطء على الارض احتراما لاجساد آبائنا واجدادنا لان اديمها تكون من اجساد الموتى على تطاول الازمان حيث يقول :

صاح هاذي قبورنا تملأ الرحـــــ
ـــب فاين القبور من عهد عاد

ـــر ان اسطعت في الهواء رويدا
لا اختيالا على رفات العباد

خفف الوطء ما اظن اديم الا
رض الا من هذه الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهـــــ
ـــد هوان الاباء والاجداد

بل ان الاسلام يحترم حتى اجساد اعداء دينه فيمنع التمثيل بقتلى الاعداء في الحروب المشروعة فلا تشوه خلقتهم بقطع اعضاء مهما كانت الا في حق المحاربين الذين يسعون في الارض فسادا كما في الاية : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض . ويقول السهيلي في توجيه حكم الاية في احد جوابيه : انما قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف لانهم فعلوا ذلك بمن اعتدوا عليهم . وقد ذكر خليل من الاشياء الممنوعة في الحرب المثلة ، قال شارحه الحطاب نقلا عن الاقفهسي اي يحرم ان يمثل بالمقتول ، قال في الاستذكار (وهو كتاب للحافظ ابن عبد البر) : والمثلة محرمة في السنة المجمع عليها وهذا بعد الظفر واما قبله فانا نقاتله اي المحارب باي قتلة امكننا انتهى كما صحح السهيلي حديث النهي عن المثلة عن ابن عبد البر ، وقد ذكر خليل من افراد هذا القبيل المحرم الممنوع حمل راس لبلد او وال قال شارحه المواق نقلا عن سحنون : لا يجوز حمل الروؤس من بلد الى بلد ولا حملها الى الولاة ، وكره ابو بكر حمل راس العرفط اليه من الشام وقال هذا فعل الاعاجم انتهى .

حرمة الموتى امام حالة الاضطرار :

وهذا كله في حالة الاختيار ، اما في حالة الاضطرار فقد يجوز تعدي هذه الحرمة في حق الحي والميت على السواء وقد يتحتم ذلك في بعض الاحيان كحالة موت امرأة حامل والولد يتحرك في بطنها جاوز الستة اشهر فيشق بطنها ويخرج منها الولد لان القضية تتعلق بانقاذ نفس من الموت المحقق ، وقد ذكر هذه القضية الحافظ ابن حزم مستدلا بقوله تعالى (ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا) ثم قال : ومن تركه عمدا حتى مات فهو قاتل نفس .

اما كيفية شق البطن واخراج الولد فهي من اختصاص الطبيب الجراحي ، وان كان ابن حزم يرى ان يشق بطنها طولا .

نعم قد تعرض الحافظ ابن حزم لمسالة « المحلى » : من بلع دينارا او لؤلؤة ثم قال ولا يجوز شق بطن الحي لان فيه قتله ولا ضرر في ذلك على الميت ولا يحل شق بطن الميت بلا معنى لانه تعد وقد قال تعالى : ولا تعتدوا ، انتهى فهو يرى ان لا ضرر على الميت في شق بطنه لاجل اخراج دينار منها وشان الدينار حقير بالنسبة الى المسالة التي نحن بصددها ، كما انه لا يجيز شق بطن الميت بلا معنى فيفهم منه انه اذا دعت الضرورة والمصلحة الشخصية او الاجتماعية الى قطع عضو من الجسم فقد يحكم له بالجواز بل الوجوب في حق الحي اذا بلغت الضرورة حد الخطر على نفسه وتلك شريعة الحياة فانا نرى الانسان اذا اصابته آفة في عضو وحكم علم الطب بوجوب قطعه وبتره حفاظا على حياة صاحبه فانه يذهب لهذه الضرورة الحتمية ارتكابا لاخف الضررين جريا على القاعدة الشرعية المعروفة (اذا تعارض ضرران ارتكب اخفهما) فهذا العمل يجب عليه درءا للخطر عن نفسه وسعيا وراء جلب المصلحة لها واتباعا لاية التشريع الحكيمة : (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما)

وكما للانسان حق التصرف التام برشد في ماله الذي هو مفارق لجسده فانا نرى له الحق في حفظ ذاته وصيانتها حتى بعد مماته ، لان الشريعة التي اعطت هذه الحرية وهذا التكريم لبني آدم في جميع حالاتهم ، لا يوجد فيما نعلم ما يمنع استمرار هذا التكريم وهذا الاحترام بعد الممات .

استثناء حالة التطوع :

نعم اذا اعتبر الانسان نفسه مندمجا في الحياة الاجتماعية وعضوا حقيقيا منها وتطوع في حالة حياته واوصى انه اذا مات وانقطع عمله فانه يتبرع باستعمال بعض اعضاء جسمه او خلاياه لنفع اخيه في الدين او في الانسانية عملا بالحديث الصحيح (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) . حتى يدفع الخطر عن اخيه ويجلب المنفعة له فان هذا العمل قد يحكم له بالجواز وكذلك قد يمكن اعتبار المجرمين المنفذ فيهم حكم الاعدام بالشنق اذا اساءوا حقيقة للانسانية وتجاوز الحدود بالسعي بالفساد في الارض ، نقول يمكن اعتبار فقدهم للحرمة الانسانية لانهم انتهكوا حرمتها وحرمتهم الانسانية بافعالهم الشنيعة في المجتمع ، وقد يضطر الانسان لعدم الحفاظ على الميت كمن مات وهو مسافر في باخرة فان اخوانه يكفنونه ويلقونه في البحر تمزعه الحيتان كما قال خليل : ورمي ميت البحر به مكفنا ان لم يرج البر قبل تغيره . فتضيع جثته بدون فائدة .

ومن جهة اخرى قد يقول بعض العلماء ان العضو بعد انفصاله من الحي او قطعه من الجثة يكون في حكم الميتة فلا يجوز استعماله ، فنقول اولا اننا في حالة اضطرار كاستعمال الدم بحقنة في حالة انقاذ المصاب بنزيف ، ونقول ثانيا ان العضو عند ما يستعمل وتعود اليه الحياة يتغير حكمه مثل الخمر اذا تخللت وصارت خلا او خللت بصناعة ، وقد يستانس لهذا برد الرسول لعين الصحابي قتادة بعد انفصالها من جسمه فصارت احسن عينيه فيما بعد حيث استرجعت حيويتها .

وهذا رأيي الخاص في هذه القضية ، ونظرا لعدم وجود نص من الشريعة او لعدم اطلاعي عليه يمكن ان يوجد من يؤيد هذا الراي من العلماء ، كما يمكن ان يوجد من يخالفه لاعتبارات يراها والله الموفق للصواب .

بريد دعوة الحق

موازنة بين الكوميديا الالاهية وقصة المعراج

موضوع مقال نشر في العدد الثامن والتاسع ـ السنة السابعة ـ للاستاذ محمد عبد المالك الكتاني كتب الينا في شانه عبد الله انيس الطباع دكتوراه دولة في الفلسفة والاداب، ودبلوم المعهد العالي لتنظيم المكتبات من مدريد، لما سبق له ان تحدث منذ امد عن الالعوبة الالاهية من دار الاذاعة اللبنانية، وعن العنصر الاسلامي فيها خاصة... لاحظ الدكتور انيس الطباع بان الاستاذ الكتاني ذهب مذهبا يقره في بعضه ولا يقره في بعضه الاخر، اذ اقام الاستاذ الكتاني موازنة بين رحلة دانتي من جهة وبين معراج رسول الله (ص) من جهة اخرى، والموازنة هنا يقول الدكتور لا تجوز ان تقوم اصلا بين اثر دنيوي وآخر فيه من معطيات السماء ووحيها، لان النبي وقد اسرى وحدث حقا بما راى، فكانت قصة المعراج التي وضعها نفر من المسلمين الاوائل على لسان سيد المرسلين، ويزيد الدكتور الطباع قائلا : ان قصة المعراج تحمل اصلا دينيا سماويا، لان محمدا (ص) ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى.

ففي هذه الناحية بالذات لا يقر الدكتور انيس الطباع الموازنة، وبالتالي لا يذهب مذهب الاستاذ الكتاني مع لانسون في تحديد مبدا الاصالة للاثر الادبي، ويقر ان الفضل في ذلك يعود للمبتكر الاول، وان ابدع فيه المتاخرون.

وعلى ضوء هذه الحقيقة يرى الدكتور ان دانتي قد توكا على قصة المعراج في وضعه للكوميديا الالاهية وان كل معطيات الخيال في رحلته هذه لم تكن ابداعية، ولا غرو فالشاعر يذهب دائما مذهبا يختلف عن غيره من واضعي القصص، ومن هنا كان دانتي ابدع خيالا من واضعي قصة المعراج الذين لم يسمح لهم دينهم، ومعتقدهم ان يبتكروا او يبدعوا.

وليس من شك في ان المستشرق الاسباني « ميكل اثين بلاثيوس » قد عالج هذه الناحية بتجرد، واكد المصادر، وذكر العوامل التي ساعدت دانتي اليجري على وضع رحلته الماورائية.

ومن المعلوم ان الدكتور عبد الله انيس الطباع كان قد اذاع حديثا مقتضبا من دار الاذاعة اللبنانية ببيروت، حيث عالج فيه كل ما يتصل بالموضوع.

و « دعوة الحق » ترجو من حضرة الدكتور ان يبعث لنا بحديث في الموضوع تحديدا للبحث في اصوله الاسلامية.

مع الاديب يوسف جاد الحق :

حمل الينا بريد المجلة رسالة من الاستاذ يوسف جاد الحق تتضمن عواطف طيبة نحو مجلتنا، ويبدي سروره واعجابه نحو المنحى الإسلامي الذي تنحوه المجلة في خضم هذا البحر المتلاطم من الصحافة الرخيصة الحافلة بكل ما يخطر وما لايخطر على البال من ضروب التفاهات والدعوات الضالة المضللة، والتي تخبط خبط عشواء في متاهات لا اول لها ولا آخر، وهو يرى في مجلة « دعوة الحق » نبراسا ينير الطريق امام الكثيرين ممن ينشدون الحقيقة والاصالة في الفكر والعقيدة والحياة.

والاديب يوسف جاد الحق شاب عربي من فلسطين المنكوبة، وقد مارس الكتابة الصحفية في مناحي متعددة من سياسية واجتماعية، وفكرية وادبية كما انه قدم قصصا قصيرة في محطات الاذاعة العربية ومنها صوت العرب بالقاهرة، وتمثيليات قصيرة في تلفزيون « دمشق » حيث يقيم الان.

وقد اصدر مجموعة قصصية بعنوان « اشرقت الشمس » التي تصور بطولات في معركة النضال في فلسطين وصورا من ماساتها، ومجموعة اخرى صدرت منذ ايام بعنوان « النافذة المغلقة ».

والمجلة ترحب بانتاج الاستاذ يوسف جاد الحق ويعتقد معنا بان اخوة الفكر والعقيدة والنضال تسمح باللقاء على البعد حيث لا سلطان لحدود الزمان والمكان على العقيدة الراسخة والفكر الطليق.

نشاط الوزارتين

نشــاط وزارة الاوقــاف

في ميدان نشاط وزارة الاوقاف الفلاحي
اثنـاء عــــام 1964

اولا ـــ تنوي الوزارة مضاعفة غرس اشجـــار الزيتون مباشرة ، او مع الغير في ناحية فاس حيث يقدر عدد الاشجار بـ 37.500 .

وهذا الاتجاه ناتج عن سببين : اولهما يرجع الى رغبة سكان البادية في الحصول على اراضي حبسيـــة يستطيعون القيام بغرسها على اساس الاستفادة مـــن ثلث ارضها واشجارها عند نجاحهم في هذه المهمة ، وثانيهما كون النظارات ما زالت تعثر على ارضي تكرى بثمن بخس فتريد تحسين مداخلها .

ثانيا ـــ ستشرع نظارة صفرو عن قريب في تقليع الاراضي المحجرة والمنتشرة عليها النباتات الطفيلية ثم ستقوم بتشجيرها باشجار الزيتون التي يقدر عددها بـ 3.000 .

ثالثا ـــ ستسهر نظارة تازة بمعونة المكتب الوطني للتجديد القروي وبتأييد من طرف باشا المدينة على غرس غابة باشجار الزيتون على قرب من المدينة . وبما ان طلبات المغارسة على اساس الاستفادة من نصيب الارض والاشجار مازالت تتوارد على النظارة الشيء الذي يبرز نشاط واعتناء هؤلاء الافراد بهذا النوع من الغرس فقد تقرر ارضاء جميع رغبانهم اذ برهنوا على كفـاءة وخبرة في هذا الميدان .

رابعا ـــ نظرا لوجود اراضي شاسعة بنواحـــي زرهون ومكناس ونظرا للتجارب المكتسبة من طرف النظارة في هذا النوع من الاستثمار المباشر الخـاص بغرس اشجار الزيتون والمشمش فان الوزارة ستبذل جهودا عظيمة في هذا الميدان حتى ان عدد الاشجـــار المتوقع غرسه سيبلغ 15.000 .

خامسا ـــ لقد وجهت الوزارة عناية فائقــــة لاستثمار الاراضي التابعة لنظارة تافيلالت رغم قلة الماء في هذه الناحية فتغلبت هذه الاخيرة على جميع الصعاب واستطاعت القيام بغرس ازيد من 4.000 شجرة من انواع الزيتون والمشمش واشجار اخرى في سنة 1963 وتنوي غرس نفس العدد في سنة 1964 .

سادسا ـــ قررت الوزارة تعميم غرس الزيتون واللوز والكلبتوس في الاراضي التابعة منظارات الناضور والحسيمة والعرائش وشفشاون .

سابعا ـــ ستتابع نظارات مراكش وتارودانـــت والصويرة وورزازات وبني ملال نشاطها الفلاحـــي المتجسم في تشجير الاراضي الحبسية باشجار الزيتون والمشمش والبرتقال واللوز والكلبتوس ، ويقدر عـــدد الاشجار المراد غرسها بـ 167.000 .

ثامنا ـــ نظرا لضعف مداخيل اراضي آسفي والجديدة فان الوزارة عازمة على السير في طريـــق التشجير بواسطة الكلبتوس الذي ينتج في هـــذه الناحية بكيفية سريعة وحسنة ويحتوي برنامج السنة على 150.000 شجرة .

تاسعا ـــ لقد تم الاتفاق مع نظارة وجدة علـــى غرس 40.000 شجرة من نوع الكلبتوس في ناحيـــة العيون .

عاشرا ـــ فيما يرجع للمغارسات القديمة التي مر على تاريخ غرسها ست سنوات في ناحية بني ملال وقد بدات اشجارها تغل فان الوزارة ستشــرع في ادخال تعديل بصفة تدريجية على واجب الكراء .

حادي عشر ـــ ان المداخيل الفلاحية ما زالـــت تتضخم سنة بعد سنة بفضل الجهود المبذولة في الميدان الفلاحي ، فان راجعنا مثلا لوائح المداخيل الفلاحيـــة

المتعلقة بسنة 1956 نجد ان النتيجة المعنية بالامر لم تتعد مبلغ : 200.000.000 وفى سنة 1962 ورغم قلة الامطار قد ارتفع هذا المدخول الى : 300.000.000 اما في سنة 1963 فقد بلغ : 450.000.000 .

ثاني عشر : تبلغ المساحة المغروسة الى آخر سنة 1963 : آر 64 هـ 4216 .

ويبلغ عدد الاشجار من الزيتون والكلبتوس والبرتقال والمشمش والانواع الاخرى : 2021.562

اما المساحة المتوقع غرسها فى سنة 1964 فتقدر بـ: آر 51 هـ 704 .

وفى نفس المدة سيبلغ عدد الاشجار : 265.303 .

نشاط وزارة الشؤون الاسلامية

مساء يوم الثلاثاء 13 اكتوبر اجتمعت بوزارة الشؤون الاسلامية هيئة التدريس التي تفضل صاحب الجلالة نصره الله فاختارها للتعليم بدار الحديث برئاسة معالي وزير الاوقاف المكلف بوزارة الشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش .

وتتكون الهيئة من السادة الاستاذ السيد علال الفاسي والاستاذ السيد جواد الصقلي والاستاذ محمد ابن قدور العبادي والاستاذ السيد المكي الناصري والاستاذ السيد خليل الورزازي والاستاذ السيدمحمد الطنجي والاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله والاستاذ السيد محمد بن تاويت الطنجي والاستاذ السيد عبد الرحمن الدكالي . وذلك للنظر فى مناهج الدراسة بدار الحديث وتنسيق موادها ، وتوزيعها على ذوي الاختصاص واستمرت الجلسة من الساعة الثالثة الى الساعة السادسة والنصف مساء . وبعد الانتهاء من درس الموضوع المذكور قررت اللجنة ان تعود الى الاجتماع مرة اخرى صبيحة الاربعاء على الساعة العاشرة لانهاء دراسة ما تبقى من العمل .

وختمت جلسة هذا اليوم بالدعاء لحضرة صاحب الجلالة ادام الله عزه وتأييده .



أنبَاء ثقافيّة

* يزور المغرب حاليا الاستاذ روني ديمون صاحب كتاب « افريقيا انطلقت سيئا » وعدد من الدراسات العقائدية والفنية . وقد احتفل بزيارته اتحاد كتاب المغرب العربي .

* يعتزم الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الآداب التفرغ لاصدار كتاب عن « فلسفة الفقر »

* حل بالمغرب في الاسابيع الاخيرة الفنان الامريكي اتولد موس ، واحتفلت بحلوله جمعية اتحاد كتاب المغرب العربي .

* عقد اتفاق ثقافي بين المغرب والعراق يقوم بمقتضاه حوالي 325 مدرس عراقي للعمل في المغرب.

* تعنى اللجنة الوطنية لليونيسكو في الوقت الحالي بانشاء عدد من اندية اليونيسكو ، فبالاضافة الى النادي الموجود في فاس ، تقوم اللجنة الآن بانشاء ناد آخر في الجديدة وتعد العدة لانشاء ناد ثالث في الدار البيضاء .

* يعد الاستاذ عبد الهادي التازي كتابا عن جامعة القرويين .

* صدر في تونس ديوان جديد للشاعر مصطفى خريف بعنوان « شوق وذوق » كما صدر فيها ديوان بعنوان « حتى الثمالة » للشاعر حبيب الهيلة .

صدر لوزير الخارجية السابق للسودان الشاعر احمد محمد محجوب ديوان شعر بعنوان « قلب وتجارب » .

* شكل مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة هيئة علمية لاصدار موسوعة عن العلوم الاسلامية تشمل دراسة الفقه الاسلامي المقارن بالقوانين الوضعية وتقنينه . كما تشمل وضع دائرة معارف اعلام القرآن

* قررت لجنة القصة في مجلس الفنون بالقاهرة اصدار تقويم للقصة يشتمل على مختارات من القصص القصيرة العربية التي تصدر خلال عام .

* ترجم الدكتور عبد الله البشير رواية يوسف السباعي « رد قلبي » الى الانجليزية .

* سيعيد مشروع الكتاب العربي بالقاهرة طبع كتب الغزالي : « مشكاة الانوار » « المنقذ من الضلال » « التبر المسبوك » « القسطاس المستقيم » « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » « المستظهر في الرد على الباطنية » « الجام العوام عن علم الكلام » .

* ترجمت الى الصينية اول اربع مؤلفات مصرية وهي : « قصة الكفاح » لسعيد العريان والدكتور جمال الشيال ، و « الارض » للشرقاوي ، و « قنديل ام هاشم » ليحيى حقي ، و « السندباد العصري » لحسين فوزي .

* عين الشيخ حسن مامون شيخا للازهر ، خلفا للشيخ محمد شلتوت الذي توفي في دجنبر من السنة الماضية .

* صدر في القاهرة كتاب « الجامع الكبير » الذي جمع فيه الامام السيوطي سيرة النبي محمد (ص) ، وذلك في مكتبة جامعة تونس . والكتاب في ثمانية اجزاء . وقد تولى تصويره الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية الاصول مع علي عبد العظيم مدير الوثائق والمكتبات .

* صدر للدكتور حسين نجيب المصري ديوانه الرابع « همسة ونسمة » ويشتغل حاليا في كتابين جديدين هما « رمضان في الشعر العربي والفارسي والتركي » و « العلاقات بين العرب والفرس والترك »

* « تاريخ العرب العسكري » كتاب صدر حديثا للاستاذ محمود الدورة تناول فيه بالدراسة حروب النبي محمد (ص) .

* اصدر الدكتور علي الوردي كتابا بعنوان « منطق ابن خلدون » .

* صدرت في القاهرة الكتب التالية : « قصة كفاح » لعبد الفتاح عنايت . « الصراع الكبير بين الصين والاتحاد السوفييتي » للدكتور راشد البراوي . « الصناعات الغذائية » للدكتور محمد ممتاز الجندي . « التنفيذ الجبري في المواد المدنية والتجارية » للدكتور فتحي والي . « العمل بين الجماعات » لمحمد كامل البطريق . « التطريز في النسيج والزخرفة » لحمدة محمد الغرباوي . « مشكلة الانتحار » لكرم سمعان . « العودة الى الايمان » للدكتور هنري لنك ، ترجمة الدكتور ثروت عكاشة . « عندما تختلف الامم » لارثر لارسون ، ترجمة احمد حمودة . « دعاء علي امين » لعلي امين . «عروبتنا » لمحمود كامل المحامي . « بقايا كل شيء » لانيس منصور . « مرض السكر » للدكتور كمال الشواربي . « ليلة السبت » لجليل البنداري . « شرح ديوان زهير ابن ابي سلمى » للامام ابي العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب . « انا » لعباس محمود العقاد . « المكتبة الحديثة » لمحمد عطية الابراشي . « التاديب في الوظيفة العامة » للدكتور عبد الفتاح حسن . « موجز العمليات الحربية بشمال افريقيا » لعزيز محمد مصطفى . « روح الاسلام » لمحمد عطية الابراشي . « وحدة التاريخ العربي » للدكتور حسين فوزي النجار . « ساحل المرجان وصحراء البحر الاحمر » للواء رفعت الجوهري . « الاشارات والتنبيهات » لابن سيناء . « رحلة الربيع والخريف » لتوفيق الحكيم .

* قام الاستاذ طاهر احمد الزاوي الطرابلسي بترتيب القاموس المحيط على طريقة الابواب والفصول واصدره في اربعة اجزاء .

* صدر في روائع المسرح بالقاهرة مسرحية « الابن الاكبر » لجون وردى قام بترجمتها الى العربية حسن عبد المقصود .

* اللغة الأمهرية ، لغة سكان اثيوبيا ستصبح احدى اللغات التي تدرس في مدرسة الالسن بالقاهرة ابتداء من العام الجديد .

* اصدرت جامعة الاسكندرية تقويما ضخما لعام 1964 عن الجامعة وتاريخها واعمالها ، كما اصدرت سجلا للمتخرجين .

* « سعيد العريان : حياته وآثاره » كتاب جديد يعده الآن في القاهرة محمد كامل حته ، كما يعد للنشر مؤلفات سعيد العريان التي لم تنشر ، واحدثها كتاب « مستقبل الاسلام » .

* صدر في القاهرة الجزء الاول من « رسائل الجاحظ » بتحقيق عبد السلام هارون .

* « لهب وامواج » عنوان ديوان صدر بالقاهرة للشاعرة شريفة فتحي .

* تالفت في وزارة الثقافة بالقاهرة عشر لجان لترجمة المسرحيات العالمية الى العربية .

* صدر عن معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة كتاب « الجزائر المعاصرة » للدكتور صلاح العقاد .

* خصصت لجنة التربية وعلم النفس في مجلس الفنون الجميلة بالقاهرة جائزة سنوية تحمل اسم اسماعيل القباني لاحسن كتاب يعالج مشكلات التربية والتعليم في الشرق العربي .

* « الاخطاء العامية الشائعة في الاندلس وصقلية وبغداد من القرن الرابع الى السادس الهجري » موضوع رسالة الدكتورة التي تقدم بها عبد العزيز مطر في كلية دار العلوم بالقاهرة .

* صدر في القاهرة كتاب « اللامعقول في ادبنا المعاصر » ليوسف الشاروني .

* اعد الدكتور هنري رياض مدير المتحف الروماني بالاسكندرية اول دليل عن الآثار القديمة .

* ستصدر بالقاهرة عن جمعية الفلاسفة مجلة تعنى بالشؤون الفلسفية براس تحريرها حسن ظاظا .

* يقوم المجمع العلمي العربي بدمشق حاليا بطبع جمهرة المغنيين من تاليف الفقيد خليل مردم بك . وهو يبحث في الغناء العربي منذ اوليته الى عصر بني امية . وفيه ترجمة واسعة للمغنين والمغنيات في عصر بني امية وبني العباس والرجال الاعلام من

الشعراء . وقد عهد المجمع الى عدنان مردم بك واحمد الجندي بالاشراف على طبع الكتاب .

* الاديب السوري سعد صائب انتهى من اعداد وترجمة الكتب التالية « رؤى » وهو خواطر في الكون والانسان كتبه بالفرنسية الاديب السوري عزمي موره لي وسيطبع قريبا . وكتاب « ساد بالامس قفر » وهو ديوان الشاعر الفرنسي المعاصر ايف بونفوا . و « اضواء وظلال » بحوث ودراسات ادبية و « عباقرة الفن » .

* عادت الى الصدور في دمشق مجلة «الثقافة» بعد احتجابها عن القراء مدة طويلة .

* اقيم في سوريا في الشهر الماضي مهرجان كبير احتفالا بمرور الف عام على ميلاد الشاعر الشريف الرضي .

* عثر فريق بريطاني اميركي للآثار على انقاض مدينة حصينة في العراق يعود تاريخها الى سنة 1 800 ق.م وقال الدكتور فروليتش ريني رئيس متحف جامعة بنسلفانيا ان هذه المدينة تعرف باسم « تل الرماح » وتقع الى الشرق من الموصل بشمال العراق .

* شرعت مديرية الآثار العربية بنقل الاثار التي اكتشفتها البعثة الاثرية العراقية في الحضر – خلال الموسم الاخير – الى المبنى الجديد للمتحف العراقي في الكرخ .

* اصدر عميد كلية الآداب ببغداد الاستاذ ناجي معروف الكتاب السادس عشر من مؤلفاته في التاريخ. وهذا الكتاب يتناول عروبة المدن الاسلامية ويبرهن على أن العرب انشأوا نحو 250 مدينة في مختلف العهود الاسلامية .

* وافق المجمع العلمي العراقي على تقديم المساعدة لطبع ديوان السيد عبد الرزاق الهاشمي الذي قام بتحقيقه الاستاذ عبد الله الجبوري .

* انتهى الدكتور صالح العلي عميد معهد الدراسات الاسلامية في جامعة بغداد من تحقيق كتاب « جزيرة العرب » للاصمعي . وسيصدر الكتاب بمساعدة المجمع العلمي العراقي .

* صدرت ببغداد مجلة جديدة بعنوان «القلم»

* اصدر المجمع العلمي العراقي ديوان « الراعي النميري » بتحقيق الدكتور ناصر الحاني .

* صدرت عن وزارة الارشاد العراقية مجلة بعنوان « الاقلام » .

* فاز الاستاذ رينه حبشي بجائزة افضل كاتب في محيط البحر المتوسط ، وهي الجائزة التي تقدمها مؤسسة جان عمروش الثقافية تخليدا لذكرى الشاعر الجزائري الذي قضى في ثورة الجزائر . وكانت هذه الجائزة منحت اول مرة في السنة الماضية للكاتب الجزائري كاتب ياسين .

* يعقد في بغداد في 18 نوفمبر من هذه السنة مؤتمر ادباء العرب .

* « اصابع الفجر » عنوان ديوان للشاعر خليل فاخوري صدر أخيرا بمقدمة الشاعر الكبير بولس سلامه .

* « آفاق الفكر المعاصر » كتاب يصدر بالعربية عن منشورات عويدات ببيروت لمؤلفه فيتان بيكون .

* يعد الكاتب اللبناني بالفرنسية جورج شحادة مسرحية بالفرنسية بعنوان « مهاجر بريسبال » .

* صدر عن دار ريحاني ببيروت رواية « شبكة المصير » لمؤلفها وليم الخازن .

* احتفل في بيروت بالذكرى الخامسة عشرة لوفاة شاعر الاقطار العربية المرحوم خليل مطران .

* يشتغل الاستاذ ميخائيل نعيمة في كتاب جديد بعنوان « الرجل الاخير » .

* اقام نادي جمعية الاصلاح الخيرية الاسلامية ببيروت حفلة تأبينية للفقيد الشاعر محمد علي الحوماني .

* عن منشورات عويدات ببيروت صدر ديوان لاكرم فواز عنوانه « أزهار واثمار » وهذا الكتاب يصور البيئة اللبنانية بعاداتها وتقاليدها ويعتني بامجاد المهاجرين اللبنانيين .

* « نشيد الرخام » مجموعة قصائد نثرية للشاعر نقولا قربان صدرت عن دار الروائع ببيروت.

* « النجم والرماد وقصائد اخرى » مجموعة شعرية للشاعر العراقي سعدي يوسف صدرت في هذه الايام عن المكتب التجاري ببيروت .

* يعكف الشاعر جورج صيدح في باريس على اعادة كتابة مؤلفه « أدبنا وأدباؤنا في المهجر الاميركي » وقد انتهى منه وقدمه للمطبعة وسيصدر قريبا .

* نعت لبنان الاستاذ فؤاد بريدي الامين العام لجامعة اللبنانيين في العالم وقد قرر مجلس الجامعة اللبنانية اقامة تمثال للفقيد .

* صدر في جدة عن مطابع دار الاصفهاني كتاب « التصوف في تهامة » وهو من تاليف الاستاذ محمد بن احمد عيسى العقيلي .

* بقرار رسمي توقفت عن الصدور مجلة « حماة الوطن » التي تصدر في الكويت .

* « فنانو بلاد النيل » كتاب أصدره في موسكو الناقد اناتولي بوجدانوف عن الفنون الجميلة في مصر

* يعقد مؤتمر علم النفس الدولي في فيينا ابتداء من 21 دجنبر من هذه السنة .

* تجري الآن في روما دراسة طبق ذهبي قديم يحتوي على تسعة اسطر من كتابة فنيقية بغية العثور على دليل يكشف للانسان المعاصر خفايا لغة الاترسكين ، اي الايطاليين القدامى . ويعود تاريخ الطبق المكتشف الى القرن الرابع ق م . وقد عثر عليه مع طبقين ذهبيين مماثلين نقشت عليهما كتابة اترسكية في المكان الذي كانت تقوم عليه احدى مستعمرات الاترسكين بالقرب من روما .

* احتفل في مدينة براغ بمرور الف سنة على قيام مدينة لوكسمبورج . وقد اشار الاستاذ ف . كافكا (من جامعة شارل) في الخطاب الذي القاه بهذه المناسبة الى الدور الذي قامت به الاسرة المالكة في اللوكسمبورج في تاريخ تشيكوسلوفاكيا من القرن الرابع عشر الى القرن الخامس عشر ، وكان هذا التاثير بينا بوجه خاص في الاعمال التي حققها الامبراطور شارل الرابع في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة .

